leadership in Islam

موسوعة القيادة في الإسلام

leadership in Islam



أجيال
AJIAL

د. محمد فتحي
خبير التنمية البشرية والتطوير الذاتي

القيادة في الإسلام

تأليف

محمد فتحي

خبير تنمية بشرية وإدارية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدار العالمية
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٢١٤٤٨ / ٢٠٠٧

الدار العالمية للنشر والتوزيع

٣١ ش الصالحي - محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+ / ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+ / تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

الفهـــرس

* * *

الإدارة
في صدر الإسلام



الإدارة في صدر الإسلام

الإسلام دين ومنهج للحياة يربط بين الفرد وكل ما يتعلق به من مناحي هذه الحياة، ويربطها كذلك بلا شكٍّ بالحياة الآخرة؛ فهو يربط بين الروح والجسد، وبين الفرد والمجتمع الذي يحيا فيه فإن لم يوجد لدى الفرد الخبرة الكافية علَّمه إياها بل وكلفه على أن يتعلَّمها وإلا أثم هو والمسلمين جميعًا، المهم أن يتواجد الفرد والمجتمع والإسلام بمنهجه القويم سيسير هذان الأمران معًا –الفرد والمجتمع– نحو نجاح حياة كل الأطراف، وحتى نتعرف على كيفية أداء ذلك الأمر لا بدَّ لنا من بيان النقاط التالية:

أولاً: النظرية الإدارية الإسلامية:

تعتمد هذه النظرية في أدائها وسر نجاحها على تركيزها على جميع المتغيرات التي تؤثر على العملية الإدارية داخل المؤسسة وخارجها، وربط سلوك الفرد العامل بالمؤثر الاجتماعي، وأشد أنواع التأثيرات الاجتماعية أثرًا على الأفراد العاملين البعد الأخلاقي، فلا يوجد مجتمع إداري مسلم بدون أخلاق هذا بالإضافة إلى المؤثر الاقتصادي (المادي)، والمؤثر الإنساني كل ذلك في إطار قدر من المسئوليات والسلطات يعبِّر عنها المؤثر النظامي.

١- المتغير الاجتماعي:

حدَّد الإسلام الغاية من وجود الفرد في المجتمع في توازن دقيق وبسيط تمامًا فهذا الفرد جزء من الكون الفسيح مرتبط به تمامًا كما يقول ﷻ في كتابه:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

وكذلك في قوله:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

هنا على الفرد أن يعيد حياته الدنيا على هذا الأساس، وهذه الشريعة، وينظِّم حياته الإدارية والاقتصادية والاجتماعية بل والسياسية تنظيمًا يتناسب وسر وجوده في هذا الكون، وبما فيه والعبادة هنا تعني تعمير الأرض، ونشر الحكم الآلهي، وعمل كل ما هو مفيد في المجتمع حتى آخر لحظة في حياة الفرد بل وفى حياة هذا الكون كما يقول رسول الله ﷺ: «**إذا قامت الساعة، وفى يد أحدكم فسيلة؛ فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل**».

هكذا حتى والساعة آتية، وقامت القيامة لجميع الخلائق العمل بدأب وكد وسعي.

كذلك العبادة عمل كل شيء مفيد للمجتمع وللفرد حتى ولو كان بالصمت والبعد عن الأذى وحسن الخلق للغير والصبر عليهم.

هكذا عمل دائم وخير مستمر، عمل جاد، وجهاد متواصل سواء الخروج على رزق أو جهاد في سبيل الله.

وحتى يكتمل للفرد أمره كله فيكون في حلقة متوازنة من الأخلاق الحميدة لا بدَّ أن يتم تهيئة المجتمع كذلك؛ فعلى الدولة الإسلامية أن توفِّر للفرد -الذي ترجو منه أن يكون صالحًا ذو خلق- المناخ الملائم ليحقق للدولة ما تريد فهي تقوم بتطبيق الشرائع التي أنزلها الله لتحكم بينهم في كل مناحي الحياة في

الاجتماعيات، الاقتصاد، السياسة منذ مولد هذا الفرد، وحتى في وفاته، وعند دخوله قبره ليحاسب على عمله تقنن له الأمور وتحددها ليسير عليها ذلك الفرد دون أي تعثر، ويسير عليها المجتمع دون أي خلل أو زلل.

فهى تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتأمر بالمعروف، وتنهي عن المنكر، وتقيم العدل بين النفوس؛ فتطمئن على ما لديها، وما عليها من حقوق وواجبات، وتنمي داخل كل فرد أن الذي يرعى كل ذلك ويراقبه هو الله، وليس مخلوق مثله، فيزداد الورع والتقى، يقول رسول الله ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(١)].

وليكون هذا هو الالتزام الخلقي التعبدي العقائدي الذي يوجه سلوك الأفراد في المجتمع الإسلامي، وفى الدولة الإسلامية كلها.

٢- المتغير الاقتصادي:

حدَّد الإسلام اقتصاديات الحياة ومادياتها بسهولة ويسر، ماذا يريد الفرد داخل المجتمع الذي يعمل فيه، وهو المؤسسة على سبيل المثال؟ يريد أن يطمئن على العدل عندما يطلب منه العمل، عندما يريد أن يأخذه أجره، ويستوفيه كاملاً لا ناقصًا، وأن تراعي هذه المؤسسة ظروفه الحياتية والمعيشية، وإذا ما حدث له طارئًا لا قدر الله، فأصابه مرض أو شيخوخة أو أي شيء آخر عاش حياة كريمة لا ذل فيها، ولا إزلال.

فإذا ما أراد الفرد العدل داخل المؤسسة وجَّه الإسلام النظر إلى أن الوظيفة

(١) رواه مسلم مرفوعًا عن عمر بن الخطاب.

أمانة ومسئولية شخصية لدى الفرد العامل؛ فيقول تعالى ﷻ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

ولقد فسرت كلمة «الأمانات» بأنها تعني الوظائف العامة.

ويقول رسول الله ﷺ: **«إذا ضيعت الأمانة، فانتظروا الساعة، قيل: يا رسول الله! وما إضاعتها؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله، فانتظروا الساعة»**[١].

وإذا ما أراد الفرد الحصول على أجره كاملاً طالما أدى عمله بأمانة وإخلاص مطلوبين فرض الإسلام على المستأجر لجهود هذا الفرد – مؤسسة كانت أو فردًا – أن يوفي الفرد أجره بقدر عمله بدون تسويف أو تعطيل وأن يكون هذا الأجر معلومًا لهذا الفرد قبل أن يبدأ في العمل.

يقول تعالى في حديث قدسي: **«ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا، فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا، فاستوفى منه، ولم يوف أجره»**.

يقول الرسول ﷺ: **«من استأجر أجيرًا؛ فليعمله أجره»**.

يقول ﷺ: **«أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه»**.

وإذا ما أراد الفرد أن يتم مراعاة ظروفه راع ذلك الإسلام، فأوجد للمتزوج أجر أكبر من الأعزب، وللفرد أن يطالب بزيادة أجره إذا ما وجد ألا يكفيه، أليس ذلك أفضل من يتكفف الناس، ويطلب منهم أو يرتقي فيطلب مالاً حرامًا من ر شوة أو غيرها ليكفي مؤنة بيته.

ففي رواية أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حينما أصبح خليفة للمسلمين، وانقطع

(١) رواه البخاري.

عن العمل بالتجارة، قال لأصحابه: زيدوني؛ فإن لي عيالاً، وقد شغلتموني عن التجارة، فزادوه خمسمائة درهم على أجره السابق.

وإذا ما أرد الفرد أن يأمن على حياته إذا ما أصابه مكروهًا أقرَّ الإسلام التأمين الاجتماعي، وذلك للفرد غير المسلم فما بالك بالمسلم، ويروى عن عمرو بن الخطاب ﷺ أن حين مرَّ على باب قوم، وعليه سائل يسأل، وهو شيخ كبير ضرير، فضرب عمر عضده من خلفه، وقال له: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، قال: فما ألجاك إلى ما أرى؟ قال: أشكو الحاجة والسن وأسال الجزية لأدفعها، فأخذ عمر بيده، وأرسل إلى خازن بيت المال، وقال له: انظر هذا وضرباءه (أي: أشباهه)؛ فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، وإنما الصدقات للفقراء، والمساكين، وهذا من مساكين أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية.

٣- المتغير الإنساني:

> **طالما أن الإسلام دين حياة؛ فهو يهتم بمشاعر الفرد داخل المؤسسة فما الفائدة والفرد يتعامل بعدل، وتم إعداده خلقيًا، ولكن لا يؤخذ رأيه في شيء، وكأنه فرد جامد لا فائدة ترجو من رأيه، ويتوله قائد جامد المشاعر لا يرحم من معه، ولا يعاملهم بالحسنى.**

لا شكَّ أن الفرد عند ذلك سوف يشعر بضيق شديد، وتذمر داخلي يؤثر على أدائه الخارجي في العمل، وتنمو فطريات التمرد داخل النفوس، فتؤثر على أداء الإنتاج بالمؤسسة لذا كان الإسلام حريصًا على المشاعر الداخلية للأفراد، وراع كرامتهم، واحترم مشاركتهم في العمل بالفكر والنقاش والرأي فأسس مبدأ:

- الشورى والمشاورة: وهو مبدأ أساسي في نظرية الإدارة الإسلامية، ويجب المشاركة والمشاورة بالرأي كما قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

وكان الرسول ﷺ أحرص الناس على ذلك، فالفرد طبقًا لهذا المبدأ يكون مواطن إيجابي وفعال ومساهم بدور بارز في إدارة مؤسسة، وطبقًا لمرونة هذا النظام أقرَّ الإسلام المبدأ، وترك وسيلة تطبيقه طبقًا للظروف الخاصة بطبيعة العمل، فأصل النظام وجود رئيس ومرءوس، ولا تنازع بينهم، والكل ملتزم بالعمل للصالح العام، وليس لأغراض خاصة أو مصالح ذاتية، والدولة المسلمة ترعى وتنظم تلك العلاقة، ويتم اختيار الوسائل المناسبة لتنفيذ هذا المبدأ حسب التغيرات الحياتية، والمعيشية، والزمانية، والمكانية.

- **القيادة الإدارية الرشيدة:** وهو مبدأ أساسي إذ لا بدَّ من راعٍ يتولى الرعية، مسئول عنهم، يدفعهم نحو الإمام، يتولى قيادة دفة السفينة والفتن والهرج والمرج، وهذه القيادة في الإسلام تتميز بقوة الإيمان بالهدف والحرص والإصرار على الوصول إلى الغاية المرسومة عن طريق مجموعة من الأفراد المؤمنين برسالتهم المدركين لمسئولياتهم هذه القيادة ليست متسلطة، ولا متعالية، ولا غير مبالية، ولكنها تحسن التصرف في الأمور، وتقدرها بقدرها لا تهتم بالإنتاجية على حساب المشاعر الإنسانية، ولا تهتم بالفرد على حساب الإنتاج، وإنما هي توازن بين الأمرين؛ فهي تعطي الفرد الأمن، والأمان، والاطمئنان، والانتماء، والاحترام، وفي ذات الوقت تعطي الإنتاج، والذي على أعلى درجة من الجودة نفس الاهتمام كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن هذا الأمر لا يصلح فيه إلا اللين في غير ضعف، والقوي في غير عنف».

٤- المتغير النظامي:

هذا الفرد العامل وهذا المجتمع في ظل راية الإسلام لا بدَّ له من نظام حاكم، له سلطة توجيه المخطئ، وتدريب الجديد على العمل، وتعريف كل فرد بحقوقه وواجباته، وأوجب عليه أن يسمع ويطيع طالما ليس هناك أمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، بل يجب هنا تقويم سلوكه.

هذا النظام ليس طبقي، ولا استبدادي أو تسلطي، وإنما سنده الرئيسي المعرفة، وفنية العمل، والتدرج في الأداء، ويعرف تمامًا التفاوت في العلم، والمقدرة على الأداء، وهذا النظام لا يعرف سوى التنظيم الرسمي للسلطة؛ فالكل سواسية، وليس هناك أية صراعات أو مصالح لطبقة من الطبقات، فالكل يعمل للصالح العام، ويعالج الانحراف أينما وجد، فالولاء للشريعة الإسلامية، وليس للحاكم، والعمل بإخلاص وإتقان هذا هو جوهر النظرية الإدارية الإسلامية، وهي كنظام مفتوح تحتوي على مدخلات وأداء عمليات ومخرجات تتفاعل مع البيئة الخارجية، وتعطي مؤشراتها حتى تستمر دورة الحياة كما أرادها خالقها حتى يرث الأرض ومن عليها، وبالتفصيل هي:

١- المدخلات:

وتحتوي على عنصرين رئيسيين هما:

أ- الهدف من الإدارة في الإسلام، ويتلخص في:

- تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في العبادات والمعاملات والأحكام.
- عمارة الأرض التي فرضها الله على عبادة.

- خلافة الله في الأرض، وتشمل إقامة الحكم، والعدل، وتنظيم العلاقة بين المجتمع وأفراده.
- توفير الكفاية في المجتمع من كل شيء.

ب- برنامج العمل الذي يترجم الأهداف السابقة إلى واقع ملموس، ويشمل:

- توفير المتغير الاجتماعي.
- توفير المتغير الاقتصادي.
- توفير المتغير الإنساني.
- توفير المتغير النظامي.

٢- **العمليات الإدارية**: وهو هنا يشمل الوعاء الذي يحوي المدخلات التي تأتيه من المجتمع المسلم، ويقسمها إلى جزئيات وفروع متخصصة، ويكسبها الخبرات الفنية، والمهارات الإدارية، فيتم التفاعل داخل هذا الوعاء، فتتحول المدخلات في النهاية إلى مخرجات.

وهذا الوعاء يرتكز على أربعة متغيرات متكاملة معًا هي:

١- توفير وإعداد الموارد البشرية والمادية اللازمة.

٢- توفير الجانب العقائدي للفرد (الأمانة) عن طريق الرقابة الإدارية والتدريب العملي.

٣- توفير الجانب التنظيمي من تخطيط، وتنظيم، وتوجيه، ومتابعة، وإشراف، و...

٤- توفير الجانب الشوري أو المشاركة الفعالة.

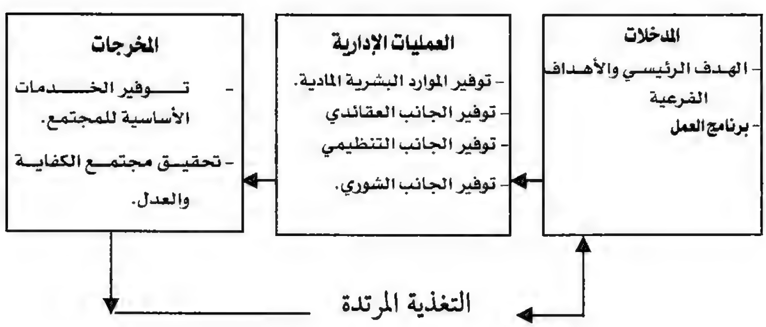
٣- **المخرجات**: في النهاية بعد عملية التفاعل تتحقق الرسالة المرجوة من النظرية الإدارية الإسلامية في عنصرين رئيسيين:

الأول: توفير الخدمات الأساسية للمجتمع.

الثانى: تحقيق مجتمع الكفاية والعدل.

٤- **التغذية المرتدة**: وهي مجموعة الآراء والأفكار والتقييمات التي تغذي النظام، وتوضح له مدى قدرته على أداء رسالته، وتصحيح مساراته وإرشاده للطريق السليم حتى تستمر دورة الحياة كما رسمها رب هذا الكون دون خلل أو زلل.

ويبيِّن الشكل التالي دورة حياة هذه النظرية:



ثانيًا: مبادئ الإدارة في الإسلام:

كان للإدارة في صدر الإسلام العديد من المبادئ الأساسية التي ارتبطت بها فكرًا وعملاً، فالإسلام شأنه منهج حياة، ولا يوجد شيء يكون منهج حياة إلا وهو يضع الأسس النظرية للأشياء، ومعها الطرق العملية لتنفيذ هذه الأسس، فكان من مبادئ الإدارة في صدر الإسلام:

١- **التخطيط**: وهو من أوليات مبادئ الإدارة، وأول مراحل أي عمل

مهما كان حتى يتحقق طبقًا للهدف المرسوم، ومنهج الإسلام في التخطيط يعتمد على مبدأ أساسي، وهو الدراسة الواعية للأمر جيدًا، ثم التشاور مع أهل الرأي، وأصحاب الحل والعقد في المجتمع الإداري المحيط، ومبدأ الشورى في كل تخطيط يبعث على تجنب العشوائية والتخبط، وكان التخطيط في صدر الإسلام يعتمد على مركزية القائد في التخطيط هو ومن يشاورهم حتى إذا ما وضعوا التخطيط المناسب للأمر كان هناك مرونة، وعدم مركزية في التنفيذ؛ فالرسول ﷺ يخطط للحرب، ويضع لها خطتها -بعد أن يتشاور مع الصحابة الكرام- أو يعطيها لقائد الجيش ليقوم بتنفيذها، ويضع له الخطوط العامة للأمر، ويوصيه بها، ثم يترك لقائد الجيش طريقة قيادة جيشه ومعركته حسب ظروف المعركة، وكان من بعده كذلك الخلفاء الراشدون عندما كان يرشدون ولاتاهم في الأقاليم والأمصار في الرفق بالرعية، وعدم التشديد عليهم في جباية الأموال، وحثهم على القيام بكل ما يفيد المسلمين من اهتمام بالزراعة، وتشجيعهم للعمل المثمر، ومن نماذج التخطيط في صدر الإسلام:

التخطيط في مكة:

ظلت دعوة الرسول ﷺ سرًّا قبل أن يأذن الله له بالجهر بالدعوة حيث قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، ثم كان التخطيط بكيفية البدء بالدعوة فكان أولاً يبدأ بالعشيرة الأقربين؛ لأنهم أولى، ولأنهم إذا اقتنعوا بدعوة الرسول ﷺ كان ذلك أدعى أن يقتنع بقية الآخرين؛ فقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ۞ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٤- ٢١٧].

فهنا تم تحديد أولى الناس بالدعوة الطريقة المناسبة للدعوة، والصبر عليهم، وإن لم يتحقق ما تريد، وفشل التخطيط المراد فليس عليك من شيء.

برنامج عمل متكامل للتخطيط حيث جوهر العمل وسياساته وإجراءاته وخطة العمل وطريقة تنفيذه والنتائج كذلك إن كانت إيجابية أو سلبية.

ثم بدأت الدعوة الجهرية للناس واشتداد الأذى بالمسلمين والدعوة الناشئة فكان التخطيط للحفاظ على مرتكزات الدعوة ورجالها فكانت الهجرة الأولى إلى الحبشة فهاجر تسعة رجال من المسلمين وزوجاتهم ثم الهجرة الثانية للحبشة وكان فيها ثلاثة وثمانون رجلاً وثماني عشر امرأة.

وفى مرحلة أخرى للتخطيط لإنجاح الدعوة، وهي عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل في مواسم الحج، فكان وفد قبيلتي الأوس والخزرج، وكانت البيعة الأولى بالعقبة، وفى السنة الثانية البيعة الثانية للعقبة، وما تم بها سرًّا ودون علم بقية الوفود من الأوس والخزرج غير المسلمين.

ثم كانت مرحلة التخطيط للهجرة إلى المدنية؛ فكان أمر الرسول بالهجرة بعد دراسة متأنية بأن مجتمع مكة لن يصلح كنواة لإقامة المجتمع الإسلامي في هذا الوقت، ولا بدَّ من مكان آخر يقوم فيه هذا الأمر، فكان الأمر بهجرة المسلمين إلى المدينة، ولم يخرج الرسول إلا في آخر المهاجرين، وبعد أن اطمأن على هجرة كل رجاله، وبقى معه أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، ونفر من المستضعفين لم يتمكنوا من الهجرة.

ثم كانت هجرة الرسول وصاحبه، وكان التخطيط الجيد لها –والذي سوف نستعرضه في موضع آخر– فكان الرسول ﷺ يأخذ بالأسباب، ويحكم تنفيذ الخطط، ويحكم التنفيذ حتى يتحقق الهدف الكامل لخطته.

التخطيط في المدينة:

اختلفت المجتمع الآن عن مكة وأوضاع جديدة تم تحليلها، وبسرعة حتى يتمكن الوافد الجديد من بناء المجتمع الذي ينشده، فكان هناك حرب وعداء بين

العشائر وأولاد العم، ديانات متعددة، وملل متباينة، أعداء متربصون بالداخل والخارج، فكان التخطيط أولاً لوجود مكان لبحث كل الأمور فيه، فكان المسجد حيث شعائر الدين، والتعلم، والمشاورة، وكل شيء، وإلقاء أول خطاب رسمي لهذا المجتمع؛ فقال الرسول ﷺ في أول خطبة له بالمسجد النبوي واضعًا دستور العمل بهذا المجتمع، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «**أما بعد، أيها الناس: فقدموا لأنفسكم تعلمون، والله ليضعفن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راعٍ، ثم ليقلون له ربه، وليس لترجمان ولا صاحب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فيبلغك، وأتيتك مالاً، وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فلينظرن يمينًا وشمالاً فلا يرى شيئًا ثم لينظر في قدامه، فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي بوجهه من النار، ولو بشق تمرة؛ فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته**».

ثم كان التخطيط للمؤاخاة بين المسلمين المهاجرين والأنصار، وذلك حتى تذوب عصبيات الجاهلية؛ فلا حمية إلا للإسلام، وأن تسقط فوارق النسب واللون، والوطن؛ فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه.

ثم كان التخطيط بتكوين اتحاد يضم جميع سكان المدنية من مهاجرين، وأنصار، ويهود، وتشاور معهم، وعقد وثيقة تضمن ليهود المدينة حرية العقيدة، ونصره، وحماية الجار، ورعاية الحقوق العامة، وشملت كذلك حقوق المسلمين وواجباتهم فيما بينهم وفيما بينهم وبين اليهود.

هذا كله تخطيط من الرسول ﷺ ليعيش أهل المدينة في سلام ووئام منذ بداية المجتمع الإسلامي المدني الأول.

وهكذا كان تخطيط الرسول وأصحابه -رضوان الله عليهم- في كل شيء في الحروب في الاقتصاد في الزراعة، والرعي، و...

٢- التنظيم:

وهو المبدأ الثانى من مبادئ الإدارة حيث يتم حصر وتوجيه النشاط الضروري لتحقيق هدف معين، ويتطلب التنظيم وضع هيكل لأي منظمة تفرغ فيه الواجبات والاختصاصات في قوالب محددة، وأقسام معينة منعًا للازدواجية، وتضارب، وتداخل الصلاحيات في العمل اليومي، وكان في صدر الإسلام للتنظيم الإداري عدة مرتكزات هي:

- التدرج الرئاسي.
- السلطة والمسئولية.
- الشورى.
- تفويض السلطة.

وبشيء من التفصيل تتناول النقاط السابقة:[١]

التدريج الرئاسي:

لقد عرف الإسلام التنظيم الجماعي، وما يتطلبه من تدرج رئاسي للسلطة قبل أن يفطن إليه غيره، يقول الرسول ﷺ: «**لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم**»، ويقول: «**إذا خرج ثلاثة في سفر؛ فليؤمر عليهم أحدهم**».

فالقيادة التي تتمتع بسلطة التوجيه والتنظيم أمر لازم وضروري لسير الحياة الجماعية في أي صورة من صورها، وهدفه هو إلا يستبد كل فرد برأيه أو أن يتصرف تبعًا لهواه فيحدث الضرر لنفسه وللمجموعة التي هو فيها.

(١) يرجى الرجوع بالتفصيل في هذا الجزء إلى المراجع التالية:
الإدارة في الإسلام ، د. أحمد إبراهيم أبو سن.
التوجيه الإسلامى في التدريب الإداري، فتحي قابيل محمد متولى.

وإذا كان من ضروريات التنظيم الجماعى أن يؤمر المسافرون عليهم أحدهم؛ فإنه ألزم وأشد ضرورة في المنظمات الإدارية التي ترعى مصالح الجماعة المسلمة.

وتدرج السلطة الرئاسي لا يعني أن ينفرد المسئول الأول بالسلطة كلها، بل وضع الإسلام لها قيودًا تحد منها؛ فالقيادة في الإسلام ليست سلطة تنفرد باتخاذ القرارات، ولا تتركها لمن هو دونها من ذوي الخبرة، بل ألزم المسلمين بالشورى مبدأ وتطبيقًا في سلوكهم في أي عمل جماعي بالمنظمة الإدارية، وألزم الأخذ بما ينتهي إليه رأي الجماعة، وعندئذ فقد أوجب على المسلمين طاعة القائد إلا أن يأمر بمعصية، فإن فعل فلا سمع ولا طاعة.

وواقع الأمر أن التدرج الرئاسي للسلطة لا يستند إلى وضع طبقي تسلطي في المجتمع الإسلامي بل يستند إلى درجة المعرفة، ومدى فنية العمل، ولما كان الأفراد يتفاوتون في المقدرات والمدارك العقلية والعلم؛ فإنهم يتفاوتون بالتالي في مستويات العمل والمقدرة على أدائه، فالتدرج الرئاسي في الإسلام يستند إلى تدرج الأعمال، وتفاوتها في العلم والإدراك والمعرفة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، كما يقول جل من قائل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

السلطة والمسئولية:

السلطة والمسئولية مقترنان في التنظيم، ومرتبطان بالتدرج الرئاسي في المؤسسة الإدارية حيث أن السلطة والمسئولية تتنازل مع مستويات الهيكل التنظيمي المختلفة.

والسلطة هي القدرة على اتخاذ القرار أو التصرف النهائي الملزم على الآخرين تنفيذه، والعمل بموجبه، وإطاعة مصدره.

والسلطة هي التي تمكّن المسئول من القيام بالمسئولية المناطة به، وبإدارته وهي تتكون من الواجبات والالتزامات التي ينبغي أن تؤدى.

ويعتبر تحديد السلطة والمسئولية للأفراد والإدارات بالتنظيم الإداري مبدأ أساسيًّا للتنظيم لكي يعرف كل عامل واجباته فيؤديها، وسلطاته فيمارسها، وبذلك تسهل مساءلته إن أخطأ، وجزؤاه إن أحسن.

والمسئولية هنا شخصية إذ أن كل عامل مسئول عن عمله وتصرفه، كما يقول عز وجل: ﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر: ١٨].

ومن الملاحظ أن الإسلام لم يستخدم لفظ السلطة حتى لا ينصرف المعنى إلى التسلط أو التحكم، بل استخدم لفظ ﴿أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وذلك في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]؛ لأن العمل العام هو أداء بمعروف وخدمة بإحسان.

ويرتبط بمبدأ السلطة والمسئولية تحديد اختصاص الوظائف الأخرى في الوحدة الإدارية، ويتم ذلك عن طريق تحليل الواجبات والمسئوليات ثم ترتيب الوظائف ترتيبًا نسبيًّا تبعًا لصعوبة العمل فيها، وما يتطلبه من مؤهل علمي، ودقة فنية، وما يرتبط بها من أهمية، وعلى الرغم من أن تحديد المسئوليات للوظائف المختلفة، وترتيبها ترتيبًا نسبيًّا لم تطرأ الحاجة إليه في صدر الإسلام إلا أن الترتيب للوظائف، وتحديد المسئوليات والسلطات كان معمولاً به تطبيقًا وعملاً؛ فقد رأى رسول الله أن يقوم بتنظيم الدولة بعد أن استتب له الأمر، فحدد واجبات الوظائف، واختار لكل وظيفة من يشغلها بكفاءة ومقدرة، من ذلك ما حدث عندما أنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم آية تحريم الخمر، فدعا الرسول ﷺ ابن عمر -رضي الله عنهما-

وعهد إليه تنفيذ أمر الله في تحريم الخمر لما كان يعهده فيه من شدة في الدين، فأمره أن يأتي الأسواق ويشق كل زق خمر يجده فيها، وذهب معه أول مرة وأخذ منه المدية، وشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته، ثم أعطاها له، وأمر من كانوا معه أن يمضوا مع ابن عمر، ويعاونوه في عمله.

ومن المبادئ المرتبطة بالسلطة والمسئولية أن تكون السلطة بقدر المسئولية، وهو ما يعرف بمبدأ تكافؤ السلطة مع المسئولية، ويتضح هذا المبدأ عندما كلف الخليفة أبو بكر ﷺ أسامة بن زيد قيادة جيش المسلمين في حرب الروم، ومنحه السلطة المطلقة في إدارة الجيش، ولم يستطع أبو بكر بعد ذلك أن يستبقي عمر بن الخطاب، وقد كان عمر أحد جنود جيش أسامة لمعاونته في إدارة شئون المسلمين بالمدينة إلا بعد أن استأذن أسامة بوصفه القائد المسئول عن الجيش، وله السلطة المطلقة عليه، فقال له: «إن رأيت أن تعينني بعمر فأفعل» فما كان من أسامة إلا أن يستجيب لطلب الخليفة.

الشورى في التنظيم الإسلامي:

لقد ألزم الله سبحانه وتعالى المسلمين بتبادل الشورى بين الرؤساء والمرءوسين في مختلف مستويات التدرج الرئاسي بالمؤسسة؛ فقال عز وجل: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] كما أمر رسول الله ﷺ أن يستشير في كل أمر قبل أن يبت فيه؛ فمبدأ الشورى في الإسلام مبدأ إلزامي وإيجابي، يقول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ٥١].

وكان الرسول يلتزم الشورى في مباشرته مهام الدولة، فكان يستشير أولي الرأي والخبرة من أصحابه في كل أمر من أمور الدولة السياسية والاقتصادية والحربية والإدارية، وكثيراً ما كان ينزل على رأي من يستشيرهم ما لم يوح إليه بغير ذلك.

ولقد قنّن الرسول الشورى فكوّن لها مجلسًا من أربعة عشر نقيبًا يختارهم من أهل الرأي والبصيرة ممن يشهد لهم بالعقل والفضل، وممن أبانوا قوة الإيمان والكفاية في بث الدعوة الإسلامية، وقد كان اختيار النقباء مناصفة بين الأنصار والمهاجرين حتى يكون القرار شموليًّا يقبله الأنصار والمهاجرين.

وقد سلك الخلفاء الراشدون طريق الشورى أسوةً برسول الله؛ فكان أبو بكر ﷺ إذا أنزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار دعا عمر وعثمان وعليا وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وكل هؤلاء كان يفتي الناس في خلافة أبي بكر.

وكان عمر لا يقطع أمرًا عظيمًا من دون استشارة أصحابه، ويقول: «الرأي الفرد كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مرار لا يكاد ينتقض».

كما كان عمر ﷺ يسأل الناس في المسجد عن آرائهم في المسائل العامة ثم يعرض رأيه ورأيهم على مجلس الشورى الذي يتكون في عهده أيضًا من أربعة عشر عضوًا، فإذا استقر رأي هؤلاء على أمر أمضاه.

وفى الشورى قوة للمسلمين وترابط بينهم، وهي تدعم جماعية الفكر والتفاهم المشترك، وتقوي أواصر الأخوة بين المسلمين، وقد حرص الإسلام على تأكيد التآلف والترابط الجماعي في مواقف كثيرة.

يقول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويحذر من مغبة التنازع يقول: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الحشر: ١٤].

ويعتبر الرسول الخروج على الجماعة، وما اتفقت عليه بعد الشورى،

وتبادل الرأي ردة جاهلية؛ فيقول: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية**».

كل ذلك يؤكد أن مبدأ الشورى مبدأ أساسي في الإدارة في الإسلام، فإذا ما اتفق المسلمون على شيء وجب تأييده واتباعه والالتزام به دون مخالفة أو معارضة للجماعة المشاورة أو لولي الأمر المنفذ لقرار الجماعة، ويؤيد ذلك قول الرسول ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع أميري فقد أطاعني، ومن يعصي أميري فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه، ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل؛ فإن له بذلك أجرًا، وإن قال بغيره؛ فإن عليه منه**».

تفويض السلطة:

إنَّ مبدأ الشورى الذي ألزم به الله عباده في إدارة شئون المسلمين لا يجعل السلطة مطلقة في يد الخليفة أو الوالى، بل أن من ضروريات الشورى ومستلزماتها أن تفوض السلطة أيضًا إلى المساعدين والمرءوسين للخليفة، وقد كان الخليفة يفوض السلطة لولاته وعماله في الولايات، والإمارات الإسلامية، كما يفوِّض لمساعديه على المستوى المركزي كلٌّ في حدود اختصاصاته.

ومن الأحداث التي توضح تفويض ذوي الاختصاص في عهد عمر ﷺ أنه جاء نفر من الناس، فقالوا له: إن عياض بن غنم، وهو من كبار الفاتحين ورجال الإدارة في حكومته يتوسع كثيرًا في إعطاء المال حتى لا يقل في هذا المعنى عن خالد بن الوليد؛ فقال لهم: «إنَّ ذلك من شأن أبي عبيدة».

إشارة إلى أن مراقبة التصرف في أموال المسلمين هو من اختصاص أبي عبيدة بن الجراح أمين بيت المال، وله السلطة في التحقق من سلوك عياض، لا سيما وأن عياض بن غنم كان من أقرباء أبي عبيدة.

كما كان الولاة أو الأمراء مفوضين تفويضًا عامًا في كلّ ما يتعلق بإدارة الأقاليم، إلا أن هذا التفويض لا يمنع الخليفة من إسداء النصح من وقت لآخر، ومن مراقبة الوالي ومحاسبته إذا أساء استعمال السلطة المفوضة له، ومن الأمثلة على التفويض الكامل للولاة تلك المعاهدات، والانفاقات التي عقدها الأمراء من الأعداء والمحكومين مع غير المسلمين كمعاهدة خالد بن الوليد مع الفرس، ومعاهدات عمرو بن العاص مع المقوقس حاكم مصر دون الرجوع إلى الخليفة.

الهياكل التنظيمية في الدول الإسلامية:

في عهد الرسول:

كان الرسول يمثل السلطة العليا في الجهاز الإداري للدولة الإسلامية، يعاونه من يختارهم من المسلمين الأوائل؛ فمنهم مجلس الشورى ممن شهد لهم بالعقل والفضل والتفاني في بثّ دعوة الإسلام، وهم سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار، منهم حمزة، وجعفر، وأبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وسلمان، وعمار، وحذيفة، وأبو ذر، والمقداد، وبلال.

كما كان له صاحب سر هو حذيفة بن اليمان، وأمين على خاتمه هو الحارث بن عوف المري، وأيضًا حنظلة بن الربيع بن صيفي.

كما كان يكتب له نفر كريم من أجله الصحابة، كان علي بن طالب يكتب العهد والصلح، وممن كتب له أبو بكر، وعمر، وعثمان، والزبير، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص، وحنظلة الأشيدي، والعلاء بن الحضرمي، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن رواحة، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن أبي بن سلول، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وجهيم بن الصلت، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقد بلغ كُتَّاب الرسول اثنين وأربعين رجلاً.

وكان معيقيب بن أبي فاطمة يكتب مغانم الرسول، وكذلك كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري، وكان يقال له: صاحب المغانم، وحذيفة بن اليمان كان يكتب حرث ثمر الحجاز، والعلاء بن عتبة، وعبد الله بن الأرقم يكتبان بين الناس في قبائلهم ومياههم، وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء.

وكان عبد الله بن الأرقم يجيب الملوك عن الرسول، والزبير بن العوام، وجهيم بن الصلب يكتبان أموال الصدقات، والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات، وشرحبيل بن حسنة يكتب التوقيعات إلى الملوك.

ومن شعراء الرسول حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وقد انتدبهم لهجو المشركين، وكان خطيبه ثابت بن قيس، وترجمانه إلى الفارسية والرومية والقبطية والحبشية واليهودية زيد بن ثابت، وكان ناجية الطفاوي، ونافع بين ظريب النوفلي يكتبان المصاحف.

وكانت شفاء أم سليمان بن أبي حنتمة تعلّم النساء الكتابة، وعبادة بن الصامت يعلّم أهل الصفة القرآن.

وكان أول قاضٍ في المدينة عبد الله بن نوفل، ومقرئ المدينة مصعب بن عمير، وأول لواء عقد في الإسلام لواء عبد الله بن جحش.

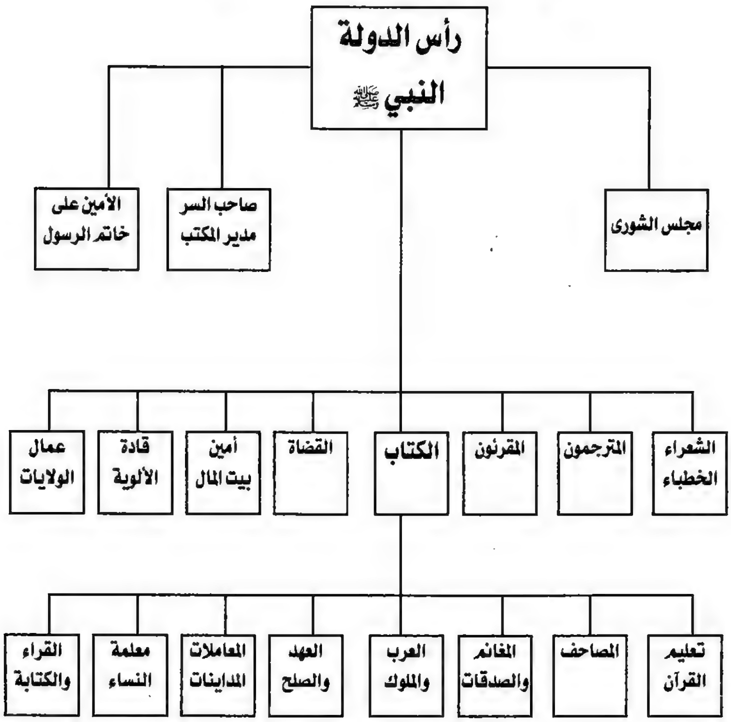
ومن عماله أبو دجانة الساعدي وسباع بن عرفطة عاملاه على المدينة، واستعمل أبا سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب، ووجَّه راشد بن عبد الله على القضاء والمظالم، وعتاب بن أسيد كان والي مكة.

وكان الرسول ﷺ يقول: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرأهم أبي بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**».

كما قال: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة».

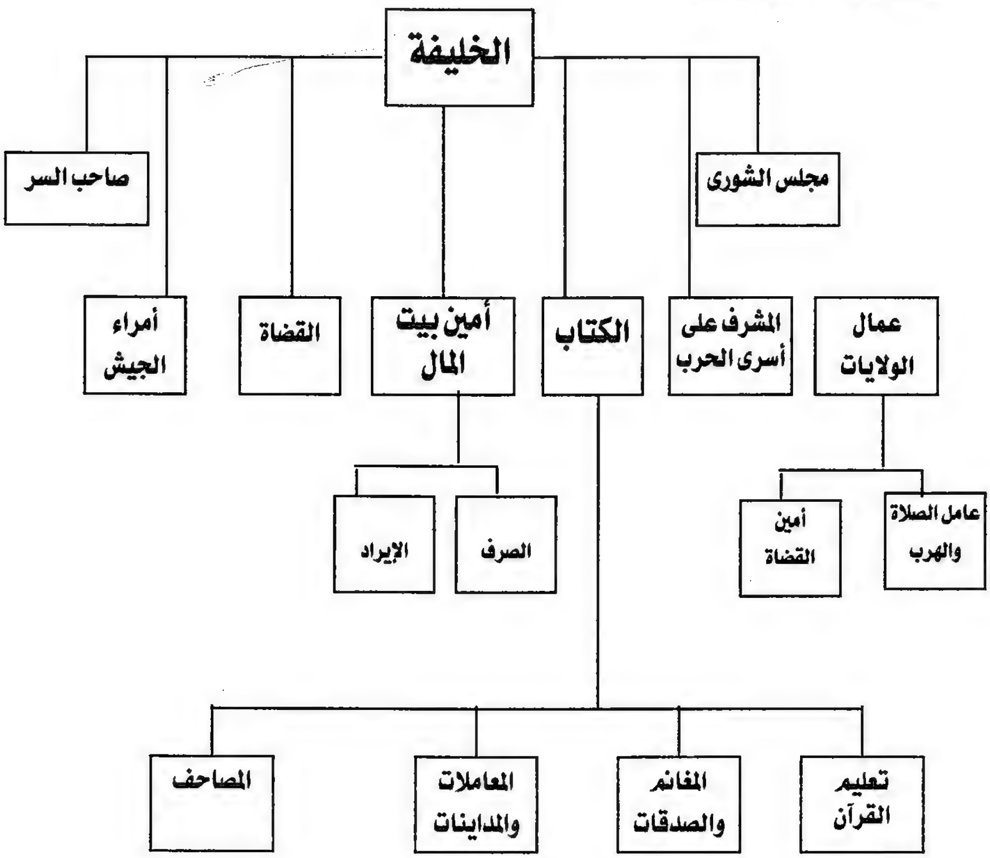
وجمع القرآن (أي: حفظه جميعه) من الأنصار أبي، ومعاذ، وزيد بن ثابت، وأبو قيس بن السكن.

الهيكل التنظيمي في عهد الرسول ﷺ



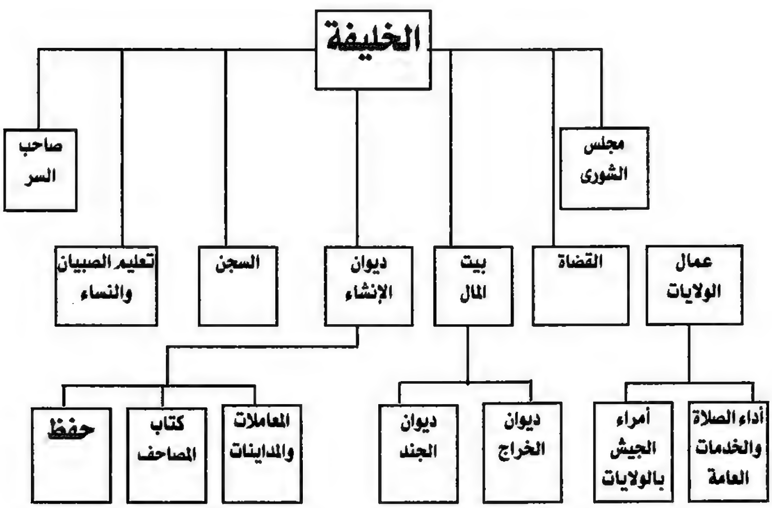
الهيكل التنظيمي في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ﷺ:

تعدل الهيكل التنظيمي في عهد أبي بكـر الصـديق، وذلـك تبعًـا لمقتضـيات الموقف، وظروف البيئة حيث التوسعات، والفتوحات، وزيادة أعـداد المسـلمين والغنائم، فقام أبو بكر بإسناد القضاء إلى عمر بن الخطاب ﷺ، والإشراف علـى الأسرى من الحروب إلى علي بن أبي طالب، وأمانة بيت المال إلى أبي عبيدة بن الجراح، وقسمت الولايات إلى الحجـاز ثـلاث ولايـات، وهـي: مكـة، المدينـة، الطائف، واليمن ثمان، وهي: صنعاء، حضرموت، جولان، زبيد، رمـع، الجنـد، نجران، حرش، البحرين، وما إليها ولاية، وأبقى على مجلس الشورى كمـا هـو على عهد الرسول ﷺ.



الهيكل التنظيمى في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ:

عدَّل عمر الهيكل التنظيمي؛ فقد زادت في عهده رقعة الدولة، فأضاف مؤسسات جديدة تبعًا لهذا التوسع الذي حدث فظل مجلس الشورى كما هو، واحتفظ بإدارة بيت المال لنفسه، ووزَّع باقي الأعمال على الصحابة، وقال: من أراد أن يسأل عن الفرائض (الميراث)؛ فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه، فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال، فليأتني فإن الله جعلنى خازنًا وقاسمًا، ووضع الدواوين الخاصة بالخراج والأموال والإنشاء والجند، وفصل القضاء عن إدارة الولايات، وقام بإحصاء للناس لتقدير الخراج، وتقدير مساحة الأرض والخراج عند الحصاد، وأقام مساجد ومكاتب لتعليم الصبيان وتأديبهم.



٣- الرقابة ومتابعة الإنجاز والأداء:

حرص الإسلام منذ البداية على وضع التوجيهات التي تكفل الرقابة على الأداء والمتابعة الواعية للسلوك البشري، وذلك حتى يكون هناك حفاظ على سلامة الكيان والمجتمع الإسلامى بما يضمان استمراره دون معوقات، ويشبع في ذات الوقت الحاجات الجماعية المختلفة لأفراد هذا المجتمع، وكان أفضل الوسائل في هذه الرقابة هي:

- الرقابة الذاتية - متابعة الإنجاز - وضع الضوابط والمعايير.

- الرقابة الذاتية[1]:

النهج السوى للإسلام اقتضى أن يكون دينًا ودنيا، منهاج حياة، وهو ما استتبع أن يكون للعبادة فيه مفهوم شامل متكامل إذ تعني اتباع أوامر الله، وتجنب نواهيه في سائر شئون الدنيا والدين، كما نصَّ على ذلك القرآن الحكيم، وبينته سنة الرسول الكريم، باعتبارهما مصادر مشرعة تضع لنا ضوابط السلوك والفكر الإسلامى القويم.

وتستهدف هذه الضوابط خير البشرية في شئون الدنيا والدين لذا حرص الإسلام على التزام المسلمين بهذه الضوابط عن طريق نوع من الرقابة الذاتية قوامها التناصح فيما بينهم بالائتمار بالمعروف، والتناهي عن المنكر، وبذلك يحققون مجتمعًا فاضلاً، ويكونون بالتالي خير أمة أخرجت للناس.

وتؤكد آيات القرآن المجيد هذه المعاني السامية؛ فيقول جل من قائل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[التوبة: ٧١]. كما يقول سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ

---

(١) حمدي أمين عبد الهادي: الفكر الإداري الإسلامي والمقارن.

﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤]، و﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويبيِّن لنا الرسول الكريم أهمية النصحية كأساس تقوم عليه هذه الرقابة الذاتية؛ فيقول: «**الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

ويحذِّر المولى سبحانه من سوء عاقبة ترك المنكر يستشري دون نهي عنه؛ فيقول: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

كما يوضح صلوات الله وسلامه عليه أساليب النهي عن المنكر، وتغييره، ويدرجها حسب الاستطاعة؛ فيقول: «**من رأي منكم منكرًا؛ فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

إنَّ هذه الرقابة الذاتية هي أداة التغيير السلوكي الذي يؤمن به الإسلام لتطوير المجتمع إذ يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وقد كانت هذه الرقابة قوام نظام الحسبة، الذي عرفته الإدارة العامة في الدولة العربية الإسلامية.

ويحقق الأخذ بهذه الرقابة على مستوى المؤسسة الإصلاح الإداري المنشود تلقائيًّا، كما يحقق الأخذ بها على مستوى الدولة ما تستهدفه من تطوير اجتماعي.

- متابعة الإنجاز:

يقرر الإسلام مبدأ مسئولية الشخص عن أعماله في الحياة الدنيا، وهي مسئولية تجد أساسها العقائدي في الإيمان بيوم الحساب (اليوم الآخر)، يوم يحاسب الله البشر على أعمالهم، ويجازيهم عنها؛ إما بثواب الجنة أو بعقاب

النار؛ فهو سبحانه المحيط، والبصير، والخبير بأعمالهم، والرقيب عليهم، وهو ما تؤكده العديد من آيات الذكر الحكيم نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨]، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، و﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وفى ضوء هذه المتابعة الإلهية لسائر أعمال البشر يوجهنا الله سبحانه إلى إجراء متابعة إنجاز من هذا القبيل بمعرفتنا دنيويًّا، وهو ما يشير إليه صراحةً قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، كما يشير إليه ضمنا قوله سبحانه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ [النجم: ٣٩، ٤٠].

وفى ضوء ما تقدم نجد أنه مادام عمل الإنسان، وسعيه في هذه الحياة هو مصدر قيمته، ومناط مسئوليته؛ فإنه يتعين رؤية هذا العمل بواسطة الآخرين باتباع وسائل متابعته المختلفة سواء عن طريق الإشراف، وما يتطلبه من مهارات قيادية، أو تقييم الإنجاز بموجب تقارير نشاط دورية، وممارسة التفتيش، والرقابة على اختلاف أنواعها، وأجهزتها؛ فلا بدَّ من أساليب متابعة نشطة تحصى على العامل نشاطه، وتتابع سعيه لتقييمه أولاً بأول في ضوء معدلات دقيقة ومعروفة، ووفق ضوابط، ومعايير محددة للتكاليف والأداء.

- الضوابط والمعايير:

يدعو الإسلام إلى التزام الفكر والسلوك السوي القويم الذي لا يعرف إفراطًا أو تفريطًا ولا انحرافًا أو تطرفًا، مما يقتضي تنظيم وتقنين النشاطات البشرية وفق ضوابط معينة، ومعايير محددة معلومة يلتزمها الأفراد، وتجري مساءلتهم على مقتضاها، ولذا يتعين وضع ضوابط، ومعايير انجاز توازن الأعمال، ويقوم العاملون على أساسها بموجب تقارير نشاط، وهو ما تستند إليه الرقابة والمتابعة وفق أحدث أصولها العلمية وأساليبها الفنية.

ولنا في توجيهات القرآن الحكيم خير مرشد في هذا الصدد؛ فالله خلق الكون، وأبدع صنعه، وأحكم تسييره وفق ضوابط دقيقة قدرها، إذ يقول سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، و﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٩، ٤٠]، و﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩].

فالله سبحانه يرشدنا في الآيات السابقة إلى أنه جرى في خلقه للكون وتسييره له وفق معايير محددة وضوابط معينة قدرها وقررها، ومن ثم كان خليقًا بنا -في ضوء هذا التوجيه الإلهي- أن نسير في فكرنا وسلوكنا على نحو رشيد وفق أصول وضوابط يهدي إليها العقل السليم.

كما يضع تبارك وتعالى -وهو العليم بطبائع البشر الخبير بأعمالهم- المقاييس الحق والموازين القسط لأعمال الناس يحاسبهم على مقتضاها يوم القيامة إن ثوابًا أو عقابًا.

وفى هذا يقول جلت قدرته، وسمت حكمته: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٢]، ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

وعلى ضوء هذا الهدي القرآني في وضع موازين العمل يتم وضع

معدلات للأداء، ومقاييس للأعمال في الحياة الدنيا، ويتم المساءلة عنها، والمحاسبة عليها بموضوعية دقيقة.

وإحكامًا للرقابة والمسئولية ينبغي أن تحصى الأعمال، وتسجل الإنجازات بدقة أولاً بأول، فتدوَّن في تقارير وصحائف منشورة، ولذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۞ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] كما يقول سبحانه: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

هذه هي المقومات الإسلامية الأساسية التي مراعاتها في وضع وتطبيق أفضل نظم الرقابة والمتابعة.

ومن أمثلة الرقابة عند الرسول ﷺ:

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يراقب ولاته وعماله، فقد اشتكى وفد عبد القيس العلاء بن الحضرمي واليه عليهم، وبعد أن استمع إليهم، وتحقق من صحة شكواهم عزل العلاء، وولى عليهم أبان بن سعيد وزوده بوصيته قائلاً: «**استوص بعبد القيس خيرًا، وأكرم سراقهم**».

واستعمل مرة رجلاً على الصدقات؛ فلما رجع حاسبه، فقال: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ، فقال النبي: **ما بال الرجل نستعمله على العمل بما ولانا الله؛ فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي إليَّ، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه، فنظر أيهدى إليه أم لا؟** وقال: **من استعملناه على عمل ورزقنا رزقًا فما أخذ بعد؛ فهو غلول** (أي: خيانة).

* * *

القيادة والصفات الأساسية



القيادة والصفات الأساسية

إن العناصر الأساسية اللازمة لقيام أي قيادة على الجماعة تتلخص في ثلاثة عناصر هي:

١- جماعة من الناس تبدأ بشخصية أو تزيد.

٢- أن يكون لهذه الجماعة هدف مشترك يسعون لتحقيقه.

٣- أن يقوم على الجماعة شخص يختارونه أو يرتضونه كقائد، ويتعاونون معه لتحقيق هذا الهدف، وبلوغ الغاية التي يرجونها، ولا بدَّ هنا أن تثبت قدرة القائد على الإسهام في قيادة الجماعة، وتقدمها نحو الاتجاه والهدف المرغوب، ولن يتأتى له ذلك إلا عن طريق التفاعل الاجتماعي مع أتباعه حتى يعملوا كفريق متعاون منسجم، وأن يكون القائد كفرد منهم يؤمن بما يؤمنون به، ويلزم نفسه بما يلزمون به أنفسهم، وحتى يتحقق ذلك لا بدَّ لهذا القائد من صفات أساسية يتحلى بها، هذه الصفات هي:

١- الإيمان.

٢- الإخلاص.

٣- اليقين والتوكل.

٤- العلم والتعلم.

٥- التربية.

٦- الحلم.

٧- حسن الخلق.

٨- الرحمة.

٩- العدل.

١٠- الصبر وتحمل الشدائد.

الإيمان:

إيمان القائد أساس أولي للقيادة:

يقول الله ﷻ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال أيضًا: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفى حديث جبريل حين جاء إلى النبي ﷺ في صورة إعرابي يسأله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، قال ﷺ عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

فهذه الأمور الستة هي أركان الإيمان، وهي الأصول التي بعث بها القائد الأول ﷺ، ولا يتم إيمان القائد إلا بها جميعًا.

---

(١) صحيح مسلم .

١- الإيمان بالله ﷻ:

ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء، ومليكه، وخالقه، وأنه الـذي يستحق وحده أن يفرد بالعبادة من صـلاة، وصـوم، ودعـاء، ورجـاء، وخـوف، وذل، وخضوع، وأنه المتصـف بصـفات الكمـال كلـها المنـزه عـن كـل نقـص، فالإيمان بالله يتضمن توحيده في ثلاثة:

- **في ربوبيته** ← وتعني الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ولا رب غيره.
- **في الوهيته** ← وتعني الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحـق، ولا إله غيره، وإفراده سبحانه بالعبادة والإله هـو المـألوه أي: المعبـود، والعبـادة في اللغـة هـي الانقيـاد، والتـذلل، والخضوع، أي: كمال الحب مع كمال الخضوع.
- **في أسمائه وصفاته** ← فالله هو الأحـد، الصـمت، لم يلـد، ولم يولـد، ولم يكن له كفوًا أحد، ومعنى توحيد الله ﷻ في هذه الأمـور اعتقـاد تفـرده سـبحانه بالربوبيـة والألوهيـة، وصـفات الكمال، وأسماء الجلال؛ فـلا يكـون القائـد مؤمنًا بـالله حتى يعتقد أن الله رب كل شيء، ولا رب غيره، وإله كل شيء، ولا إله غيره، وأنه الكامل في صفاته وأسمائه، ولا كامل غيره.

٢- الإيمان بالملائكة:

والمقصود بذلك الاعتقاد الجازم من القائد بأن لله ﷻ ملائكة مخلـوقين مـن نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظـائفهم الـتي أمـرهم الله بالقيام بها.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا

وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

ويقول تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر: ١].

وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ: **«خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»**[(١)].

وعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما في السماوات السبع موضع قدم، ولا شبر، ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع؛ فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعًا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئًا»**[(٢)].

وللإيمان بالملائكة آثار عظيمة في حياة القائد منها:

- أن الله ﷻ جنبنا بما أطلعنا من أمور هذه الأرواح المؤمنة، وأفعالها الوقوع في الخرافات، والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب، ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي.
- الاستقامة على أمر الله ﷻ؛ فالقائد الذي يستشعر بقلبه وجود الملائكة جنود الرحمن، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحي من الله، ومن جنوده؛ فلا يخالفه، ولا يعصيه لا في السر، ولا في العلن، إذ كيف له ذلك، وهو يعلم أن كل شيء محسوب، ومكتوب، ومشهود عليه.
- الصبر، وعدم اليأس، والشعور بالآنس، والطمأنينة؛ فهو ليس وحيدًا.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الطبراني.

٣- الإيمان بالأنبياء والمرسلين:

ويعني ذلك الإيمان بمن سمى الله ﷻ في كتابه من رسله وأنبيائه والإيمان بأن الله ﷻ أرسل رسلاً وأنبياء لم يعلم عددهم وأسماءهم إلا الله تعالى حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

ويقول تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٣٤].

ويقول أيضًا: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس:٤٧].

فهؤلاء الرسل والأنبياء يجب الإيمان برسالتهم ونبوتهم تفصيلاً بمعنى أن القائد لو عرض عليه واحد منهم لم ينكر نبوته، ولا رسالته، وكذلك الإيمان بأن الله بعث هؤلاء الرسل والأنبياء إلى الخلق لتبشيرهم وإنذارهم، تبشيرهم برضوان الله وثوابه وجنته وإنذارهم من غضب الله، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام:٤٨- ٤٩].

وكذلك الإيمان في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته؛ فقد قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:١٥].

وعلى القائد أن يؤمن بأنهم -الرسل والأنبياء أكمل الخلق علمًا وعملاً وأصدقهم وأكملهم أخلاقًا، وأن الله سبحانه خصَّهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد، وأنه عصمهم، ونزَّههم عن الكذب، والخيانة، والكتمان، والتقصير في التبليغ، وعن الكبائر كلها والصغار، وقد تقع منهم زلات وعثرات بسيطة، ولكنهم لا يقرون عليها بل يوفقون للتوبة منها، كذلك على القائد أن يؤمن بأن رسل الله جميعًا وأنبيائه كانوا رجالاً من البشر؛ فلم يكونوا من الملائكة، ولم يبعث الله أنثى حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧].

وكذلك لم يخصهم سبحانه بطبائع أخرى غير الطبائع البشرية، وإنما هم رجال يأكلون، ويشربون، ويمشون في الأسواق، وينامون، ويجلسون، ولهم أزواج وذرية، ويتعرضون للأذى، وتبطش بهم أيدي الظلمة أحيانًا، وقد يقتلون في سبيل الله، وبغير حق، ويتألمون، ويصبهم المرض، وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية بين الخلق.

٤- الإيمان بكتب الله ﷻ:

أي: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله؛ فكما أن الله ﷻ قد أنزل القرآن على محمد ﷺ؛ فقد أنزل كتبه من قبل على سائر الرسل، ومن هذه الكتب ما سماه الله لنا في القرآن الكريم، ومنها ما لم يسم، والذى أخبرنا به ﷻ منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وموسى، وعلى القائد أن يؤمن بأن القرآن الكريم هو آخر كتاب نزل من عند الله تعالى، وأن ﷻ قد خصه بمزايا تميز بها عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة، ومن أهمها:

- أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية.
- أنه هو الكتاب الوحيد الرباني الذي تعهَّد الله بحفظه؛ فقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٥- الإيمان باليوم الآخر:

والقصد هنا الإيمان بكل ما أخبر به الله ﷻ في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنه، وعذابه، ونعيمه، والبعث، والحشر، والصحف، والحساب، والميزان، والحوض، والصراط، والشفاعة، والجنة، والنار، وما أعد الله تعالى لأهلها جميعًا.

ويهتم رب العزة بهذا اليوم العظيم دائمًا؛ فهو كثيرًا ما يربط الإيمان به بالإيمان بالله ﷻ ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وكذلك: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩].

٥- الإيمان بقضاء الله وقدره:

وهو أحد أركان العقيدة الإسلامية، ومن كفر بالقدر خرج من دين الله ﷻ والقدر: هو علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل، والقضاء: إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته.

يقول ﷻ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

ويقول أيضًا: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

وكذلك: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»**(١).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»**(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل: قدرالله، وما شاء فعل فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»**(٣).

---

(١) صحيح مسلم .
(٢) صحيح مسلم .
(٣) صحيح مسلم .

وعندما سُئِلَ الإمام أحمد عن القدر، قال: القدر قدرة الرحمن.

ويقول الطحاوي: «وكل شيء يجري بتقديره، ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ماشاء الله؛ فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن لا راد لقضائه».

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله: إن الإيمان بالقدر يشتمل على أربعة مراتب هي:

الأولى ← الإيمان بعلم الله القديم، وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها.

الثانية ← كتابه ذلك في اللوح المحفوظ.

الثالثة ← مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة.

الرابعة ← إيجاد الله لكل المخلوقات، وأن الخالق وكل ما سواه مخلوق.

ومن الإيمان كذلك إيمان القائد بقيادته العليا، واطمئنانه الكامل إليها، وثقته فيها، وتصديقه بها، وكذلك إيمانه بالمنهج، وبالأهداف، والغاية التي يسعى إليها ذلك المنهج.

وكذلك الإيمان بقيم كل من المجتمع، والمؤسسة، والجماعة التي يتولى هذا القائد قيادتها، وإيمانه، وثقته في كل رؤسائه، ومرءوسيه، وفي نفسه.

فإيمان القائد من أساسيات القيادة، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة:

حينما جاءت سادات قريش إلى أبي طالب؛ فقالوا له: يا أبا طالب! إن لك سنًا، وشرفًا، ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك، فلم تنهه، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا أو تنازله، وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين؛ فعظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، فبعث إلى رسول الله ﷺ، وقال له: يا ابن أخي! إن قومك قد جاءوني؛ فقالوا لي: كذا وكذا، فابق عليَّ، وعلى نفسك، ولا تحملني

من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أن عمه خاذله، وأنه ضُعف عن نصرته؛ فقال: **يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر** -حتى يظهره الله أو أهلك فيه- **ما تركته** ثم استعبر وبكى، وقام فلما ولى ناداه أبو طالب، فلما أقبل قال له: أذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدًا، وأنشد:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر وقر بذاك منك عيونا

الإخلاص:

الإخلاص في حقيقته قوة إيمانية، وصراع نفسي يدفع صاحبه -وهو القائد- بعد جذبٍ وشدٍّ إلى أن يتجرد من المصالح الشخصية، وأن يترفع عن الغايات الذاتية، وأن يقصد من عمله وحبه الله لا يبغي من ورائه جزاءً ولا شكرًا إلا منه.

وإذا استمر القائد على هذه الحالة من المجاهدة والتغلب على وساوس الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء، يصبح الإخلاص في أعماله كلها خلقًا وعادة بل تصبح الأعمال التي تصدر عنه خالصة لله رب العالمين دون أن يجد في ذلك أي تكلف أو مجاهدة.

يقول تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء...﴾ [البينة: ٥]

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾ [الإنسان:٨-٩].

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

﴿أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣٠].

ويقول الرسول ﷺ:

- عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[١].

- عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، وابتغى به وجه**»[٢].

- عن معاذ بن جبل أنه قال حين بُعِثَ إلى اليمن: يا رسول الله! أوصني قاله عليه الصلاة والسلام: «**أخلص دينك يكفك العمل القليل**»[٣].

وفى الأثر:

- قال علي -كرَّم الله وجهه-: لا تهتموا لقلة العلم، واهتموا للقبول.

- كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري: من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس.

- كان معروف الكرخي يضرب نفسه، ويقول: يا نفس أخلصي تتخلصي.

- سئل الفضيل بن عياض عن أحسن العمل في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك:٢]؛ قال: أحسن العمل أخلصه وأصوبه.

وقال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، لم يقبل العمل حتى يكون خالصًا صوابًا.

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أبو داود والنسائي.
(٣) رواه الحاكم.

وقال: والخالص ما كان لله، والصواب ما كان الشريعة، ثم قرأ قوله تعالى في آخر سورة الكهف: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

- **وقال بعضهم:**

✍ أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل.

✍ تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال.

✍ من صفى صُفي له، ومن خلط خُلِطَ عليه.

✍ مراد الله من عمل الخلائق الإخلاص فقط.

✍ إن لله عبادًا عقلوا، فلما عقلوا عملوا، فلما عملوا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع.

✍ الإخلاص فقد رؤية الإخلاص؛ فإن من شاهد في إخلاص الإخلاص فقد احتاج إخلاص إلى إخلاص.

✍ الإخلاص صدق النية مع الله تعالى.

✍ قيل: أي شيء أشد على النفس؟ قيل: الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب.

- وكان هناك عابد من العباد في الأمم السابقة يعبد الله دهرًا طويلاً فجاءه قوم، فقالوا: إن هاهنا قومًا يعبدون شجرة من دون الله، فغضب لذلك، وأخذ فأسه على عاتقه، وقصد الشجرة ليقطعها، فاستقبله إبليس في صورة شيخ؛ فقال: أين تريد... رحمك الله؟

قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة.

قال: وما أنت وذاك؛ تركت عبادتك، واشتغالك بنفسك، وتفرغت لغير ذلك؟!!

قال: إن هذا من عبادتي.

قال: فإني لا أتركك أن تقطعها.

فقاتله، وما هي إلا لحظات، حتى طرحه العابد على الأرض، وقعد على صدره.

فقال له إبليس: أطلقني حتى أكلمك، فقام عنه.

فقال إبليس: يا هذا، إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا، ولم يفرضه عليك، وأنت لا تعبدها، وما عليك من غيرك؟ ولله تعالى أنبياء في أقاليم الأرض، ولو شاء لبعثهم إلى أهلها، وأمرهم بقطعها!!..

فقال العابد: لا بدَّ لي من قطعها.

ونابذه القتال، وتصارعا، فغلبه العابد ثانية، وصرعه وقعد على صدره، فلما رأى إبليس عجزه وضعفه سلك طريق الاحتيال، وعلم أن هذا العابد ما دام مخلصًا لله، فلن تكون قوة في الأرض تغلبه، أو تثنيه عن عمله، وبالفعل فقد لجأ إلى أن يغير العابد نيته، وأن يريد شيئًا غير الله وثوابه.

فقال له: هل لك في أمر فصل بيني وبينك، وهو خير لك وأنفع؟

قال العابد: وما هو؟

قال إبليس: أطلقني حتى أقول لك، فأطلقه.

فقال إبليس: أنت رجل فقير، لا شيء لك.. والناس تعولك، ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك، وتواسي جيرانك، وتشبع، وتستغنى عن الناس؟

قال العابد: نعم!!

قال: فارجع عن الأمر، ولك عليَّ أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين، إذا أصبحت أخذتها، فأنفقت على نفسك وعيالك، وتصدقت على إخوانك، فيكون ذلك أنفع لك، وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها، ولا يضير عبادها قطعها شيئًا، ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها!!.

فتفكر العابد فيما قال... ثم قال: صدق الشيخ، لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة، ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصيًّا بتركها، وما ذكره أكثر منفعة؛ ثم وضع يده في يد الشيخ وتعاهدا، وقد عاهده إبليس على الوفاء بذلك وحلف له.

ورجع العابد إلى صومعته، فبات، فلما أصبح رأي دينارين عند رأسه، فأخذهما، وكذلك في الغد، ثم أصبح في اليوم الثالث، وما بعده، فلم ير شيئًا!!

فغضب، وأخذ فاسه على عاتقه، ومضى إلى الشجرة يريد قطعها، فاستقبله إبليس في صورة شيخ، فقال له: إلى أين تريد؟

قال: أقطع تلك الشجرة.

فقال: كذبت! والله ما أنت بقادر على ذلك، ولا سبيل لك إليها.

فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة، فقال: هيهات هيهات!!.

وما هي إلا لحظة حتى أخذه إبليس، وصرعه، فإذا هو كالعصفور بين رجليه، وقعد إبليس على صدره، وقال: لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك.

فنظر العابد، فإذا لا طاقة له به، قال:

يا هذا غلبتني فخل عني، وأخبرني كيف غلبتك أولاً، وغلبتني الآن؟

فقال إبليس: لأنك غضبت أول مرة لله، وكانت نيتك الدار الآخرة، فغلبتني بقوة الله، وهذه المرة غضبت لنفسك وللدينار فصرعتك.

فبالإخلاص إذن يكون التأثير، ويكون الاحترام، وتكون الثقة.

ألا فليتحل القائد بالإخلاص، وليتجنب مواطن الانزلاق والزلل.

وليحذر مكائد الشيطان، ودبيب الرياء، وحبائل الهوى، ووساوس النفس الأمارة بالسوء.

وهناك سلوكيات لا تتنافى مع الإخلاص عند عمل القائد منها:

- الظهور أمام رجاله بالمظهر الحسن في البدن والثوب أو في النعل يقول تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [الضحى:١١].
- الفرح أو السرور بالهداية والتوفيق والحزن على عكس ذلك.
- الإتيان بالنوافل من الطاعات على مرأى ومسمع من الناس بهدف بث روح الاقتداء والتأسي في نفوسهم.
- الإعلان عن النفس بل التقدم لحمل الأمانة، ورفع الراية عند خلو الساحة أو الميدان كما فعل يوسف الصديق عليه السلام: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٥٥].

وكما فعل خالد بن الوليد في اليرموك حيث وجد الجيوش متفرقة، فقام فيهم خطيبًا، وأمرهم بالاجتماع، ونهرهم عن التفرقة والاختلاف، فاجتمع الناس، وتصافوا مع عدوهم، وقام خالد بن الوليد في الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال:

«إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر، ولا البغي أخلصوا جهادكم

وأريدوا الله بعملكم، وإن هذا اليوم له ما بعده لو ردونا لهم إلى خندقهم فلا نزال نردهم، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبدًا فتعالوا فلنتعاور الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غدًا، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم، ودعوني اليوم إليكم فأمروه عليهم».

فكلٌّ من يوسف عليه السلام وخالد رضي الله عنه طلب حمل الأمانة؛ لأنه يريد إنقاذ موقف، وتفادي ضرر، وليس هناك من يؤدي هذه المهمة على وجهها الصحيح سواه، وما كان هذا خدشًا أو شرخًا في نواياهما الطيبة أو إخلاصهما لحظة واحدة.

- **كما أن هناك فوائد للإخلاص يجنيها القائد منها:**

١- أنها تكون سببًا في تحصيل مرضاة الله عز وجل وقبول العمل.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاةن وآتى الزكاة فارقها، والله عنه راضٍ**»[(١)].

وإذا رضي الحق سبحانه، وقبل العمل كانت المكافأة التي تتمثل في:

أ- الإمداد بالقوة والطاقة التي تعين على مواصلة المسيرة، والمضي في الطريق إلى نهايتها بل، والتغلب على كل ما فيها من عقبات وعثرات.

ب-النجاة من المحن والشدائد، ويتجلى ذلك بوضوح في سيرة الأنبياء والمرسلين: ﴿**قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ**﴾ [هود:٤٨].

﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [الأنفال:٣٠].

---

(١) أخرجه ابن ماجه والحاكم.

ويتجلى هذا أيضًا في حديث أصحاب الغار إذا يقول النبي ﷺ:

«بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر، فآووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله، فادعوا الله تعالى بها، لعل الله يفرَّجها عنكم، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، وامرأتي، ولي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم حلبت، فبدأت بوالدي، فسقيتهما قبل بني، وأنه نأى بي ذات يوم الشجر، فلم آت حتى أمسيت، فوجدهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رءوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء، ففرَّج الله منها فرجة، فرأوا منها السماء.

وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها، كأشد ما يحب الرجال والنساء، وطلبت إليها نفسها، فابت حتى آتيها بمائة دينار، فتعبت حتى جمعت مائة دينار، فجئتها بها، فلما وقعت بين رجليها، قالت: يا عبد الله! اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا منها فرجة، ففرَّج لهم.

وقال الثالث: اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت عليه فرقه، فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرًا ورعاءها، فجاءني فقال: اتق الله، ولا تظلمني حقي، قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها، فقال: اتق الله، ولا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، خذ ذلك البقر ورعاءها، فأخذه فذهب به، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ فافرج لنا ما بقي، ففرَّج الله ما بقي»[١].

ج- الثبات والطمأنينة وسكينة النفس عند نزول المحن والشدائد بل وعند

---

(١) رواه البخاري.

طول أو استمرار أمدها يقول تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧].

ويقول: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

د- جمع القلوب على المخلص أو صاحب النية الحسنة وربطها أو تعلقها به

عن أبي هريرة ﷺ قال: قلت للنبي: الرجل يعمل العمل لله، فيحبه الناس عليه؟ قال: «**ذلك عاجل بشرى المؤمن**»[1].

هـ- الظفر بالحكمة بل ونفاذ البصيرة وحماية الصف من الأدعياء والدخلاء.

و- جريان الأجر أو الثواب عليه إن انقطع العمل لعذر أو لأسباب خارجة عن إرادته.

٢- أنها تكون سببًا في وحدة الصف وجمع الكلمة.

٣- أنها تكون سببًا في التضحية، وإتقان العمل، وإحسانه.

٤- أنها تحمل على الأمانة والاستعلاء على المطامع والشهوات.

٥- أنها تدفع إلى قبول النصيحة أو النقد بنفس راضية، وصدر منشرح بل إنها تدفع إلى مجاهدة النفس لتقلع عن الخطأ، وتتخلص من العيوب.

٦- أنها تكون سببًا في الستر، وعدم الفضيحة ذلك أن القائد إذا كان مخلصًا أو حسن النية، ووقعت منه أخطاء كما هو شأن البشر، وكانت هذه الأخطاء غير مقصودة؛ فإن الله ﷻ تفضلاً منه، وتكرمًا يتولى الستر وعدم الفضيحة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه وأحمد في المسند.

اليقين والتوكل:

التوكل مشتق من الوكالة، يقال: وكّل أمره إلى فلان أي: فوَّضه إليه، واعتمد عليه فيه، ويسمى الموكول إليه وكيلاً، والمفوض إليه متكلاً عليه ومتوكلاً عليه.

القائد يجب ألا يرى التوكل على الله في جميع أحواله وأعماله واجبًا خلقيًّا فحسب بل يراه في فريضة دينيه، ويعده عقيدة إسلامية، وذلك لأمر الله تعالى به في قوله: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

ويقول أيضًا ﷻ: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

لهذا كان التوكل المطلق على الله سبحانه وتعالى جزءًا من عقيدة القائد المؤمن بالله تعالى، والقائد إذ يدين لله تعالى بالتوكل عليه، والإطراح الكامل بين يديه لا يفهم من التوكل أنه مجرد كلمة تلوكها الألسن، ولا تعيها القلوب، ولا تفهمها العقول أو نبذ الأسباب، وترك العمل، والقنوع بالرضا تحت شعار التوكل على الله، والرضا بما تجري الأقدار.

بل القائد يفهم التوكل الذي هو جزء من إيمانه وعقيدته أنه طاعة الله بإحضار كافة الأسباب المطلوبة لأى عمل من الأعمال التي يريد في مزاولتها والدخول فيها؛ فلا يطمع في ثمرة بدون أن يقدم أسبابها، ولا يرجو نتيجة ما بدون أن يضع مقدمتها.

التوكل عند القائد إذًا هو عمل وأمل مع هدوء قلب، وطمأنينة نفس، واعتقاد جازم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله لا يضيِّع أجر من أحسن عملاً، والقائد إذ يؤمن بسند الله في الكون، فيعد للأعمال أسبابها المطلوبة لها، ويجتهد في إحضارها، وإكمالها، ولا يعتقد أبدًا أن الأسباب وحدها كفيلة بتحقيق الأغراض بل هو يرى وضع الأسباب أكثر من شيء أمر الله به

يجب أن يطاع فيه كما يطاع في غيره مما يأمر به، وينهى عنه أما الحصول على النتائج؛ فقد وكَّل أمرها إلى الله تعالى إذ هو القادر على ذلك دون غيره، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

ومن هنا تأتي نظرة القائد إلى الأسباب أن الاعتماد عليها وحدها واعتبارها هي كل شيء في تحقيق المطلوب كفر وشرك يتبرأ منها، وأن ترك الأسباب المطلوبة لأي عمل، وإهمالها وهو قادر على إعدادها، وإيجادها فسق ومعصية يحرمهما الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] أي: كافيه.

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩] أي: عزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجانبه، والتجأ إلى حماه، وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ويقول الرسول ﷺ:

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أريت الأمم في الموسم فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل، فأعجبني كثرتهم وهيأتهم، فقيل لي: أرضيت؟ قلت: نعم، قيل: ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب**، قيل: من هم يا رسول الله؟ **قال: الذين لا يكتوون، ولا يتطيرون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون**»؛ فقال عكاشة: وقال: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعله منهم**»؛ فقال آخر: فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم،

فقال ﷺ: «سبقك بها عكاشة»(١).

عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانا»(٢).

- عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنت خلف النبي يومًا فقال لي: «يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»(٣).

وفى الآثار:

روي أنه لما قال جبريل لإبراهيم -عليهما السلام- وقد رمي إلى النار بالمنجنيق: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وفاء بقوله: «حسبي الله، ونعم الوكيل» إذ قال ذلك حين أخذ ليرمى فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم:٣٧].

- أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود! ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السماوات والأرض إلا جعلت له مخرجًا.
- قيل: حسبك من التوسل إليه أن يعلم من قلبك حسن توكلك عليه فكم من عبد من عباده قد فوض إليه أمره، وكفاه منه ما أهمه.
- حقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب ودفع المضار من أمور الدنيا والأخرة كلها، ووكلت الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي، ولا يمنع، ولا يضر، ولا ينفع سواه.

---

(١) الشيخان.
(٢) الترمذي.
(٣) رواه الترمذي وأحمد في المسند.

- قال سعيد بن جبير: التوكل جماع الإيمان.
- قال وهب بن منبه: الغاية القصوى التوكل.
- قال الحسن: إن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته.
- قال سهل التستري: من طعن في الحركة -يعني: في السعي والكسب- فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقط طعن في الإيمان، فالتوكل حال سنته.
- قال يوسف بن أسباط: يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له.
- قال ابن أبي الدنيا: بلغني عن بعض الحكماء، قال: التوكل على ثلاث درجات: أولها: ترك الشكاية، والثانية: الرضا، والثالثة: المحبة بترك الشكاية ودرجة الصبر والرضا سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به؛ فالأولى للزاهدين، والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين.
- المتوكل على الله إن صبر على ما يقدره الله له من الرزق أو غيره؛ فهو صابر، وإن رضي بما يقدر له بعد وقوعه؛ فهو الراضي، وإن لم يكن له اختيار بالكلية، ولا رضا إلا فيما يقدر له؛ فهو درجة المحبين العارفين.
- يقول عمر بن عبد العزيز: أصبحت وما لي سرور إلا في وضع القضاء والقدر.

يقين وتوكل النبي ﷺ:

١- في كافة غزوات النبي كان لا يخوض معركة حتى يُعدَّ لها عدلتها، ويهيئ لها أسبابها، فيختار حتى مكان المعركة وزمانها، فقد أثر عنه ﷺ أنه كان لا يشن

غارة في الحر إلا بعد أن يبرد الجو، ويتلطف الهواء من آخر النهار بعد أن يكون قد رسم خطته، ونظَّم صفوفه، وإذا فرغ من كل الأسباب المادية المطلوبة لنجاح المعركة رفع يديه سائلاً الله ﷻ: **«اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، انصرنا عليهم»**[(١)].

وكذلك كان هديه ﷺ في الجمع بين الأسباب المادية والروحية، ثم يعلق أمر نجاحه على ربه.

٢- في أمر هجرة الرسول ﷺ من مكة للمدينة اتخذ الرسول ترتيبات معينة منها:

- إحضار رفيق للرحلة من خيرة الرفقاء، وهو صاحبه أبو بكر الصديق ﷺ.
- إعداد زاد الرحلة من طعام وشراب وتكليف شخص به، وهي أسماء بنت أبي بكر.
- إعداد وسيلة للرحلة، وهي دابة ممتازة للركوب عليها في هذا السفر الشاق الطويل.
- اتخاذ طريق لم يألفه الناس للسير فيه.
- اختيار وإحضار دليل للطريق (جغرافي) عالم بمسالك الطريق ودروبها الوعرة.
- موَّه على العدو بأن نام علي بن طالب في فراشه حتى يتسنى له الخروج والاستفادة من الوقت حتى ينكشف أمره.
- لما طلبه المشركون، واشتدوا في البحث عنه، وعن صاحبه لجأ إلى غار ثور ليستتر فيه عن أعين طالبيه.

---

(١) متفق عليه.

- لما قال له أبو بكر: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا يا رسول الله، قال له: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟!».

تتجلى هنا حقائق الإيمان، والتوكل على الله؛ فالرسول لم ينكر الأسباب، ولم يعتمد عليها بل أخذ بالاسباب، واستعان بالله، وفوَّض إليه الأمر في ثقة واطمئنان، ويتضح ذلك في قوله: «لا تحزن إن الله معنا، ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»(١).

العلم والتعلم:

> **علم القائد وتعلمه وتعليمه لرجاله يعتبر من أساسيات نجاح القائد في تحقيق مهامه المحددة والمطلوبة منه، وهذه المهام سوف ينفذها بلا شكٍّ هو ورجاله معًا فكيف سيقوم بها هذا الفريق، إن لم يكن عالمًا بها متعلمًا إياها، وبالتبعية فإن القائد هو المسئول الأول، والأخير عن تعليم وتدريب وتنمية نفسه أولاً ثم نقل كل هذا إلى رجاله وتابعيه، وكلما كان القائد حريصًا على تعلم العمل، وتعليمه كلما كان عارفًا مؤمنا بالمهام الموكولة إليه.**

والشاهد على ذلك حرص الأنبياء والرسل وتابعيهم الكرام على هذا العلم والتعلم للآخرين.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] فمنع سبحانه وتعالى المساواة بين العالم والجاهل لما خصَّ به العالم من فضيلة العلم.

---

(١) صحيح البخاري.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]، وهذا نفي أن يكون غير العالم يقل عنه أمرًا أو يفهم منه زجرًا.

ويقول ﷻ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨]؛ فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه، وثنى بالملائكة، وثلث بأهل العلم، وهذا شرف وفضل وثناء.

وقوله ﷻ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ [النمل:٤٠]، وهذا دليل على أن اقتدر بقوة العلم، وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص:٨٠] أي: أن عظم قدر الآخرة يُعلم ويعرف بالعلم.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]، وهو ﷻ رد حكمه في الوقائع إلى استنباط أهل العلم، وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله.

وفى قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ [الأعراف:١٠].

واللباس الذي يوراي السوءة هو العلم.

والريش هو اليقين.

ولباس التقوى يعني الحياء.

وفى حق الرسول ﷺ يقول تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١].

ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ويقول ﷻ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ [النحل: ٦٤].

ويقول تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

ويقول رسول الله ﷺ: «**أوصى إلى إبراهيم عليه السلام أني عليم أحب كل عليم**».

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها، وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقّه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به؛ فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»(١).

ذلك أن من الأرض نوعًا صالحًا للزراعة يقبل الماء، فينبت حبًّا وعنبًا وقضبًا، وزيتونًا، ونخلاً، وحدائق غلبًا، وفاكهة وأبا، وهذا شبه من تعلم العلم وعلمه، فاستفاد وأفاد، وهناك أرض صخرية لا تنتفع هي بالماء، ولكن تحفظه لمن يحتاجه، ومثله من يتعلم العلم؛ فلا يعمل به، ولا يستفيد منه، ولكنه يعلمه الناس والنوع الأخير هو الأرض السبخة التي لا تنبت شيئًا، ولا تحفظ ماء؛ فإنه لا يحفظ علمًا، ولا يعمل به، وبالتالي فليس عنده ما يعطيه للآخرين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**... ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة**»(٢).

وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذ مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»(٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم.

وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى، وما والاه وعالمًا أو متعلمًا**»(١).

وعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**، ثم قال رسول الله ﷺ: **إن الله وملائكته، وأهل السماوات والأرض حتى النملة في حجرها، وحتى الحوت ليصلن على معلمي الناس الخير**»(٢).

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات، ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على الكواكب، وإن العلماء ورثه الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا، ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(٣) وقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفهمه، وإنما العلم بالتعلم**»(٤) وكذلك بقوله: «**إنما بعثت معلمًا**» أي: لا بدَّ إذا كان لدي القائد علمًا، وألا يتقاعس عن تعليمه للآخرين، ولا يحجب عنهم خبراته ومهاراته ومعارفه ومعلوماته، وإلا ناله أثم كبير.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ عنه: «الناس أبناء ما يحسنون».

وقال مصعب بن الزبير: تعلَّم العلم؛ فإن يكن لك مال كان لك جمالاً، وإن لم يكن لك مال كان لك مالاً.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني تعلموا العلم؛ فإن كنت سادة فقتم، وإن كنت وسطًا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم.

---

(١) سنن الترمذي.
(٢) سنن الترمذي.
(٣) سنن أبو داود والترمذي.
(٤) صحيح البخاري.

وقال أيضًا: العلم شرف من لا قدر له، والأدب مال لاخوف عليه.

العلم أفضل خلف، والعمل به أكمل شرف.

> **تعلَّم العلم؛ فإنه يقومك، ويسددك صغيرًا، ويقدمك ويسودك كبيرًا، ويصلح زيغك (أي: الميل عن الحق)، ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوِّم عوجك وميلك، ويصحح همتك وأملك.**

وقال يحيى بن خالد -مؤدب هارون الرشيد- لابنه: عليك بكل نوع من العلم؛ فخذ منه فإن المرء عدو ما جهل، وأنا أكره أن تكون عدو شيء من العلم.

وقد بيَّن علي بن أبي طالب ﷺ فضل ما بين العلم والمال؛ فقال: العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، مات خزان الأموال، وبقي خزان العلم، أعيانهم مفقودة، وأشخاصهم في القلوب موجودة، وكذلك المال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق.

ويقول عمر بن الخطاب ﷺ: تفقهوا قبل أن تسودوا أي: قبل أن تصيروا سادة، فتمنعكم الأنفة عمن هو دونكم، فتبقوا جهالاً.

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما: خُيِّر سليمان بن داود -عليهما السلام- بين العلم والمال والملك؛ فاختار العلم، فأعطى المال، والملك معه.

فإذا كنت عزيزي القائد متعلمًا عليك بـ:

- إخلاص النية لله ﷻ بطلب هذا العلم.
- احتمل واصبر على العلم؛ فمن لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقى في ذل الجهل أبدًا، وإذا قعدت وأنت صغير حيث تحب قعدت، وأنت كبير حيث لا تحب.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ عنه: «الناس أبناء ما يحسنون».

وقال مصعب بن الزبير: تعلَّم العلم؛ فإن يكن لك مال كان لك جمالاً، وإن لم يكن لك مال كان لك مالاً.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني تعلموا العلم؛ فإن كنت سادة فقتم، وإن كنت وسطًا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم.

وقال أيضًا: العلم شرف من لا قدر له، والأدب مال لاخوف عليه.

العلم أفضل خلف، والعمل به أكمل شرف.

تعلَّم العلم؛ فإنه يقومك، ويسددك صغيرًا، ويقدمك ويسودك كبيرًا، ويصلح زيغك (أي: الميل عن الحق)، ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوِّم عوجك وميلك، ويصحح همتك وأملك.

وقال يحيى بن خالد -مؤدب هارون الرشيد- لابنه: عليك بكل نوع من العلم؛ فخذ منه فإن المرء عدو ما جهل، وأنا أكره أن تكون عدو شيء من العلم.

وقد بيَّن علي بن أبي طالب ﷺ فضل ما بين العلم والمال؛ فقال: العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، مات خزان الأموال، وبقي خزان العلم، أعيانهم مفقودة، وأشخاصهم في القلوب موجودة، وكذلك المال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق.

ويقول عمر بن الخطاب ﷺ: تفقهوا قبل أن تسودوا أي: قبل أن تصيروا سادة، فتمنعكم الأنفة عمن هو دونكم، فتبقوا جهالاً.

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما: خُيِّر سليمان بن داود -عليهما

لموسى عليه السلام: يا ابن عمران تعلَّم العلم لتعمل به، ولا تتعلمه لتحدث به؛ فيكون عليك بُوره، ولغيرك نوره.

- وقال أبو الدرداء: أخوف ما أخاف إذا وقفت بين يدي الله أن يقول: قد علمت؛ فماذا عملت بما علمت؟!

- عدم البخل بتعليم ما تعلمه، ولا تمتنع عن إفادة الآخرين به، فالبخل به لوم وظلم، والمنع به حسد وإثم، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

ويقول الرسول ﷺ: **«من كتم علمًا يحسنه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»**.

وقال علي بن طالب -كرَّم الله وجهه: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ العهد على أهل العلم أن يعلموا.

وقيل: كما أن الاستفادة نافلة للمتعلم، كذلك الإفادة فريضة على المعلم.

ولا شكَّ أن للمعلم بهذا نفعان: الأول: التعليم صدقة.

الثاني: زيادة العلم، وإتقان الحفظ.

- الشفقة على المتعلمين: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنما أنا لكم مثل الوالد لولده»**(١).

والقصد من ذلك أن الوالدين ينقذا ولدهما من نار الدنيا، والعلماء والمعلم يخرج المتعلم من نار الآخرة، ولذا فحق المعلم أعظم من حق الوالدين بسبب شفقته على المتعلمين.

---

(١) أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان.

- نصح من تقوم بتعليمه، والرفق به، وتسهيل الطريق عليه.
- عدم تعنيف المتعلم، والتحقير من الناشئين، وتصغير المبتدئ منه، والعطف عليه، وحثه على الرغبة فيه، وعدم تيأسه من العلم، والزهد عما في يد المتعلم.

ووري عن النبي ﷺ أنه قال: «**علّموا، ولا تعنفوا؛ فإن المعلم خير من المعنف**».

وروي عنه كذلك أنه ﷺ قال: «**وقّروا من تتعلمون منه، ووقّروا من تعلمونه**».

- اتباع الوسائل المختلفة لتوصيل الفهم إلى المتعلمين، ولك في رسول الله ﷺ أسوة حسننة حيث كان القائد المعلم الأول لكل المسلمين، فكان يستخدم وسائل متعددة في تعليم أصحابه -رضي الله عنهم- ومن هذه الوسائل ما هو بصري أو سمعي لزيادة الفهم أو تأكيد المعنى، وتجسيد المفهومات المجردة، وتحقيق الهدف المتوخى من الموقف التعليمي؛ فمن الوسائل التي استخدامها الرسول ﷺ:

- الإشارة بالأصابع - الإشارة باليد الواحدة - الإشارة باليدين.
- استخدام الحصى - استخدام العصا- الرسم على الأرض.
- العروض أو التوضيحات العلمية.
- استخدام الأشياء الحقيقية.

وبشيء من التفصيل لما سبق:

أولاً: الإشارة بالأصابع:

ورد في أحاديث كثيرة أن الرسول ﷺ استخدم أصابعه عند تعليم أصحابه -رضي الله عنهم- في إشارات تعليمية هادفة، فتارة يستخدم إصبعًا واحدًا، وتارة أخرى يستخدم إصبعين، وثالثة يستخدم ثلاثة أصابع، وحينًا يشير بأربع،

وحينًا آخر يستخدم أصابعه الخمس.

وفى كل مرة تحقق إشارته ﷺ هدفًا تعليميًّا من زيادة وضوح معنى إلى إثارة انتباه إلى ترسيخ فكرة، ومن تلك الأحاديث:

• قال رسول الله ﷺ: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه** (وأشار يحيى بالسبابة) **في اليم؛ فلينظر بم ترجع**»[(١)]، ويحيى أحد الرواة، و(اليم) هو البحر.

ففى هذا الحديث نجد أن الرسول ﷺ يستخدم وسيلة الإشارة الحسية التي يرتبط فيها المفهوم المجرد بشيء ملموس، وهو هنا إصبع، ولا شكَّ أن ذلك أشد وقعًا في نفوس الحاضرين من مجرد القول: إن الدنيا لا تساوي شيئًا بالنسبة للآخرة.

- عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن الرسول أنه قال: «**بعثت أنا والساعة كهذه من هذه** أو (**كهاتين**)، **وقرن بين السبابة والوسطى**»[(٢)].

فإشارته ﷺ بإصبعيه لبيان قرب مبعثه من قيام الساعة لها من الوضوح والوقع والثبات في الأذهان أشد من القول: بعثت قرب الساعة.

- وإذا كان الرسول يستخدم في الأحاديث السابقة أصابعه الشريفة؛ فإنه كان يستخدم أحيانًا أصابع المتعلم لتوضيح المعنى المراد؛ فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات، فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟**» فقال أبو هريرة: «فقلت: أنا يا رسول الله! فأخذ بيدي، وعدَّ خمسًا، وقال:

«**اتق المحارم تكن أعبد الناس.. وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس.. وأحسن**

---

(١) صحيح مسلم.
(٢) صحيح البخاري.

إلى جارك تكن مؤمنا.. وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا.. ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»[١].

ثانيًا: الإشارة بالأصابع مثل القبة:

- عن جبير بن مطعم ﷺ قال: أتى رسول الله أعرابي؛ فقال: يا رسول الله! جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا؛ فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك.. قال رسول الله: **ويحك أتدري ما تقول؟** وسبَّح رسول الله فمازال يسبح حتى عرف ذلك في وجه أصحابه، ثم قال: **ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إن عرشه على سماواته هكذا** (قال بأصابعه مثل القبة عليه) **وأن ليئط به أطيط الرحل بالراكب**»[٢].

(ليئط) أي يصوت

ثالثًا: الإشارة بالأصابع على شكل حلقة:

عن زينب بنت جحش -رضي الله عنها- أن رسول الله دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه** (وحلق بأصبعيه الإبهام، والتي تليها).. قالت زينت بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **نعم، إذا كثر الخبث**»[٣]. (ردم): سد، (الخبث): الفسوق والفجور والمعاصي.

رابعًا: التشبيك بين الأصابع:

استخدم الرسول التشبيك بين أصابعه الشريفة للكناية عن القوة والتماسك

---

(١) سند الترمذي.
(٢) سنن أبي داود
(٣) صحيح البخاري.

حينًا، وللتداخل بين شيئين حينًا آخر، ومن ذلك الأحاديث التالية:

- عن أبي موسى ﷺ عن النبي قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه**»[١].

- عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله قال: «**كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي، يغربل الناس فيه غربلة، تبقى حثالة من الناس قد مرت عهودهم وأماناتهم واختلفوا، وكانوا هكذا، وشبَّك بين أصابعه**»[٢].

خامسًا: الإشارة باليد:

عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي فيسمع من النبي ﷺ الحديث فيعجبه، ولا يحفظه فشكا ذلك إلى النبي، فقال: يا رسول الله! إني أسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه، فقال رسول الله: «**استعن بيمينك**» وأومأ بيده للخط[٣].

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي أنه قال: «**يقبض العلم، ويظهر الجهل والفتن، ويكثر الهرج**، قيل: يا رسول الله! وما الهرج؟ فقال: **هكذا بيده فحرفها كأنه يريد القتل**»[٤].

ونجد هنا الرسول لم يقدم للسائل عن معنى الهرج إجابة شفوية بل اكتفى بحركة من يده الشريفة بما يعني القتل.

سادسًا: الإشارة باليدين:

ورد عن الرسول ﷺ أنه استخدم يديه الشريفتين في شرح بعض المعاني

(١) صحيح البخاري.
(٢) صحيح البخاري.
(٣) سنن الترمذي .
(٤) صحيح البخاري.

التعليمية المجردة للصحابة -رضي الله عنهم- فحينًا يستخدمها للكناية عن إفاضه الماء على الرأس، وللإشارة للجهات، وللدلالة على عدد أيام الشهر، وهكذا ومن هذه الأحاديث:

- عن جبير بن مطعم ﷺ قال: قال رسول الله: «**أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثًا، وأشار بيده كلتيهما**»[1] أي: أشار أنه يأخذ الماء بكفيه معًا.
- عن أنس بن مالك ﷺ قال: «صلى لنا النبي ثم رقى المنبر، فأشار بيديه قبل قبلة المسجد، ثم قال: **لقد رأيت الآن منذ صليت لكم الصلاة الجنة والنار ممثلتين في قبلة هذا الجدار، فلم أر كاليوم في الخير والشر (ثلاثًا)**» [2].

سابعًا: الإشارة إلى السمع والبصر:

- عن سليم بن جبير مولى أبي هريرة ﷺ قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه، والتى تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله ﷺ يقرأها، ويضع إصبعيه[3].

ثامنًا: الإشارة إلى الوجه والكفين:

- عن عائشة -رضي الله عنها- أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ، وقال: «**يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح لها أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه**»[4].

تاسعًا: الإشارة إلى الأنف:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت أن أسجد**

(١) صحيح البخاري.
(٢) صحيح البخاري.
(٣) سنن أبي داود .
(٤) سنن أبي داود.

على سبعة أعظم، الجبهة (وأشار بيده على أنفه)، واليــدين، والــرجلين، وأطــراف القدمين، ولا نكفت الثياب، ولا الشعر»[١].

(نكفت): الكفت الجمع والضم.

عاشرًا: الإشارة إلى الصدر:

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، (وأشار بأصابعه إلى صدره)»[٢].

حادي عشر: الإشارة إلى اللسان:

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قـال: قـال رسـول الله: «إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا (وإشار إلى اللسـان) أو يرحم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه»[٣].

ثاني عشر: استخدام الحصا:

- عن بريدة ﷺ قال: قال النبي: «هل تدرون ما هذه وهذه؟ ورمى بحصاتين، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذاك الأمل، وهذاك الأجل»[٤].

ثالث عشر: استخدام العصا:

عن أبي سعيد الخدرى ﷺ: «أن النبي ﷺ (غرز بين يديه غرزًا، ثم غـرز إلى جنبه آخر، ثم غرز الثالث فأبعده)، ثم قال: هل تــدرون مــا هــذا؟ قـالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا الإنسان، وهذا أجله، وهذا أمله، يتعاطى الأمــل، والأجــل يختلجه دون ذلك»[٥].

---

(١) صحيح مسلم.
(٢) صحيح مسلم.
(٣) صحيح البخاري.
(٤) سنن ابن ماجة.
(٥) مسند الإمام أحمد.

رابع عشر: الرسم على الأرض:

عن ابن مسعود ﷺ قال: «خطَّ رسول الله ﷺ خطًّا بيده، ثم قال: **هذا سبيل الله مستقيمًا**، قال: ثم خطَّ عن يمينه وشماله، ثم قال: هذا السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه**﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ونرى في هذا الحديث أن النبي يفسر لأصحابه الوصايا العشر في سورة الأنعام، ولم يقتصر على تفسيرها بالكلام المجرد بل استعمل ما هو ميسور له، وهو الرمل يخط عليه بيده بدل اللوح ثم يختم هذا التوضيح العملي بقراءة الآية الكريمة، فتقع أعظم موقع في نفس السامع المشاهد وعقله؛ فهنا اشتراك البصر مع السمع في استيعاب معنى الآية(١).

خامس عشر: العروض أو التوضيحات العملية:

قام الرسول ﷺ بتوضيح بعض الأعمال والشعائر توضيحًا عمليًّا – وذلك حتى يتم إتقانها على الوجه المطلوب، ولا يكتفي فيها بالتوضيح النظري، وذلك مثل البيان العملي لأوقات الصلاة لمن سأل عنها، وقوله عقب ذلك: «**وقت صلاتكم بين ما رأيتم**».

وقيامه ﷺ بالوضوء أمام الصحابة ثم قوله: «**من توضأ وضوئي هذا...**»

وكذلك أداؤه الصلاة، وقوله كما ورد في صحيح البخاري: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**».

وكقوله وهو يؤدي مناسك الحج: «**لتأخذوا مناسككم**».

ونحو ذلك من المهارات الحركية التي أداها ﷺ أمام الصحابة -رضي الله

---

(١) يوسف القرضاوي: الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

عنهم- كذلك عقده لما يشبه الدورة التدريبية لمجموعة من الشباب المتقاربين في السن قد تركوا أهلهم، وحضروا إلى المدينة المنورة لتعلم شرائع الإسلام على يدي الرسول المعلم ﷺ، وقد قال لهم الرسول في ختام وصاياه وتوجيهاته لهم (وهو يودعهم): «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» تأكيدًا لأهمية الصلاة من ناحية ولفتًا لأنظارهم للتركيز على القدوة العملية فيها من ناحية أخرى.

وكذلك تدريب الرسول لما يشبه التدريب في الموقع عمليًا حيث أخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله مرَّ بغلام يسلخ شاة، فقال له رسول الله: «**تنح حتى أريك**، (فأدخل رسول الله يديه بين الجلد واللحم، فدحس بها حتى توارت إلى الإبط)، وقال: **يا غلام هكذا فاسلخ**، ثم مضى وصلى للناس ولم يتوضأ»[(١)].

(الدحس): هو إدخال اليد بين جلد الشاة ولحمها.

سادس عشر: استخدام الأشياء الحقيقية:

جاء في جملة الأحاديث الشريفة أن الرسول استخدم الأشياء الحقيقية في تعليم أصحابه مثل الحرير، والذهب، والوبر، ونحوها، ومن المسلم به أن التعليم والتدريب باستخدام الأشياء الحقيقية أشد وضوحًا، وأبقى من التعليم اللفظى المجرد.

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنها: قال: خرج إلينا رسول الله، وفى إحدى يديه ثوب من حرير، وفى الأخرى ذهب؛ فقال: «**إن هذين محرم على ذكور أمتي حل لإناثهم**»[(٢)].

---

(١) سنن ابن ماجه.

(٢) سنن ابن ماجه.

التربية:

التربية الصحيحة لها أصول أساسية واتجاهات رئيسية تأخذ بيد الفرد والمجتمع تجاهها، وتدفعهم إليها حتى تصبح تلك الأصول والاتجاهات ممتزجة بالنفس موحدة خطى الفرد والمجتمع في وحدة متناغمة متناسقة.

والتربية الإسلامية تمر بثلاث مراحل هي:

كمفهوم: هي صياغة الإنسان صياغة جديدة، ونقله من ميدان إلى آخر، وتنقيته من كل الرواسب التي تعوق حركته وتقدمه، وتخليصه من جميع الأخطاء والمخالفات التي علقت به، وإخراجه من التيه الذي يحيط به، ويتخبط فيه من غير أن يدرك غاية أو يصل إلى نهاية.

ثم تأتي مرحلة التطهير: وهو تنقية النفس من الآثام والصفات الفاسدة الضارة، ويقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

وأخيرًا مرحلة التزكية: وهي تنمية ملكات الخير في الفرد بعد تطهير النفس بالمجاهدة والطاعة، ويقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

أي أن القائد عليه أن يصل لمستوى للفرد من رجاله سليم العقيدة، صحيح العبادة، قوى الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، منظمًا في شئونه، قادرًا على الكسب، مجاهدًا لنفسه، حريصًا على وقته، نافعًا لغيره، هادفًا القائد من ذلك بناء الرجال، وتحقيق كل الآمال الأمس واليوم وغدًا؛ فبالتربية سيعدُّ القائد الرجل العادل الأمين الصادق.

أسس التربية:

تقوم التربية على عدة أسس هي:

١- إيقاظ القلوب وإحياء الضمير وتثبيت دعائم الإيمان.

٢- إرساء أسس الخلق الحسن النابعة من العبادة والطاعة الحسنة.

٣- إرساء أسس الإيجابية والعطاء والبعد عن السلبية والإسراف.

٤- العمل المتواصل والعطاء المستمر والبذل الدائم.

صفات القائد كمربي:

من أشد الصفات التي يتطلب توافرها في المربي:

١- أن يكون قدوة صالحة حيث سيكون عندها من أنجح الوسائل المؤثرة؛ فالقائد كقدوة حسنة سوف ينطبع سلوكه في قلوب من يقوم على تربيتهم، وإلا فسوف ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾[الصف: ٢، ٣].

٢- أن يلتزم القائد المربي بالإخلاص والصدق والتجرد والعلم والمعرفة بأصول التربية، وأن يكون محيطًا بأمور دينه حلاله وحرامه، وأن يكون عالمًا بمبادئ الأخلاق متصفًا بها.

٣- أن يتصف بالحلم، وسعة الصدر، والدقة بحيث يكون قادرًا على ضبط نفسه من غير انفعال ولا اندفاع، وأن يكون لديه الاستعداد الكامل للعطاء.

٤- أن ينهج أساليب متعددة للتربية سواء أكانت:

أ- **التربية بالموعظة:** وهي أساس من أسس التربية والإصلاح، يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ**

بالله إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾... [لقمان: ١٣].

ب- التربية بالربط بالعقيدة: حيث ربط الرجل بدوام المراقبة من الله وخشيته في السر والعلن، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

ج- التربية بالقصة: وهو منهج تربوي قرآني له تأثيره على النفس البشرية وقد أكثر منه القرآن، وكذلك السنة النبوية، والهدف من ذلك العبرة والعظة، يقول تعالى: ﴿وَكُلاً نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وعلى القائد هنا أن يحسن عرض القصة، ويركِّز على العبرة والعظة فيها.

د- التربية بالملاحظة: أي: أن يديم القائد ملاحظة من يقوم بتربيتهم، ويرصد أقوالهم وأفعالهم ليشجع المصيب، ويقوم المخطئ.

هـ- التربية بالعقوبة: وهي آخر وسائل التربية، ويجب مراعاة التدرج بالعقوبة من الأخف إلى الأشد.

أنواع التربية:

تمرُّ عملية التربية بعدة أنواع مجتمعة معًا هي:

١- التربية الإيمانية، وهي التي تحيي القلب والضمير بالخوف والرجاء والمحبة المنافية للجفاف الناتج من البعد عن نصوص القرآن والسنة.

٢- التربية العملية: وهي القائمة على الدليل الصحيح المنافية للتقليد.

٣- التربية الواعية: التي لا تعرف سبيل المجرمين، وتدرس خطط الأعداء، وتحيط بالواقع علمًا، وبالأحداث فهمًا وتقويمًا المنافية للانغلاق والتقوقع على البيئات الصغيرة المحدودة.

٤- التربية المتدرجة: وهي التي تسير بالفرد شيئًا فشيئًا ترتقي به في مدارج كماله بتخطيط موزون والمنافية للارتجال والتسرع والقفزات المحطمة.

وفى سيرة الرسول ما يوضح ذلك، وإلا فما هو مصدر ثبات صحابة النبي في مكة إبان فترة الاضطهاد حيث ثبت بلال، وخباب، ومصعب، وآل ياسر، وغيرهم من المستضعفين، وحتى كبار الصحابة في حصار الشعب وغيره.

هل يمكن أن يكون ثباتهم بغير تربية عميقة من مشكاة النبوة صقلت شخصياتهم.

كيف كان خباب بين الآرت ﷺ ومولاته تحمى أسياخ الحديد حتى تحمر ثم تطرحه عليها عاري الظهر فلا يطفئها إلا ودك (شحم) ظهره حين يسيل عليها.

ما الذي جعله يصبر على هذا كله.

وبلال تحت الصخرة في الرمضاء.

وسمية في الأغلال والسلاسل.

نماذج عملية في التربية:

كان سالم مولى أبي حذيفة -رضي الله عنهما- من أحسن الناس صوتًا بالقرآن؛ فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: استبطأني رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: ما حبسك؟ قلت: إن في المسجد لأحسن من سمعت صوتًا بالقرآن، فأخذ رداءه، وخرج يسمعه، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة؛ فقال: **الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك**».

هذا القارئ الممتاز كان عتيقًا وآخى النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة، ويروي الواقدي عنه: «لما انكشف المسلمون يوم اليمامة قال سالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ، فحفر لنفسه حفرة، فقام فيها ومعه راية المهاجرين يومئذ، ثم قاتل حتى قتل شهيدًا سنة اثنتي عشرة من الهجرة، فعل هذا بعد أن شهد بدرًا والمشاهد» (١).

- ويروي الصحابي الجليل شقيق أبي وائل ﷺ: «كان.. إذا خلا ينشج (يبكي بصوت وتوجع)، ولو جعل له الدنيا على أن يفعل ذلك، وأحد يراه لم يفعل، وكان له خُص يكون فيه هو وفرسه، فإذا غزا نقضه، وإذا رجع بناه».

فهنا نجد طاقة رائعة من العبادة، والعكوف على كتاب الله، والجهاد العنيف المرهق، ولم يحاول هذا الجيل -وحاشاه أن يفعل- أن يوفر جهوده على القرآن دون جهاد أو يكتفي بالجهاد دون علم، وإنما أخذ الإسلام -كما تلقاه- كلا لا يتجزأ، ووجدت روحه القوية مجالاتها في المحراب والميدان معًا.

هذه الأرواح القوية، والتربية الناضجة، دفعت آباءنا إلى التجرد لأمر الدين، فصاغوا حياتهم على أساسه، وتوفروا على خدمته والدفاع عنه، ولم يرضوا بأنصاف الحلول وأرباعها، أو تغيير حكم من أحكام الله أو كتم ما يعتقدون أنه الحق.

- ومن الأمثلة الكريمة على ذلك ما رواه ابن كثير(٢) عن العالم الجليل أحمد بن نصر، وموقفه في محنة خلق القرآن أمام الواثق الخليفة العباسي... «وكان أحمد ممن يدعون إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق (وهي عقيدة السلف الصالح وأهل السنة والجماعة).

وكان الواثق من أشد الناس في القول بخلق القرآن؛ فقام أحمد يدعو إلى الله

(١) تاريخ الذهبي جزء (١).
(٢) البداية والنهاية.

وإلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد، والتف عليه ألوف، وانتظمت له البيعة في السر على القيام بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعندما افتضح أمره استدعاه الواثق.. وكان أحمد قد استقتل وباع نفسه وحضر وقد تحنط وتنور (تطيب استعدادًا للموت)، وشد على عورته ما يسترها.

وسأله الواثق: ما تقول في ربك، أتراه يوم القيامة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد جاء القرآن والأخبار بذلك: قال الله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾.

وسأله: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله؛ قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، وتدفق أحمد بن نصر في هذا الموقف الرهيب بين السيف والنطع يتلو الآية بعد الآية، والحديث بعد الحديث، وتكاتف عليه علماء الخليفة يحرضونه على العالم الأعزل.

وهوى سيف الواثق على رأس أحمد، وهو يردد كلمة التوحيد، وقال عنه الأمام الجليل أحمد بن حنبل -رحمة الله: «ما كان أسخاه بنفسه لله، لقد جاد بنفسه له!! ».

ومرَّ أحمد بن حنبل في هذه المحنة: دعوة إلى القول بخلق القرآن، وأمر المأمون بإحضاره، فلما اقتربوا من جيش الخليفة، جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه، ويقول: يعزُّ عليَّ يا أبا عبد الله أن المأمون قد سلَّ سيفًا لم يسله قبل ذلك، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله ﷺ لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف.

قال: فجثا أحمد على ركبتيه، ورمق بطرفه إلى السماء، وقال: سيدي! غرَّ حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق، فاكفنا مئونته.

قال: فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل، قال أحمد: ففرحنا».

وسجن أحمد في زمن المعتصم وأحضروه، وقد زادوا قيوده، قال أحمد: فلم أستطع أن أمشي بها، فربطتها في التكة، وحملتها بيدي، ثم جاءوني بدابة فحملت عليها، فكدت أسقط على وجهي من ثقل القيود، وليس معي أحد يمسكني! وبات أحمد في المحبس ثم أحضروه إلى الواثق، وناظر من عنده من العلماء ثلاثة أيام يقيم عليهم الحجة، ولا يتزحزح عن موقفه، حاملاً علمه في صدره، متمكنًا من الكتاب والسنة، غير كاتم شيئًا رغبة أو رهبة..

وأخيرًا جاءوا الخليفة من ناحية السياسة العامة، فقالوا له: «ليس من تدبير الخلافة أن تخلي سبيله ويغلب خليفتين»!!!

وأخذوا أحمد وجردوه من ثوبه، وضربوه بالسياط حتى أغمي عليه مرارًا، وحملوه مغشيًا عليه بعد ضرب مرهق! حدث هذا وهو صائم فأصر على إكمال يومه صائمًا، وصلى في دمه، ومضت فترة، وقام أحمد من مرضه، وصفح عمن آذاه إلا أهل البدع، وكان يقول: «ماذا ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك؟!».

ورحم الله بشرًا الحافى في تعقيبه على المحنة إذ يقول: «أدخل أحمد الكير؛ فخرج ذهبًا أحمر»[1].

هذه النفوس ثمار تربية كريمة على هدي الكتاب والسنة، تملقها السلطان فما لانت، واشتد عليها البطش، فما وهنت وما ضعفت، وجمعت من العلم الكثير، ورضيت من الدنيا القليل، وعبدت ربها بالدعوة إليه، والجهاد في سبيله، والدفاع عن دينه، وعاشت بخلق أبي لم تستطع الشهوات أيًا كانت أن تعلوه.

---

(١) ابن كثير – البداية والنهاية.

الحلم:

الحلم من أشرف الأخلاق التي يتحلي بها القائد؛ لأنها فضيلة لذوي الألباب لما فيها من سلامة النفس، وراحة الجسد، واجتلاب الحمد، والقائد الحليم أول عوض له عن حلمه أن الناس أنصاره وتابعيه ورجاله.

ويقول تعالى ﷻ: **﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾** [آل عمران: ٧٩].

وقيل في قوله تعالى: (ربانيين) أي: حلماء علماء.

وفى قوله تعالى: **﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾** [الفرقان: ٦٣] قال الحسن: حلماء، وإن جهل عليهم لم يجهلوا.

وقال عطاء بن أبي رباح: **﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾** [الفرقان: ٦٣] أي: حلماء.

وقال ابن أبي حبيب في قوله ﷻ: **﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾** [آل عمران: ٤٦] (كهلاً): الكهل منتهى الحلم.

- وفى قوله ﷻ: **﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾** [الفرقان: ٧٢] أي: إذا أوذوا صفحوا.

وعن أبي هريرة: عن رجلاً، قال: يا رسول الله! إن لى قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، ويجهلون عليَّ وأحلم عنهم، قال: «**إن كان كما تقول فكأنما تسفهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك**»[1].

---

(١) صحيح مسلم.

والمل: يعنى به الرمل.

وقال رسول الله ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم**»، قال: «**رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول: اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني**».

وروي أن وفد على النبي ﷺ الأشج، فأناخ راحلته ثم عقلها، وطرح عنه ثوبين كانا عليه، وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما، وذلك بعين رسول الله ﷺ يرى ما يصنع، ثم أقبل يمشي إلى رسول الله ﷺ؛ فقال ﷺ: «**إن فيك يا أشج خلقين يحبها الله ورسوله**» قال: ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ فقال: «**الحلم والأناة**»، فقال: خلتان تخلقتهما يحبهما الله ورسوله[(١)].

وقال ﷺ: «**إن الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف أبا العيال التقي، ويبغض الفاحش البذئ، السائل الملحف الغبي**»[(٢)].

وروى محمد بن حارث الهلالي أن جبريل نزل على الرسول ﷺ، فقال: يا محمد! إني أتيتك بمكارم الأخلاق في الدنيا والأخرة: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وروى سفيان بن عيينه أن الرسول ﷺ حين نزلت هذه الآية قال: «يا جبريل ما هذا؟ قال: لا أدري حتى أسأل العالم، ثم عاد جبريل، وقال: يا محمد ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

وقال ﷺ: «**من حلم ساد، ومن تفهم ازداد**».

ومن الآثار: قول عمر ﷺ: تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم.

وقال علي ﷺ: ليس الخير بأن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر

---

(١) متفق عليه.
(٢) صحيح البخاري.

علمك، ويعظم حلمك، وألا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى.

وقال علي ﷺ: إن أول ما عوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل.

وقال الحسن: اطلبوا العلم، وزينوه بالوقار والحلم.

وقال معاوية ﷺ: لا يبلغ مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم.

وقال معاوية لعمرو بن الأهتم: أي الرجال أشجع؟ قال: من رد جهله بحلمه.

وقال معاوية لعرابة بن أوس: بم سدت قومك يا عرابة؟ قال: يا أمير المؤمنين! كنت أحلم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم؛ فمن فعل فعلي، فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصر عني فأنا خير منه.

وسبَّ رجل ابن عباس -رضي الله عنهما- فلما فرغ قال: يا عكرمة! هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحي.

وقال رجل لمالك بن دينار: بلغني أنك ذكرتني بسوء قال: أنت أكرم عليَّ من نفسي إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي.

وقيل: الحلم أرفع من العقل؛ لأن الله تعالى تسمى به.

وقال لقمان: ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه.

وقال رجلاً لضرار بن القعقاع: والله لو قلت واحدة لسمعت عشرًا، فقال له ضرار: والله لو قلت عشرًا لم تسمع واحدة.

وقال الشعبي: ما أدركت أم فأبرها، ولكن لا أسب أحدًا فيسبها.

حلم النبي ﷺ:

عن عبد الله ﷺ قال: لما كان يوم حنين أثر النبي ﷺ ناسًا أعطى الأقرع بن حابس ﷺ مائة من الإبل، وأعطى عيينه ﷺ مثل ذلك، وأعطى ناسًا فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله، فقلت: لأخبرن النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «**رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر**»[١].

- عن أبي سعيد ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، وهو يقسم قسمًا إذا أتاه ذو الخويصرة -رجل من بني تميم- فقال: يا رسول الله! أعدل فقال رسول الله ﷺ: **ويلك ومن يعدل إن لم أعدل!! لقد خبت وخسرت!! إذا لم أعدل فمن يعدل؟!**» فقال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «**دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاقم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه** -وهو قدحه- **فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم** -أي: علامتهم- **رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرآة أو مثل البضعة تدردر** - أي: ترتج - **ويخرجون على حين فرقة من الناس**»[٢].

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب ﷺ قاتلهم، وأنا معهم، يقصد الخوارج، وقد قاتلهم علي يوم النهروان.

- عن عمر قال: لما توفى عبد الله بن أبي دُعا رسول الله ﷺ للصلاة عليه؛ فقام إليه، فلما وقف يريد الصلاة، تحولت حتى قمت في صدره فقلت: يا

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) البخاري ومسلم.

رسول الله! أعلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا وكذا -يعدد أيامه؟ قال: رسول الله ﷺ يبتسم حتى إذا أكثرت عليه، قال: «**أخِّر عني يا عمر إني خيرت فاخترت قد قيل لى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾** [التوبة: ٨٠] **لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لذدت**»، قال: ثم صلى عليه، ومشى معه، وقام على قبره حتى فرغ منه، قال: فعجبت من جرأتي على رسول الله ﷺ، قال: فوالله ما كان إلا يسيرًا حتى نزلت هاتان الآيتان: **﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾** فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق، ولا قام على قبره حتى قبضة الله ﷻ» (١).

- وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء الطفيل ابن عمر الدوسي ﷺ إلى النبي ﷺ؛ فقال: إن دوسًا قد عصت وأبت، فادع الله عليهم فاستقبل القبلة رسول الله ﷺ، فقال الناس: هلكوا، فقال: «**اللهم اهد دوسًا، وائت بهم، اللهم اهد دوسًا، وائت بهم، اللهم اهد دوسًا، وائت بهم**» (٢).

حسن الخلق:

القائدة قدوة وأسوة والفرد الذي يقبل على القيادة يجب أن يكون هذا الأمر وعاءً له وسابقًا لأي أمر من أموره؛ فأي قدوة وأسوة فيمن ساء خلقه، وفحش قوله وفعله، والقائد إذا حسنت أخلاقه كثر أتباعه ومصافوه، وقلَّ أعداؤه ومعادوه، فتسهلت له الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب.

(١) مسند الإمام أحمد.
(٢) البخاري ومسلم.

فالخلق الحسن دعامة من دعامات تأهيل الإنسان للقيادة الرشيدة في الإسلام، وقد أثنى رب العزة على نبيه ﷺ؛ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وأمره بمحاسن الأخلاق؛ فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وجعل الأخلاق الفاضلة سببًا ينال به الفرد الجنة؛ فقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعن آنس ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا» (١).

وعن الصعب بن جثامة ﷺ قال: أهديت رسول الله ﷺ حمارًا وحشيًّا فرده عليَّ؛ فلما رأى ما في وجهي، قال: «**إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ كَرَاهِيَةً لَهُ، وَلَكِنَّا حُرُمٌ**»(٢).

أي: أنه ﷺ لم يرده عليه استهانة به، ولكن لأن المحرم يحرم عليه صيد البر.

وعن آنس ﷺ قال: ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف ر سول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لى قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟» (٣).

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والأثم فقال: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس**»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– قال: لم يكن رسول

---

(١) (٢) (٣) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم.

الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا**»[(١)].

وعن أبي الدرداء ﷺ: أن النبي ﷺ قـال: «**ما من شيء أثقل من ميزان المــؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذئ**»[(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحســـنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم**»[(٣)].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: سمعـت رسـول الله ﷺ يقـول: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»[(٤)].

ومن الآثــــــار:

قال عبد الله بن المبارك: حسن الخلـق في ثـلاث خصـال: اجتنـاب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال.

وقال الحسن: حسن الخلق بسط الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى.

وقالوا:

- حسن الخلق أن يكون من الناس قريبًا، وفيما بينهم غريبًا.
- حسن الخلق كف الأذى، واحتمال المؤمن.
- حسـن الخلـق أن يكـون كـثير الحيـاء، قليـل الأذى، كـثير الصـلاح، صـدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلـل، قليـل الفضـول، بـرًّا وصـولاً، وقورًا صبورًا، شكورًا رضيًّا، حليمًا وفيًّا، عفيفًا لا لعانًا، ولا سـبابًا، ولا نمامًـا، ولا مغتابًا، ولا عجولاً، ولا حقودًا، ولا بخـيلاً، ولا حسـودًا، بشاشًـا هشاشًـا،

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه أبو داود.

يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويسخط في الله.

- من ساء خلقه ضاق رزقه.
- الحسن الخلق من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة، والسيئ الخلق الناس منه في بلاء، وهو من نفسه في عناء.

وقال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ قالوا: بلى، قال: الخلق الدني واللسان البذيء.

خلق النبي ﷺ:

عن أبي الدرداء ﷺ قال: سألت عائشة -رضي الله عنها- عن خلق رسول الله ﷺ؛ فقالت: كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه»[(١)].

وعن يزيد بن بابنوس قال: قلنا لعائشة: يا أم المؤمنين! كيف كان خلق رسول الله ﷺ؛ فذكرت وفى حديثه: ثم قالت: أتقرأ سورة المؤمنون؟ اقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى العشر قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ»[(٢)].

- عن ابن أبي شيبة عن قيس بن وهب عن رجل من بني سراة قال: قلت لعائشة: أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ؛ فقالت أما تقرأ القرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قالت: كان رسول ﷺ مع أصحابه فصنعت له طعامًا، وصنعت له حفصة -رضي الله عنها- طعامًا فسبقتني حفصة، فقلت للجارية: انطلقي فاكفئي قصعتها، فأهوت أن تضعها بين يدي النبي ﷺ، فكفأتها فانكفأت القصعة، فانتشر الطعام فجمعها النبي ﷺ، وما فيها من الطعام على الأرض، فأكلوا ثم

---

(١) أخرجه البيهقي.
(٢) رواه النسائي.

بعثت بقصعتي فدفعها النبي إلى حفصة فقال: «**خذوا ظرفًا مكان ظرفكم، وكلوا ما فيها**» قالت: فما رأيته في وجه رسول الله ﷺ.

- عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل لا ينزع يده حتى يكون الرجل ينزع يده من يده، وإن استقبله بوجه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه، ولا يرى مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له»[1].

- وعن أبي دواد عن أنس ﷺ قال: ما رأيت رجلاً قط التقم أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما رأيت رسول الله ﷺ آخذًا بيده رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده»[2].

الرحمة:

الرحمة هي الدقة والعطف، والقائد لا بدَّ أن يكون رحيم، والرحمة خلق من أخلاقه إذ منشأ الرحمة صفاء النفس، وطهارة الروح، والقائد بإتيانه الخير والعمل الصالح والبعد عن الشر سيكون دائمًا في طهارة نفس وطيب روح من كان هذا حاله؛ فإن الرحمة لا تفارق قلبه.

ولهذه الرحمة أثر كبير على رجال القائد فالغلطة والفظاظة، وانعدام الرحمة في سلوك القائد تؤدي إلى التفكك السريع للجماعة وفرق العمل واختلافها على قائدها، وانفضاضها من حوله، ولقد كانت رحمة الرسول ﷺ بأصحابه من أبرز العوامل وراء محبتهم له، والتفافهم من حوله، والتألف والانطواء تحت لوائه والأنس به.

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذي.

(٢) رواه أبو داود وتفرد به.

ويجب هنا أن نركز على أمر هام، وهو أن الرحمة لا تعني التسيب، وترك الأمر على هوى المرءوسين بل يجب الأخذ على يد المخطئ والمتسيب، وذلك لا يتنافى تمامًا مع الرحمة.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحج: ٨٨].

ويقول الرسول ﷺ:

- «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»[١].
- «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٢].
- «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»
- «من لا يرحم لا يرحم» [٣].
- «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا، فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم؛ فارفق به»[٤].
- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئرًا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش؛ فقال: لقد بلغ مثل الذي بلغ بي فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟، قال: «في كل كبد رطبة أجر»[٥].

---

(١) صحيح البخاري.
(٢) رواه الطبراني والحاكم بسند صحيح.
(٣) صحيح البخاري.
(٤) صحيح مسلم .
(٥) صحيح البخاري.

وفى الأثر:

أخرج ابن المنذر والحاكم والبيهقي عن بريدة قال: كنت جالسًا عند عمر ﷺ إذ سمع صائحة، فقال: يا يرفأ انظر ما هذا الصوت؟ فنظر ثم جاء فقال: جارية من قريش تباع أمها، فقال عمر ﷺ: ادع لى المهاجرين والأنصار، فلم يمكث إلا ساعة حتى امتلأ الدار والحجرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد: فهل تعلمون كان فيما جاء به محمد ﷺ القطيعة؟ قالوا: لا، قال فإنها أصبحت فيكم فاشية، ثم قرأ: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٢٢] ثم قال: وأي قطيعة أقطع من أن تباع أم امرأة فيكم، وقد أوسع الله لكم، قالوا: فاصنع ما بدا لك؛ فكتب في الآفاق ألا تباع أم حرٍّ؛ فإنها قطيعة رحم، وأنه لا يحل».

- روي أن زين العابدين علي بن الحسين ﷺ كان في طريقه إلى المسجد فسبَّه رجل فقصده غلمانه (أي: خدمه) ليضربوه ويؤذوه فنهاهم، وكفهم عنه رحمة به، ثم قال: يا هذا، أنا أكثر مما تقول، وما لا تعرفه عني أكثر مما تعرفه، فإن لك حاجة في ذلك ذكرته، فخجل الرجل، واستحيا فخلع عليه زين العابدين قميصه، وأمر له بألف درهم.

رحمة الرسول ﷺ:

عن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [التغابن: ١٥] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[(١)].

(١) رواه أحمد في المسند.

وهذا من كمال رحمته ﷺ ولطفه بالصغار وشفقته عليهم.

- عن أسامة بن زيد قال: أرسلت ابنة للنبى ﷺ إليه إن ابنًا لي احتضر فأتنا، فأرسل يقريها السلام، ويقول: «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب**» فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال فرفع الصبي إلى الرسول ﷺ فأقعده في حجره ونفسه تقعقع كأنها شنن-أي: تتحرك وتضطرب بصوت- ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب من يشاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[1].

- جاء أبو أسيد النبي ﷺ بسبى من البحرين، فنظر النبي إلى امرأة منهن تبكي؛ فقال: ما شأنك؟ قالت: باع ابني، فقال النبي لأبي أسيد: «**أبعت ابنها**»؟ قال: نعم، قال: «**فيمن؟**» قال: في بني عبس، فقال النبي: «**اركب أنت بنفسك فائت به**».

العدل:

القائد يجب أن يرى العدل من أوجب الواجبات وألزمها؛ فالجميع أمامه متساوون، ولا بدَّ من تنفيذ العدل فيهم بدرجة واحدة من أدنى فرد من رجاله إلى أكبرهم أهمية وأعلاها، وليس فيه موضع لمعاملة شخص ما معاملة مختلفة عن غيره، ويقول تعالى على لسان الرسول ﷺ: ﴿**وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ**﴾ [الشورى: ١٥].

أي أن الرسول مأمور كقائد بالإنصاف دون عداوة فليس من شأن القائد التعصب لأحد أو ضد أحد، وعلاقته بالناس كلهم سواء، وهي علاقة العدل والإنصاف؛ فالقائد نصير من كان الحق في جانبه، وخصيم من كان الحق ضده، وليس لديه أية امتيازات لأي فرد كائنًا من كان، وليس لأقاربه حقوق وللغرباء

---

(١) صحيح البخاري.

عنه حقوق أخرى، ولا للأكابر من رجاله عنده امتيازات لا يحصل عليها الأصاغر من رجاله، والشرفاء والوضعاء عنده سواء؛ فالحق حق للجميع، والذنب والجرم ذنب للجميع، والحرام حرام على الكل، والحلال حلال للكل، والفرض فرض على الكل حتى هو نفسه ليس مستثنى عن غيره.

ويقول تعالى في أمره بالعدل: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠].

وأخبر تعالى أنه يحب أهل العدل فيقول: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

والإقساط هو العدل، والمقسطون هم العادلون.

وأمر به تعالى في الأقوال كما أمر به في الأحكام فيقول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ويقول: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

ويقول رسول الله ﷺ:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل معلق قلبه بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»(١).

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول

---

(١) أخرجه مسلم.

الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» [(١)].

- عن عياض بن حمار ﷺ قال: سمعت رسول الله يقول: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجلٌ رحيم رقيق القلب لكل ذي قربي ومسلم وعفيف متعفف ذوٌ عيال» [(٢)].

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما من رجل ولى عشرة إلا أتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يقضى بينه وبينهم» [(٣)].

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب جوره فله الجند، ومن غلب جوره عدله فله النار» [(٤)].

- عن معقل بن يسار، عن النبي قال: «ليس من والى أمة قلت أوكثرت لا يعدل فيها الأكبر الله تبارك وتعالى على وجهه في النار»[(٥)].

- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي قال: «صنفان من أمتي لن ينالهما شفاعتى: إمام ظلوم غشوم، وكل غالٍ مارق»[(٦)].

ومن آثار السلف:

يقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله تعالى: «إن الله يقيم الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة، وإن كانت مسلمة».

✍ من جعل العدل عدةً طالت به المدة.

✍ أحق الناس بدوام الملك، وبأقصى الولاية أقسطهم بالعدل في الرعية

(١) أخرجه مسلم. (٢) أخرجه مسلم.
(٣) اخرجه أحمد في المسند. (٤) أخرجه أبو دواد في سننه.
(٥) أورده المنذرى في : الترغيب والترهيب : كتاب القضاء وغيره.
(٦) أخرجه البخاري.

وأخفهم عنها كلاً ومئونة.

✍ بالعدل تملك سرائر العير، ويكون الصدق في النصحية، وبالجور تملك الأجساد فقط، ويكون التملق والنفاق.

✍ من قام من الملوك بالعدل والحق ملك سرائر رعاياه ومن قام فيهم بالجور والقهر لم يتملك إلا الأجساد، ولم ير إلا المتصنع والقلوب عليه مختلفة؛ فإن السرائر تطلب من يمتلكها بالإحسان.

✍ بالعدل تكون الجنة، وبالجور تكون النار.

✍ بالعدل تكون المعية والعون والمدد الرباني، وبالجور يكون الخذلان والترك إلى النفس.

عدل النبي ﷺ:

عن عروة أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد رضي الله عنه يستشفعون، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ، وقال: **«أتكلمني في حد من حدود الله تعالى؟!»** فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله؛ فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيبًا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: **«أما بعد: فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»**[١].

- عن خولة بين قيس-امرأة حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنهما: قالت: كان على رسول الله وسق من تمر لرجل من بني ساعده فأتاه يقتضيه فأمر رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار أن يقضيه فقضاه تمرًا دون تمره، فأبى أن يقبله فقال: أترد على

(١) صحيح البخاري.

رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، ومن أحق بالعدل من رسول الله ﷺ؟!

فاكتحلت عينا رسول الله ﷺ بدموعه ثم قال: «**صدق ومن أحق بالعدل مني؟! لا قدس الله أمةً لا يأخذ ضعيفها حق من شديدها ولا يتعتعه**» ثم قال: «**يا خولة عديه واقضيه؛ فإنه ليس من غريم يخرج من غريمه راضيًا إلا صلت عليه دواب الأرض، ونون البحار، وليس من عبد يلوي غريمه، وهو يجد إلا كتب الله عليه في كل يوم وليلة إثمًا**».

(متعتع): يصيبه أذى يقلقه أو يزعجه.

(نون البحار): الحيتان.

يلوي: يسوف ويؤخر.

- ويقول عمر بن الخطاب ﷺ: «رأيت رسول الله ﷺ يقيد» أي: يقتص «من نفسه».

الصبر وتحمل الشدائد:

أصل كلمة الصبر هو المنع والحبس؛ فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي، والجوارح عن فعل ما يغضب الله أو التشويش، ويقال: يصبر صبرًا، وصبر نفسه.

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨] والصبر خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها، وقيل: الصبر هو شجاعة النفس.

وقال الإمام أحمد: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، نصف شكر.

والقائد مطلوب منه تحقيق غايات وأهداف محدودة، ويعمل في ظل ظروف متغيرة

وعقبات وتحديات مستمرة تواجه مسيرته في تحقيق هذه الأهداف والغايات، وفى مواجهة هذه الحالات والمواقف والعقبات والتحديات يحتاج إلى الصبر فهو -أي: الصبر- العلاج الناجح والوسيلة الفعالة للمواجهة بالإضافة إلى أن أغلب الصفات المطلوبة للقائد رهن بمدى صبر القائد على اكتسابها أو إكسابها للغير، كذلك القائد عليه أن يتجمل بالصبر ويسلك سلوك الصابرين ويتصدى لبواعث العجلة والتسرع، وعليه أن يزن الأمور بموازين العقل والحكمة ثم يضع الأشياء في موضعها الصحيح زمانًا ومكانًا حتى يسوس أمور وأمور رجاله نحو تحقيق أهدافه وغاياته.

يقول ﷻ في كتابه الكريم عن الصبر في ستة عشر نوعًا:

الأول: الأمر به؛ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣] وقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقوله: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

الثانى: النهى عن ضده كقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ، وقوله: ﴿فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥] فإن توليه الأدبار: ترك للصبر والمصابرة، وقوله: ﴿وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] فإن إبطالها ترك الصبر على إتمامها، وقوله: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩] فإن الوهن من عدم الصبر.

الثالث: الثناء على أهله، كقوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٦]، وهو كثير في القرآن.

الرابع: إيجابه سبحانه محبته لهم، كقوله: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

الخامس: إيجاب معيته لهم، وهي معية خاصة، تتضمن حفظهم ونصرهم،

وتأييدهم، ليست معية عامة، وهي معية العلم، والإحاطة، كقوله: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال: ٤٧]، وقوله: ﴿وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة: ٢٤٩] و [الأنفال: ٦٦].

السادس: إخباره بأن الصبر خير لأصحابه، كقوله: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقوله: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء: ٢٥].

السابع: إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

الثامن: إيجابه سبحانه الجزء لهم بغير حساب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

التاسع: إطلاق البشرى لأهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٦].

العاشر: ضمان النصر والمدد لهم، كقوله تعالى: ﴿ بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] ، ومنه قول النبي ﷺ: «**واعلم أن النصر مع الصبر**».

الحادى عشر: الإخبار منه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ١٢٥].

الثانى عشر: الإخبار أنه ما يلقى الأعمال الصالحة وجزاءها والحظوظ العظيمة إلا أهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]، وقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

الثالث عشر: الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر. كقوله تعالى لموسى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، وقوله في أهل سبأ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩]، وقوله في سورة الشورى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ ۞ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٣].

الرابع عشر: الإخبار بأن الفوز المطلوب المحبوب، والنجاة من المكروه المرهوب، ودخول الجنة، إنما نالوه بالصبر، كقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٦].

الخامس عشر: أنه يورث صاحبه درجة الإمامة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

السادس عشر: اقترانه بمقامات الإسلام، والإيمان، كما قرنه الله سبحانه باليقين وبالإيمان، وبالتقوى والتوكل، وبالشرك والعمل الصالح والرحمة.

ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «خير عيش أدركناه بالصبر»، وأخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «أنه ضياء»، وقال: «**من يتصبر يصبره الله**».

وعن رسول الله ﷺ:

- قال أنس بن مالك ﷺ: إن رسول الله ﷺ أتى على امرأة تبكي على صبي لها فقال لها: «**اتقي الله، واصبرى**؛ فقالت: وما تبالي بمصيبتي فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله فأخذها مثل الموت، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله! لم أعرفك؛ فقال: **إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»(١).

- عن أم سلمة قالت: «قال رسول الله: **إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم احتسب مصيبتي فأجرني فيها، وأبدلني خيرًا منها**؛ فلما احتضر أبو سلمة قال: اللهم أخلفني في أهل خيرًا مني؛ فلما قبض قالت أم سلمة: إنا لله وإنا إليه راجعون عند الله احتسب مصيبتي(٢)، فأرسل لها الرسول حاطب بن أبي بلتعة يخطبها وتزوجت الرسول ﷺ.

- عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله: «**إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجعك؛ فيقول: ابنو لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد**»(٣).

- عن عروة عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها**»(٤).

وفي الآثار:

✍ قال عمر بن الخطاب: أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا.

✍ وقال أيضًا: لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما ركبت.

---

(١) في الصحيحين.
(٢) سنن أبو دواد.
(٣) سنن الترمذي ومسند الإمام أحمد.
(٤) في الصحيحين.

✍ قال علي بن أبي طالب: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد؛ فإذا قطع الرأس بار الجسم ثم رفع صوته؛ فقال: «ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له»، وقال: الصبر مطية لا تكبو».

✍ وقال علي بن أبي طالب للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت جرى عليك القلم، وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم، وأنت مأذور.

✍ قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما: أفضل العدة الصبر على الشدة.

✍ قال الحسن: الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.

✍ قال عمر بن عبد العزيز: «ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه».

✍ قيل للأحنف بن قيس: ما الحلم؟ قال: أن تصبر على ما تكره قليلاً.

✍ وقال الإمام أحمد: قال لقمان وسأله رجل أي شيء خيرًا؟ قال: صبر لا يتبعه أذى، قال: فأي الناس خيرًا؟ قال: الذي يرضى بما أوتي، قال: فأي الناس أعلم؟ قال: الذي يأخذ من علم الناس إلى علمه، قيل: فما خير الكنوز من المال أو من العلم؟ قال: سبحان الله بل المؤمن العالم الذي ابتغى عنده خيرًا وجد، وإن لم يكن عنده كف نفسه، وبحسب المؤمن أن يكف نفسه.

✍ وسئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ما منتهى الصبر؟ قال: أن يكون يوم تصيبه المصيبة مثل قبل أن تصيبه.

✍ قال عمرو بن دينار: قال عبيد بن عمير: ليس الجزع أن تدمع العين، ويحزن القلب، ولكن الجزع القول السيئ، والظن السيئ.

✍ وقيل: من خير خلالك الصبر على اختلالك.

✍ من أحب البقاء؛ فليعد للمصائب قلبًا صبورًا.

✍ الصبر صبران: فاللئام أصبر أجسامًا، والكرام أصبر نفوسًا.

✍ الصبر مفتاح الفرج.

✍ بحسن التأني تسهل المطالب.

✍ من صبر نال المنى، ومن شكر حصَّن النعم.

✍ من قل صبره عزب رأيه، واشتد جزعه؛ فصار صريع همومه، وفريسة غمومه.

✍ قالت امرأة من العرب:

أيها الإنسان صبرًا إن بعد العسر يسرًا
كم رأينا اليوم حرًّا لم يكن بالأمس حرًّا
ملك الصبر فأضحى مالكًا خيرًا وشرًّا
اشرب الصبر وإن كان من الصبر أمرًّا

صبر النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ يتحمل الشدائد، ويصبر على المرض، والأذى، والجوع، والعطش في سبيل الله.

– عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ، وهو موعوك (أي: محموم) عليه قطيفة فوضع يده فوق القطيفة، فقال: ما أشد حماك! يا رسول الله؟! قال: «إنا كذلك يشدد علينا البلاء، ويضاعف لنا الأجر»، ثم قال: يا رسول الله من أشد الناس بلاء؟ قال: «الأنبياء»، قال: ثم من؟ قال: «العلماء»، قال: ثم من: قال: «الصالحون، وكان أحدهم يُبتلى بالقمل حتى يقتله، ويبتلى أحدهم بالفقر

حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها، ولأحدهم كان أشد فرحًا بالبلاء من أحدكم بالعطاء»[١].

- عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد وأخفت في الله، وما يخاف أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة، وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يواري إبط بلال»[٢].

- عن عروة ﷺ قال: سألت ابن العاص ﷺ؛ فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله؟ قال: بينما النبي يصلي في حجر الكعبة إذا أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه خنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر ﷺ حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي، وقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله وقد جاءكم بالبيانات من ربكم؟!» [٣].

- عن عروة عن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي حدثته أنها قالت للنبي: «هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت يوم العقبة إذا عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال؛ فلم يجبني أي: ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي؛ فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب[٤] فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبرئيل ﷺ؛ فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد! فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[٥].

قال النبي: بل أرجو أن يخرج الله ﷻ من أصلاهم من يعبد الله ﷻ لا يشرك به شيئًا» [٦].

---

(١) رواه بن ماجه والبيهقي.
(٢) رواه أحمد في المسند والترمذي وابن حبان.
(٣) صحيح البخاري.
(٤) قرن الثعالب: موضع بقرب مكة.
(٥) الأخشبان: جبلان في مطيفان في بمكة أبو قيس والأحمر.
(٦) في الصحيحين البخاري ومسلم وسنن النسائي.

- عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه فجعل يسلت [١] الدم عن وجهه، ويقول: «**كيف يُفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله**»؛ فنزل قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾[٢].

وما سبق قليل من كثير من صبر النبي كقائد داعية، وقدوة حسنة في الصمود والثبات؛ فالمشركين في مكة سلكوا معه ﷺ مسالك شتى في الأذى وأساليب متنوعة في الاضطهاد ليصدوه عن دعوته، ويثنوه عن أداء رسالته فما استكان وما خضع.

سلكوا معه طريق الإغراء بالمال والرياسة والجاه... فما استكان، وما خضع.

سلكوا معه طريق الضغط العائلي، والتأثير الطائفي... فما استكان، وما خضع.

سلكوا معه طريق الاستهزاء والسخرية والاتهام... فما استكان، وما خضع.

سلكوا معه طريق المقاطعة الاقتصادية الشاملة له ولمن آزره... فما استكان وما خضع.

وقرروا أخيرًا اغتياله وملاحقته... فما استكان وما خضع.

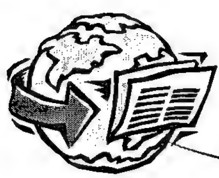
وبعد أن أذن الله له بالهجرة حاربوه بحملات متعددة وحروب طاحنة ليستأصلوا دعوته واتباعه؛ فما كان ذلك يرده عن تبليغ الدعوة ونشرها في الأرض وظهورها على الدين كله وظل ﷺ صابرًا دعايًا مجاهدًا محتسبًا ماضيًا في طريق إعزاز دين الله حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجًا وتحقق ذلك بفضل صبره وثباته ﷺ.

* * *

---

(١) أي: يمسح.
(٢) في الصحيحين.

القيادة
والمقومات الضرورية



القيادة والمقومات الضرورية

القيادة هي بمثابة الرأس من الجسد تحدد الأهداف، وتتجمع عندها المعلومات، وتدرس وتفكر مستعينة بالكفاءات المتخصصة، وتصدر التعليمات وتتابع التنفيذ، وهكذا يسير العمل على وجه صحيح، وبقدر ما تكون القيادة قوية ويقظة، وعلى مستوى جيد من الكفاءة بقدر ما تكون الحركة سديدة، ويكون الأداء متميزًا، والعكس أيضًا فبقدر ضعفها، ونقص كفاءتها يكون التراخي والعجز أو القصور عن تحقيق الأهداف.

وهذه القوة ونقيضها، وهو الضعف يعتمد على توافر المقومات الضرورية للقيادة أو عدمها وهذه المقومات الضرورية هي:

١- الشورى.

٢- المروءة.

٣- الجود والكرم.

٤- الجرأة في الحق.

٥- الصدق.

٦- الانتماء.

٧- التفاؤل.

٨- المرح والمزاح.

٩- التعرف على طبيعة المجتمع.

١٠- إعداد الصف الثاني من القيادة.

الشـــورى:

هي أصل من أصول القيادة، وهي تعني في اللغة المشاورة والمشورة.

وتعني في الاصطلاح استطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين، وهي من الأمور التي لا غنى للقائد عنها سواء كانت في الأمور الهامة كتدبير شئون الأمة أو في الأمور الخاصة بالأفراد والشئون الشخصية، وقد حملت هذا الاسم إحدى سور كتاب الله القرآن الكريم.

يقول تعالى ﷻ: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** [آل عمران: ١٥٩].

ويقول أيضًا: **﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۞ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾** [الشورى: ٣٦- ٣٨].

يقول الأستاذ سيد قطب -رحمه الله: «وهنا في هذه الآيات يصور خصائص هذه الأمة التي تطبعها وتميزها، ومع أن هذه الآيات مكية نزلت قبل قيام الدولة المسلمة في المدينة؛ فإننا نجد فيها أن من صفة هذه الجماعة المسلمة **﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾** فما يوحى بأن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن يكون نظامًا سياسيًّا للدولة؛ فهو طابع أساسي للجماعة كلها يقوم عليه أمرها كجماعة ثم يتسرب من الجماعة إلى الدولة».

ويقول رسول الله ﷺ:

روي عن عبد الرحمن بن غنم أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «لو

أنكما تتفقان على أمر واحد ما عصيتكما في شورة أبدًا»[١].

✍ عن أبي هريرة ﷺ قال: ما رأيت أحدًا أكثر شورة لأصحابه من النبي ﷺ[٢].

✍ قوله ﷺ: «المستشار مؤتمن».

✍ قوله ﷺ: «إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه».

✍ قوله ﷺ: «ما ندم من استشار، ولا خاب من استخار».

✍ قوله ﷺ: «ما شقي قط عبد بمشورة، وما سعد باستغناء رأي».

✍ قوله ﷺ: «أما إن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي؛ فمن استشار منهم لم يعدم رشدًا أو من تركها لم يعدم غيًا».

✍ قوله ﷺ: «المشورة حصن من الندامة، وأمان من الملامة».

✍ قوله ﷺ: «استرشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه تندموا»[٣].

ومن الآثار وأقوال السلف:

✍ قال علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه: «نعم المؤازرة المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد».

✍ قال عمر بن الخطاب ﷺ: «الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فيسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه، وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بأمره لا يأتمر رشدًا، ولا يطيع مرشدًا».

✍ قال عمر بن عبد العزيز: «إن المشورة والمناظرة بابًا رحمة، ومفتاحًا بركة لا يضل معهما رأي، ولا يفقد معهما حزم».

---

(١) رواه أحمد في المسند.
(٢) رواه الترمذي في سننه والشافعي في الأم والبيهقي.
(٣) أخرجه الخطيب من روايه مالك عن أبي هريرة مرفوعًا.

✍ قال سيف بن ذي يزن: «من أعجب برأيه لم يشاور، ومن استبد برأيه كان من الصواب بعيدًا».

✍ وقال لقمان الحكيم لابنه: «شاور من جرب الأمور؛ فإن يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء، وأنت تأخذه مجانًا».

✍ وروي عن الحسن أنه قال: «ما تشاور قوم قط بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم».

✍ وفى لفظ: «إلا عزم الله لهم بالرشد أو بالذي ينفع».

✍ وقال قتادة: «ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هُدوا لأرشد أمرهم».

وقال الحكماء:

✍ المشاورة راحة لك، وتعب على غيرك.

✍ الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه.

✍ من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء؛ فالرأي الفذ (أي: الفرد) ربما زل، والعقل الفرد ربما ضل.

✍ نصف رأيك مع أخيك؛ فشاوره ليكمل لك الرأي.

✍ الخطأ مع الاسترشاد أحمد من الصواب مع الاستبداد.

✍ إذا أشكلت عليك الأمور، وتغير لك الجمهور؛ فارجع إلى رأي العقلاء، وأفزع إلى استشارة العلماء، ولا تأنف من الاسترشاد، ولا تستنكف من الاستمداد؛ فلأن تسأل، وتسلم خير لك من أن تستبد وتندم.

ومن الفوائد التي يجنيها القادة من المشاورة:

- تطيب نفوس أتباعه ورجاله، وتألف قلوبهم عندما يسمع منهم، ويستعين بهم.

- إحراز الصواب دائمًا حيث يجتهد الكل في استخراج الوجه الأمثل للأمر.
- الأمن من ندم الاستبداد بالرأي الظاهر خطؤه.
- زيادة العقل واستحكامه.
- الأمن من عتب الرجال والأتباع عند الخطأ، وإقامة الحجة على المعترض.
- التجرد عن الهوى والبعد عن الوقوع في شباكه.
- استمناح الرحمة والبركة كمال كما قال عمر بن العزيز من قبل.
- تكشف طبائع الرجال وقدراتهم ومدى الاستفادة منهم ومن كفاءاتهم.

*** صفات المستشار:**

لا بدَّ من توافر خمس صفات فيمن يستشيره القائد، وهذه الصفات هي:

١- **عقل كامل مع خبرات وتجارب سابقة كثيرة**: فقد قال عبد الله بن الحسن لابنه محمد: احذر مشاورة الجاهل، وإن كان ناصحًا كما تحذر عداوة الجاهل إذا كان عدوًّا؛ فإنه يوشك أن يورطك بمشورة فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل.

ويقال أيضًا: إياك ومشاورة رجلين: شاب معجب بنفسه قليل التجارب في غيره أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه.

وكل شيء يحتاج إلى العقل والعقل يحتاج إلى التجارب والخبرات.

٢- **أن يكون ذا دين وتقى**؛ وقد روي عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أمرًا فشاور فيه امرأً سلمًا وفّق الله لأرشد أموره».

٣- **أن يكون ناصحًا ودودًا**؛ فالنصح والود والمودة يدعمان الفكرة والرأي،

ويقول الحكماء: لا تشاور إلا الحازم غير الحسود واللبيب غير الحقود.

٤- **ألا ينشغل فكره بالهم والغم**؛ فإن من شاب فكره هموم لم يسلم له رأي ولا يستقيم له خاطر.

٥- **ألا يكون صاحب غرض يتبعه، ولا هوى يساعده.** وعلى القائد أن يذكر دائمًا قول رسول الله ﷺ: «**رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس، وما استغنى مستبد برأيه، وما هلك أحد عن مشورة؛ فإذا أراد الله بعبد هلكه كان أول ما يهلكه رأيه**».

مشاورة النبي ﷺ عديدة ومنها:

- في غزوة بدر حين استشار النبي أصحابه في أمر الخروج لقريش، وكذلك حين أخذ بمشورة الخباب بن المنذر حول المنزل الذي فيه ينزل المسلمين، وقال له ﷺ: «**لقد أشرت بالرأي**» ثم مشاورته في أسرى بدر كذلك.
- في غزوة أحد حين استشار الرسول المسلمين في أمر التحصن بالمدينة أو الخروج لقتال العدو خارج المدينة.
- في صلح الحديبية حين شاور الرسول أصحابه في أن يميل على فراري المشركين؛ فلم يوافق أبو بكر رضي الله عنه على ذلك، فأجابه الرسول، وأخذ برأيه.
- في حادثة الإفك ومشاورة الرسول عليًّا وأسامة -رضي الله عنهما- كما استشار في أمر المروجين لتلك الواقعة من المنافقين.

المروءة:

اعلم أيها القائد أن النفس البشرية تتجاذبها ثلاثة أمور:

الأول: يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان من الكبر والحسد والغلو

والبغى والشر والأذى والفساد والغش.

الثانى: داعٍ يدعوها إلى أخلاق الحيوان، وهو داعي الشهوة.

الثالث: داعٍ يدعوها إلى أخلاق الملائكة من الإحسان والنصح والبر والعلم والطاعة.

وحقيقة المروءة هي بغض الداعي الأول والثاني وإجابة الداعي الثالث.

وكما قال بعض السلف: خلق الله والملائكة عقولاً بلا شهوة، وخلق البهائم شهوة بلا عقول، وخلق ابن آدم، وركب فيه العقل والشهوة؛ فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم.

ولذا فإن المروءة هي غلبة العقل للشهوة، وهي عند القائد استعمال ما يجمله ويزينه وترك ما يفسده ويشينه.

وهي أيضًا: استعمال كل خلق حسن، واجتناب كل خلق وقبيح.

- **فمروءة اللسان لدى القائد**: حلاوته وطيبه ولينه واجتناء الثمار منه بسهولة ويسر.
- **ومروءة الخلق لدى القائد**: سعته وبسطه للحبيب والبغيض.
- **ومروءة المال لدى القائد**: الإصابة ببذله مواقعه المحمودة عقلاً وعزمًا وشرعًا.
- **ومروءة الجاه لدى القائد**: بذله للمحتاج إليه.
- **ومروءة الإحسان لدى القائد**: تعجيله وتيسيره وتوفيره وعدم رؤيته حال وقوعه ونسيانه بعد وقوعه.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من عامل الناس؛ فلم يظلمهم وحدثهم؛ فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته**».

وفي الأثر:

✍ قال بعض البلغاء: من شرائط المروءة أن يتعفف عن الحرام، ويتصلف عن الآثام، وينصف في الحكم، ويكف عن الظلم، ولا يطمع فيما لا يستحق ولا يستطيل على ما يسترق -أي: لا يتكبر على من يتواضع- ولا يعين قويًا على ضعيف، ولا يؤثر دنيا - أي: دنيئًا ساقطًا- على شريف، ولا يُسر ما يعقبه الوزر والإثم، ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم.

✍ سئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة؛ فقال: العقل يأمرك بالأنفع والمروءة تأمرك بالأجمل.

✍ إذا طلب رجلان أمرًا ظفر به أعظمهما مروءة.

مراحل المروءة لدى القائد:

على القائد أن يلتزم بـ:

- ترك الخصام، المعاتبة، المطالبة والإلحاح للأشياء.
- التغاضي عن عيب ما في خلق أحد الرجال، وترك الاستقصاء في طلبه.
- التغافل عن عثرات الرجال، وإشعارهم أنك لا تعلم لأحد منهم عثرة.
- التوقير للكبير وحفظ حرمة النظير ورعاية أدب الصغير.

ومراحل المروءة هي:

الأولى: مروءة القائد مع نفسه، وهي أن يحملها قسرًا على ما يُجمل ويزين وترك ما يدنس ويشين ليصير لها مالكًا في السر والعلانية فلا يفعل خاليًا ما يستحي من فعله في العلن.

الثانى: مروءة القائد مع رجاله بأن يستعمل معهم شروط الأدب والحياء والخلق الجميل، ولا يظهر لهم ما يكرهه هو من غيره لنفسه، وأن يتخذ رجاله مرآة لنفسه فكل ما كرهه ونفرعنه من قول أو فعل أو خلق فليجتنبه، وما أحبه من ذلك، واستحسنه فليفعله.

الثالث: مروءة القائد مع الحق سبحانه وتعالى بأن يستحي أن ينظر له الله تعالى، وهو على خطأ؛ فهو المطلع عليه في كل لحظة ونفس، وأن يجتهد أن يصلح عيوب نفسه قدر الإمكان، وليس من المروءة تسليمه على ما فيه من العيوب.

شروط المروءة لدى القائد:

هناك أمران في شروط المروءة لدى القائد:

الأول: شروط المروءة في نفس القائد، وهي تشمل:

أ- التزام ما أوجبه الشرع من أحكام.

ب-العفة والنزاهة والصيانة.

١- العفة وهي نوعان:

أولاً- العفة عن المحارم، وهي ضبط الفرج عن المحارم، وكف اللسان عن الأعراض.

بالنسبة للفرج: يقول الرسول ﷺ: «**من وقى شر ذبذبه ولقلقه وقبقبه؛ فقد وقى**» يريد بذبذبه الفرج، وبلقلقه اللسان وبقبقه البطن.

وروي عن الرسول أنه قال: «**أحب العفاف إلى الله تعالى عفاف الفرج والبطن**».

- وحكى أن معاوية سأل عمر -رضي الله عنهما- عن المروءة؛ فقال: تقوى الله تعالى وصلة الرحم.

وسأل يزيد؛ فقال: هي الصبر على البلوى، والشكر على النعم، والعفو عند القدرة.

- وقال أنوشروران لابنه هرمز: من الكامل المروءة؟ قال: من حصن دينه ووصل رحمه، وأكرم إخوانه.

- وقال بعض الحكماء: من أحب المكارم اجتنب المحارم.

بالنسبة لضبط اللسان:

قال رسول الله ﷺ: «**ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم حرام عليكم**»، والرسول جمع هنا بين الدم والعرض لما فيه من إيغار للصدور وإبداء الشرور واكتساب الأعداء، وإظهار البذاءة في القول.

وقال الرسول ﷺ: «**شر الناس من أكرمه الناس إتقاء لسانه**».

وقال بعض الحكماء: إنما هلك الناس بفضول الكلام وفضول المال.

والقدح في الأعراض باللسان يشمل الكذب، وفحش القول، والغيبة، والنميمة، والسب بقذف أو شتم.

ثانيًا: العفة عن المآثم، وهي تشمل الكف عن المجاهرة بالظلم وخيانة الأمانة.

بالنسبة للكف عن المجاهرة بالظلم: وهي تؤدي -المجاهرة بالظلم- للطغيان والفتن، وإذا ما حدثت فتنة؛ ففي الأغلب ستحيط بالقائد أولاً وتنعكس عليه كما قال تعالى: ﴿**وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**﴾ [فاطر: ٤٣].

وروي عن النبي أنه قال: «**الفتنة نائمة فمن أيقظها صار طعامًا لها**».

وروي عن النبي أنه قال: «**من أصبح، ولم ينو ظلم أحد غفر الله له ما اجترم**».

وروي عن النبي أنه قال: «**يا علي اتق دعوة المظلوم؛ فإنه إنما يسأل الله حقه، وإن الله لا يمنع ذا حق حقه**».

وقال جعفر بن محمد: الفتنة حصاد الظالمين.

وقيل: ويل للظالم من يوم المظالم.

وقيل: من جار حكمه أهلكه ظلمه.

وبالنسبة للخيانة:

روي عن النبي أنه قال: «**اد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**».

وروي عن النبي أنه قال: «**كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا هو تحت قدمي إلا الأمانة؛ فإنها مؤداة إلى البر والفاجر**».

وقيل: من يُخن يهن.

وقيل: من التمس أربع بأربع التمس ما لا يكون؛ فمن التمس الجزاء بالرياء التمس ما لا يكون، ومن التمس مودة الناس بالغلظة التمس ما لا يكون، ومن التمس وفاء الإخوان بغير وفاء التمس ما لا يكون، ومن التمس العلم براحة الجسد التمس ما لا يكون.

٢- النزاهة: وهي نوعان:

أولاً: النزاهة عن المطامع الدنية؛ فالطمع ذل والدناءة لؤم، ويبعدان عن المروءة.

وروي أن رجل قال: يا رسول الله! أوصني، قال: «**عليك باليأس مما في أيدي الناس وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وإذا صليت فصلِّ صلاة مودع، وإياك وما يعتذر منه**».

ثانيًا: النزاهة عن مواقف الريبة: وقد قال النبي ﷺ: «**دع ما لا يريبك إلى ما لا يريبك**».

ولعل موقف الرسول ﷺ -وهو أبعد الناس عن الريبة- مع رجلين من الأنصار حيثما وقف مع زوجته صفية ذات ليلة على باب المسجد يحادثها، وكان معتكفًا فمرَّ به رجلان من الأنصار، فلما رأياه أسرعا؛ فقال لهما النبي ﷺ: «**على رسلكما إنها صفية بنت حيي**؛ فقالا: سبحان الله! أوفيك نشك يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «**مه إن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم في لحمه ودمه، فخشيت أن يقذف في قلبيكما سوءًا**».

٣- الصيانة: وهي تشمل التماس كفاية نفسه، وتقدير ما يحتاج إليه، ويؤده بنفسه، ولا يطلب من أحدًا شيئًا يقدر على أدائه أي: لا يسئل الناس أن يؤدوا له عمل خاص به، وكذلك صيانة نفسه عن تحمل المن، والفضل من الغير.

الشرط الثاني: شروط المروءة في تعامل القائد مع الغير، وهي تشمل:

أ- المؤازرة، وهي تتم بأنه يسعف الغير بجاه وفى النوائب.

فهو الأعلى قدرًا والأنفذ أمرًا، وهو - أي: القائد- الظل الذي يلجأ إليه المضطرون، والحمى الذي يأوي إليه الخائفون.

وقد روي عن النبي أنه قال: «**الخلق كلهم عيال الله، وأحب خلق الله تعالى إليه أحسنهم صنيعًا إلى عياله**».

وقيل: اصنع الخير عند إمكانه يبقي لك حمده عند زواله، وأحسن والدولة لك يحسن لك والدولة عليك، واجعل زمان رضائك عدة لزمان بلائك.

وقيل لحكيم: من أضيق الناس طريقًا، وأقلهم صديقًا، قال: من عاشر الناس بعبوس وجهه، واستطال عليهم بنفسه.

ب- التيسير على الغير، وهي تشمل:

أولاً: العفو عن الهفوات فلا يوجد شخص إلا وبه عيب.

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى أمرني بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض**».

وقيل لأنوشروان: هل من أحد لا عيب فيه؟ قال: من لا موت له.

وعلى القائد أن يعفو عن الهفوات.

ثانيًا: المسامحة في الحقوق: النفوس استقرت على حب من يأسرها، ويسامحها فمن عاشر إخوانه بالمسامحة دامت له موداتهم، وإذا أخذ القائد بعفو القلوب عن الغير زكا ريعه، وعلا قدره لدى رجاله والغير.

مروءة الرسول ﷺ:

كان رسول الله أفضل خلق الله تعالى مروءةً على الأرض، وليس أدل على ذلك من:

- حلم النبي وحسن خلقه على الغير.
- جود وكرم النبي وإنفاقه للأموال.
- حفظ اللسان عن الخطأ في حق الغير مع طيب كلامه وحسن عشرته.
- صبره على أذى الناس خاصةً في مكة، وعفوه عنهم حين فتح مكة.
- حفظ السر والأمانة خاصة عند الهجرة من مكة للمدينة.
- حفظ العهود وعدم النكوص فيه.
- العدل بين الجميع.
- العفو عن هفوات رجاله مع تعليمهم إياها للاستفادة منها برفق ولين.
- البعد عن مواقف الريبة والشك.
- إلى غير الكثير من فعله ومروءته ﷺ.

الجود والكرم:

الجود والسخاء خلق القائد والكرم شيمته، والقائد المسلم لا يكون شحيحًا ولا بجيلاً إذ الشح والبخل خلقان ذميمان منشؤهما خبث النفس وظلمة القلب والقائد بإيمانه وعمله الصالح نفسه طاهرة، وقلبه مشرق فيتنافى مع طهارة نفسه، وإشراق قلبه وصف الشح والبخل، والجود وسط بين الإسراف والاقتار وبين البسط والقبض.

يقول تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

ويقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ٥- ١١].

ويقول: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠].

ويقول: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٢].

ويقول: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ:٣٩].

ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله جواد يحب الجود، ويحب مكارم الأخلاق، ويكره سفسافها»[١].

ويقول: «لا حسد إلا في اثنين: رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة؛ فهو يقضي بها ويعلمها»[٢].

ويقول: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان يترلان؛ فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[٣].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري.

ويقول: «اتقو الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»[(١)].

عن أبي كبشة عمر بن سعد الأنماري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أُقسم عليهن، وأحدثكم حديثًا؛ فاحفظوا: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزًّا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وأحدثكم حديثًا فاحفظوه، قال: إنما الدنيا لأربعة نفر:

عبد رزقه الله مالاً، وعلمًا؛ فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًّا فهذا بأفضل المنازل.

وعبد رزقه الله علمًا، ولم يرزقه مالاً؛ فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان؛ فهو نيته فأجرهما سواء.

وعبد رزقه الله مالاً، ولم يرزقه علمًا؛ فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًّا؛ فهذا بأخبث المنازل.

وعبد لم يرزقه الله مالاً، ولا علمًا؛ فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته فوزرهما سواء»[(٢)].

وفي الأثر: قيل:

- البخيل: من أجاب داعي الشح، والمؤثر: من أجاب داعي الجود.
- السخاء عما في أيدي الناس هو السخاء.
- سخاء النفس عما في أيدى الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل والعطاء.
- ويحكى أن قيس بن سعد بن عبادة -رضي الله عنهما- وكان من الأجواد المعروفين، ومرض مرة فاستبطأ إخوانه في العيادة؛ فسأل عنهم؟ فقالوا: إنهم كانوا يستحيون مما لك عليهم من الدين؛ فقال: أخزى الله

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي .

مالاً يمنع الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديًا ينادى: من كان لقيس عليه مالاً؛ فهو منه في حل، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه لكثرة من عاده.

ومراتب الجودة الكرام لدى القائد هي عشرة درجات:

١- الجود بالنفس، وهو أعلى مراتب الجودة ودرجاته، ويقول الشاعر:

يجود بالنفس إذا ضمن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

٢- جود القائد برئاسته أي: يجود القائد بسلطته في قضاء حاجات رجاله والتماسها.

٣- جود القائد براحته ورفاهيته، فيجود بها تعبًا وكدًا في مصلحة رجاله، ومن هذا أيضًا جود القائد بنومه لمسامرة رجاله.

٤- جود القائد بالعلم وبذله، وهو أفضل من الجود بالمال؛ لأن العلم أشرف من المال.

ومن جود القائد بالعلم أنه:

- يبذل العلم لمن يسأله عنه، وأن يطرحه عليه طرحًا.
- إذا سُئِلَ عن شيء استقصى الجواب الشافي، وليس بقدر ما يدفع به الضرورة أو الإيجاب بـ«نعم» أم «لا».
- لا يقتصر على السؤال فقط بل يذكر كذلك نظائره ومتعلقاته حولها بحيث يشفي غليل السائل وأكثر.

٥- جود القائد بالجاه كأن يشفع، ويمشي مع رجل إلى ذي سلطان، ونحوه ليقضي له حاجته.

٦- جود القائد بالبدن على اختلاف أنواعه كما قال رسول الله ﷺ: **«يصبح على كل سُلامى من أحدكم كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين**

صدقة، ويعين الرجل في دابته فيحمل عليه أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها الرجل إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»(١).

٧- جود القائد بالعرض كجود أبي ضمضم من الصحابة: كان إذا أصبح قال: اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي؛ فمن شتمني أو قذفني فهو في حل؛ فقال النبي ﷺ: «**من يستطع منكم أن يكون كأبي ضمضم؟**».

أي: يجود القائد هنا بسلامة الصدر، وراحة القلب، والتخلص من معاداة الخلق.

٨- جود القائد بالصبر، والاحتمال على أذى الآخرين والعفو عنهم.

٩- جود القائد بحسن الخلق، والبشر، والبسطة، وقال النبي: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسطًا إليه**».

١٠- جود القائد بتركه ما في أيدي الناس عليهم؛ فلا يلتفت إليه، ولا يتعلق به قلبه، ولا يتعرض له بحاله، ولا لسانه.

جود النبي وكرمه ﷺ:

- عن أنس ﷺ قال: ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام - أي: لأجل الإسلام- شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا؛ فما يلبث إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها(٢).

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم.

- عن عمر ﷺ قال: قسَّم رسول الله قسمًا؛ فقلت: يا رسول الله لغير هؤلاء كانوا أحق به منهم؟ قال: «**إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش، فأعطيهم أو يبخلوني، ولست بباخل**»[١].

- عن جبير بن مطعم ﷺ أنه قال: بينما هو يسير مع النبي مقفلة – أي: رجوعه- من حنين فعلقه الأعراب (أي: أخذوا به) يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف النبي؛ فقال: «**أعطوني ردائي، فلو كان لى عدد هذه العضاه نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذابًا ولا جبانًا**»[٢].

(السمرة): شجرة، (العضاة): شجر له شوك.

- قوله ﷺ لعائشة: «**بقى كلها إلا كتفها**» لما سألها عما بقى من شاة ذبحوها؛ فقلت: ما بقى منها إلا كتفها تعني أنها أنفقت كلها، ولم يبق من لحمها إلا الكتف.

وغير ذلك في جود النبي ﷺ حيث كان يجود بنفسه وبراحته في سبيل تعليم أصحابه، ويسير في حوائج النساء، ويصبر، ويحتمل، ويعفو عن من أساء إليه.

الجرأة في الحق:

الجرأة في الحق قوة نفسية رائعة يستمدها القائد من الإيمان بالله الواحد الأحد الذي يعتقده، ومن الحق الذي يعتنقه، ومن الخلود السرمدي الذي يوقن به، ومن القدر الذي يستسلم إليه، ومن المسئولية التي يستشعر بها، ومن التربية التي نشأ عليها.

وعلى قدر نصيب القائد من الإيمان بالله الذي لا يغلب، وبالحق الذي لا يخذل، وبالقدر الذي لا يتحول، وبالمسئولية التي لا تكل، وبالتربية التكوينية التي لا تمل، بقدر كل هذا يكون نصيبه من قوة الجرأة والشجاعة، وإعلان كلمة الحق

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.

التي لا تخشى في الله لومة لائم.

يقول تعالى ممتدحًا الذي يبلغون رسالات الله، ويخشونه، ولا يخشون أحدًا سواه:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ويقول الرسول ﷺ: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»(١).

ويقول أيضًا: «**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر؛ فأمره ونهاه فقتله**»(٢).

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثره علينا، وعلى إلا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم».

ومن المواقف الحية والرائدة في الجرأة في الحق:

- موقف «العز بن عبد السلام» قال مرة لسلطان مصر «نجم الدين أيوب»، وكان في مجلس حافل برجال الدولة: يا أيوب!! ما حجتك عند الله إذا قال لك غدًا: ألم أبوأ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور.

فقال: هل جرى هذا؟

قال: نعم: الحانة الفلانية يباع فيها الخمور، وتستباح فيها المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة.

فقال: هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) رواه الحاكم.

فقال العز بن عبد السلام: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾؟ [الزخرف: ٢٣].

فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة وإغلاقها.

- كان «سلمة بن دينار» المكنى بأبي حازم يدخل على معاوية، فيقول: السلام عليك أيها الأجير، فإذا حاولوا أن يقولوا لأبي حازم قل: السلام عليكم أيها الأمير، أبى عليهم ذلك، ثم التفت إلى معاوية؛ فقال له: «إنما أنت أجير هذه الأمة أستأجرك ربك لرعايتها!!.»

- لما أنشأ «عبد الرحمن الناصر» مدينة الزهراء في الأندلس أبدع في بنائها أيما إبداع، وأنفق عليها من الأموال ما لا يكاد يعد ولا يحصى، وبلغ من إنفاقه وتفننه في تزيينها أن أقام «الصرح الممرد»، واتخذ لقبته قراميد من ذهب وفضة، فما إن سمع بذلك الفقيه القاضى «منذر بن سعيد»، حتى ارتاع لعمل الناصر، وغضب لتبديده أموال الشعب، فوقف في المسجد يخطب الناس بحضور الناصر، ويتوجه إليه باللوم والتأنيب، وهو يقول: «ما كنت أظن أن الشيطان -أخزاه الله- يبلغ بك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما أتاك الله، وفضلك به على العالمين، حتى أنزلك منازل الكافرين...)!!.

فاقشعر عبد الرحمن الناصر من قوله، فقاطعه، وقال له: انظر ما تقول؟ كيف أنزلني الله منازلهم؟

قال: نعم، أليس الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۞ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣، ٣٤].

فوجم الخليفة، ونكس رأسه مليًا، ودموعه تجرى على لحيته خشوعًا لله تبارك وتعالى، ثم أقبل على القاضي، وقال له: «جزاك الله تعالى -يا قاضي-

خيرًا، وعن المسلمين والدين، وأكثر في الناس من أمثالك، فالذي قلته -والله- هو الحق»؛ وقام من مجلسه، وهو يستغفر الله، وأمر بنقض القبة، وأعاد قراميدها ترابًا!!..

- وروى زياد عن مالك بن أنس قال: بعث «أبو جعفر المنصور» إلى «والي بن طاووس» أحد أفاضل العلماء في عصره، فدخلنا عليه، وبين يديه أنطاع قد بسطت (جلود توضع تحت المحكوم عليهم بالقتل)، وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الأعناق، فأومأ إلينا أن اجلسا، فجلسنا، فأطرق عنا قليلاً، ثم رفع رأسه، والتفت إلى ابن طاوس، فقال له: حدثني عن أبيك.

قال: نعم، سمعت أبي يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة، رجل أشركه الله في حكمه، فأدخل عليه الجور في عدله**».

قال مالك: فضمت ثيابي مخافة أن يملأني دمه؛ فأمسك ساعة، ثم التفت إليه أبو جعفر؛ فقال: عظني يا ابن طاووس، قال: نعم، يا أمير المؤمنين!! يقول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾ [الفجر: ٦- ١٤].

قال مالك: فضمت ثيابي مخافة أن يملأ ثيابي من دمه!!

فأمسك ساعة، ثم قال: يا ابن طاووس، ناولني هذه الدواة، فأمسك عنه، فقال: ما يمنعك أن تناولنيها؟

قال ابن طاووس: أخشى أن تكتب بها معصية، فأكون شريكك فيها!!.

فلما سمع ذلك قال أبو جعفر: قوما عني!!

قال ابن طاووس: ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم!!

قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاووس فضله.

- وذكر الغزالي في إحيائه: عن الأصمعي قال: دخل «عطاء بن أبي رباح» على عبد الملك بن مروان، وهو جالس على سريره، وحوله الأشراف من كل بطن، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به قام إليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، وقال له: يا أبا محمد ما حاجتك؟

فقال: يا أمير المؤمنين! اتق الله في حرم الله، وحرم رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار؛ فإنك بهم جلست هذا المجلس؛ واتق الله في أهل الثغور؛ فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين، فإنك وحدك المسئول عنهم؛ واتق الله فيمن على بابك؛ فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم!!.

فقال عبد الملك بن مروان: أجل، أفعل.. ثم نهض وقام، فقبض عليه عبد الملك!!.

فقال: يا أبا محمد، إنما سألتنا حاجة لغيرك، وقد قضيناها فما حاجتك أنت؟

فقال: ما لي إلى مخلوق حاجة!! ثم خرج.

فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف!!...).

وعلى القائد أن يميز بين الجرأة والغلظة:

فالجرأة شيء والغلظة شيء آخر فالجرأة أن يقول كلمة الحق، ولا حساب لهذه الكلمة أي حساب، ولو أدت إلى المحنة والابتلاء، ولا يمنع أن يكون القائد في موقفه هذا رفيقًا حكيمًا مع من ينصحه، ويقوِّم اعوجاجه، ويقول أمامه كلمة الحق..

بل الأصل في دعوة من يدعو، ونصيحة من ينصح، الرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة.. تحقيقًا لقوله تبارك وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

أما الغلظة؛ فهى أن يبدأ من يريد إصلاحه، وتقويم اعوجاجه، ودعوته إلى الخير.. أن يبدأه بالجفاء والفظاظة والشدة.. وهذه المبادرة تورث لدى المدعو أو المنصوح له ردود فعل قد تؤدي به، وبمن يدعوه إلى أسوأ العواقب، ولا سيما إذا كان المنصوح له ذا مركز مرموق، وسلطة قوية.

وفى هذا الأمر نسوق هذا الحدث: دخل واعظ إلى أبي جعفر المنصور، وأغلظ عليه في الكلام؛ فقال أبو جعفر للواعظ: يا هذا ارفق بي، أرسل الله سبحانه من هو خير منك إلى من هو شر مني أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون فقال له: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

فخجل الرجل مما ما بدر منه، وعرف أنه لم يكن أفضل من موسى عليه السلام وأن أبا جعفر لم يكن شرًّا من فرعون، نعم قد يكون في بعض مواقف الدعاة ما يلمح منها الشدة والجفاء كما يتبيَّن من بعض الأمثلة التاريخية التي استشهدنا بها في هذا المقام، ولكن هذه الشدة أحيانًا قد تكون لها مبرراتها وأسبابها كما رأينا من موقف القاضي «منذر بن سعيد»، والعالم «والي بن طاووس» فالأول: أنكر على من أنفق أموال الأمة وبددها في غير ما وضعت له، والثاني: ذكر بالله من بين يديه جلادون يضربون الأعناق.. فالموقف إذا يستدعي أخذ الأمور بالحزم، وتوضيح المسائل بالصارحة عسى أن يكف الظالم عن ظلمه، والمستهتر بمصالح الأمة وأموالها عن استهتاره.. وهذا ما جعل الخليفة «عبد الرحمن الناصر» أن يرد لبنات الذهب والفضة إلى بيت المال لصراحة القاضي «منذر بن سعيد»، وما جعل الخليفة «أبا جعفر المنصور» أن يتذكر أو يخشى لتذكير العالم «والي بن طاووس» له بنهاية الطغاة ومصيرهم..

وخلاصة ما سبق:

أن الجرأة في الحق خلق محمود في القائد، وأن الأصل فيها الرفق واللين، ولا سيما لمن يبدأ معهم في النصيحة

والهداية والإصلاح.. اللهم إلا إذا دعت الضرورة أن يكون القائد أكثر صراحة، وأظهر حزمًا، وأقوى اندفاعًا، وأدعى تبيانًا.. فلا بأس في صراحته وحزمه، ولا مانع من اندفاعه وتبيانه.. بشرط إلا يخرج عن الطور، وإلا يتعدى حدود الحكمة، وإلا يسبب حدوث فتنة.. كما تبين من المواقف السابقة.

الصدق:

الصدق هو: اسم لحقيقة الشيء بعينه حصولاً ووجودًا، وهو حصول الشيء وتمامه وكمال قوته، واجتماع أجزائه كما يقال: عزيمة صادقة إذا كانت قوية تامة، وكذلك: محبة صادقة وإرادة صادقة.

وكذا قولهم: حلاوة صادقة: إذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة لم ينقص مها شيء.

ومن مظاهر صدق القائد:

- صدق الحديث فإذا تحدث لا يتحدث بغير الحق والصدق، وإذا أخبر فلا يخبر بغير ما هو الواقع في نفس الأمر إذ كذب الحديث من النفاق وآياته.
- صدق المعاملة؛ فالقائد إذا عامل أحدًا صدقه في معاملته؛ فلا يغش، ولا يخدع، ولا يزور، ولا يغرر بحال من الأحوال.
- صدق العزم؛ فالقائد إذا عزم على فعل ما ينبغي فعله لا يتردد في ذلك بل يمضي في عمله غير ملتفت إلى شيء أو ميال لآخر حتى ينجز عمله.
- صدق الوعد؛ فالقائد إذا واعد أحدًا أنجز له ما وعده به إذ خلف الوعد من آيات النفاق.

- صدق الحال؛ فالقائد لا يظهر في غير مظهره، ولا يظهر خلاف ما يبطن؛ فلا يلبس ثوب زور، ولا يرائي، ولا يتكلف ما ليس له لقول رسول الله ﷺ: «المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور»[1]، ومعنى هذا أن المتزين والمتجمل بما لا يملك ليرى أنه غني يكون كمن يلبس ثوبين رديئين ليتظاهر بالزهد، وهو ليس بزاهد، ولا متقشف.

القائد يجب أن يكون صادقًا، ويلتزمه ظاهرًا وباطنًا في أقواله، وفى أفعاله إذ الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة.

والقائد لا ينظر إلى الصدق كخلق فاضل يجب التخلق به لا غير بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك يذهب إلى أن الصدق من متممات إيمانه ومكملات إسلامه إذا أمر الله تعالى به حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

قال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

قال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

وقال: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) رواه مسلم.

وقال: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

ويقول الرسول ﷺ:

- عن ابن مسعود ﷺ عن النبي قال: **«إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»**(١).

- عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- قال حفظت من رسول الله ﷺ: **«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة»**(٢).

- عن أبي سفيان صخر بن حرب ﷺ في حديثه الطويل لهرقل، قال هرقل: فماذا يأمركم -يعني: النبي ﷺ- قال أبو سفيان: قلت: يقول: «اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة»(٣).

- عن صفوان بن سليم قال: قيل للنبي: «أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: **نعم**، قيل: أفيكون بخيلاً؟ قال: **نعم**، قيل: أفيكون كذابًا؟ قال: **لا**.

وفي الأثر:

✍ قال ابن عباس: أربع من كن فيه فقد ربح الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر.

✍ قال بشر بن الحارث: من عامل الله بالصدق استوحش من الناس.

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) متفق عليه.

✍ قال أبو سليمان: اجعل الصدق مطيتك، والحق سيفك، والله تعالى غاية طلبتك.

✍ وقال الكتاني: وجدنا بين الله تعالى مبنيًا على ثلاثة أركان: على الحق والصدق، والعدل؛ فالحق على الجوارح، والعدل على القلوب، والصدق على العقول.

✍ قال وهب بن منبه: وجدت على حاشية التوارة اثنين وعشرين حرفًا كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرءونها ويتدارسونها: لا كنز أنفع من العلم، ولا مال أربح من الحلم، ولا حسب أوضع من الغضب، ولا قرين أزين من العمل، ولا رفيق أشين من الجهل، ولا شرف أعز من التقوى، ولا كرم أوفى من ترك الهوى، ولا عمل أفضل من الفكر، ولا حسنة أعلى من الصبر، ولا سيئة أخزى من الكبر، ولا دواء ألين من الرفق، ولا داء أوجع من الخرق، ولا رسول أعدل من الحق، ولا دليل أنصح من الصدق، ولا فقر أذل من الطمع، ولا غني أشقى من الجمع، ولا حياة أطيب من الصحة، ولا معيشة أهنأ من العفة، ولا عبادة أحسن من الخشوع، ولا زهد خير من القنوع، ولا حارس أحفظ من الصمت، ولا غالب أقر من الموت.

✍ قال أبو بكر الوراق: احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى، والرفق فيما بينك وبين الخلق.

وقيل:

✍ الكذاب لص لأن اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك.

✍ الخرس خير من الكذب، وصدق اللسان أول السعادة.

✍ الصادق مصان جليل، والكاذب مهان ذليل.

✍ من قلَّ صدق قلَّ صديقه.

✍ الصدق منجيك، وإن خفته، والكذب مرديك، وإن أمنته.

✍ الصدق والوفاء توءمان، والصبر والحلم توءمان فيهم تمام كل دين وصلاح كل دنيا، وأضدادهن سبب كل فرقة، وأصل كل فساد.

✍ الصدق: الوفاء لله بالعمل.

✍ الصدق: موافقة السر النطق.

✍ الصدق: استواء السر والعلانية يعني أن الكاذب علانيته خير من سريرته كالمنافق الذي ظاهره خير من باطنه.

✍ الصدق: القول بالحق في مواطن الهلكة.

✍ الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه.

✍ ثلاث لا تخطئ الصادق: الحلاوة، الملاحة، الهيبة.

✍ عليك بالصدق حيث تخاف أن يضرك؛ فإن ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك؛ فإنه يضرك.

صدق الرسول ﷺ:

لا يخفى علينا صدق رسول الله ﷺ حتى لقب بالصادق الأمين قبل بعثته، وفى مثال بسيط على صدقه قبل البعثة ما رواه عبد الله بن الحمساء قال: بايعت رسول الله ﷺ ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه، فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاثة أيام، فجئت فإذا هو في مكانه، فقال: يا فتى لقد شققت عليَّ أنا هاهنا منذ ثلاث أنظرك»[1].

(١) رواه الترمذي.

الانتماء:

الانتماء هو الانتساب، والانتساب إنما يكون للأصول أو الجذور أو المنبت ومن ذلك انتساب المرء لأبيه ولأسرته ولجماعته ولقومه ولمجتمعه الصغير والمجتمع الإنسانى الكبير والانتماء يعتبر أحد الركائز الأساسية التي تؤهل الفرد لقيادة الآخرين؛ فالفطرة السليمة تأخذ بذلك وتقره.

والمقصود بالانتماء هنا ليس هو الانتماء العرقي أوالعصبي أو الجنسي فحسب بل المقصود به الانتماء في شموله بكل أبعاده وجوانبه الذي يمتد ليشمل بالإضافة إلى الانتماء العرقي الجوانب التالية:

١- الانتماء اللغوي.

٢- الانتماء السلوكي والاجتماعي والحضاري.

٣- الانتماء الوجداني أو العاطفي.

٤- الانتماء الفكري والعقائدي.

ويثري الانتماء ويقويه استمرار التوحد الزماني والمكاني بين القائد ورجاله واستمرار التفاعل بينهما، ولا شكَّ أن الانتماء يجعل الأفراد أو التابعين أكثر تقبلاً للقائد ولقيادته، ويجعل القائد أكثر قدرة على القيادة؛ فالقائد المنتمي أكثر تفهمًا لمشاعر رجاله، وأكثر تقديرًا وتفهمًا لتقاليدها، ولعرفها السائد، وأكثر قدرة على تفهم وتحليل نمط تفكير هؤلاء الرجال، ومن ثم فهو أقدر من غيره على التعامل معهم، وهو كذلك أكثر من غيره رحمة بهم وصبرًا عليهم؛ لأنه بضعة منهم، وهم كذلك بضعة منه، ويجعل هؤلاء الأفراد بدورهم أكثر إقبالاً على التعاطف معه، والسماع لأفكاره، والاهتمام بها، والاستعداد لتقبلها.

يقول تعالى في حق الرسول ﷺ:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

ويقول الرسول ﷺ:

«أنا أعرب العرب ولدت في قريش، ونشأت في بني سعد».

«أنا أعربكم أنا من قريش، ولساني لسان بني سعد بن بكر».

وهذا عن الانتماء العرقي والجنسي واللغوي، وقد يكون انتماء إيماني كما في موقف نوح عليه السلام مع ابنه إذا قال تعالى:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۞ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦].

فهذا الانتماء هنا يجب أن يكون انتماء عقائدي إيماني، وليس عرقي أو عصبي، وبالتالي يختلف وضع القائد حسب طبيعة الانتماء المطلوبة.

كيف يزرع القائد الانتماء في رجاله (نموذج للانتماء الديني العقائدي لجماعة دينية تدعو إلى الإسلام):

بداية: لا بدَّ من وجود نظام للانضمام لهذه الجماعة، وليكن مبدئيًا الإيمان بأهدافها ومبادئها ثم يتبع ذلك الالتزام بما تقرره من وسائل للتربية المتكاملة من أعضائها سواء في مجال حفظ القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية، والبعد عن الحرام، والسعي نحو الحلال والالتزام به، وكيف يتحرى السنة المطهرة ما

استطاع إلى ذلك سبيلاً في الأقوال والأفعال والأحوال، ومن ذلك: قيام االليـل، وأداء الصلوات في الجماعة إلا لعذر قاهر، والبعد عن كل ما هوغير إسلامى في العبادات والمعاملات وفى شأنه كله و...

ثم أخيرًا الاشتراك المالي في هذه الجماعة سواء باشتراك محدد أو غيره.

ثانيا: وضع الشروط النفسية للانتماء، وهي تشمل:

١- صلاح الفرد للعمل الجماعي:

روى أبو داود والترمذي عن أبي ثعلبة الخشني: «أنه سأل النبي ﷺ عن هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. فقال: **ائتمروا بالمعروف، وانتهوا عن المنكـر، حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيـه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام؛ فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض علـى الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم،** قيـل: يـا رسـول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: **بل أجر خمسين منكم**».

وروى البخاري عن أبي عمرو: «شبَّك النبي ﷺ أصابعه، وقـال: **كيف أنت يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حثالة قد مرجت عهودهم وأماناقم واختلفوا فصاروا هكذا؟** قال: فكيف يا رسول الله؟! قال: **تأخذ ما تعرف، وتدع ما تنكر، وتقبل على خاصتك، وتدعهم وعوامهم**».

كم حضنا رسول الله ﷺ على الألفة والمودة والجماعة والصحبة الصـالحة، ومع ذلك؛ فإنه يحضنا هنـا بـالتزام أنفسـنا، واعتـزال العامـة، وذلـك أنـه متى أصبحت الأمور كما وصف ﷺ تعذر الإصلاح.

إن هنـاك أخلاقًـا متـى وجـدت تعـذر العمـل الجمـاعي المشـترك مـع أصـحابها، والجماعة الإسلامية ما لم يتطهـر أفرادهـا مـن هـذه الأخـلاق؛ فإنهـا لا تكـون جماعـة، ويتعذر سيرها سيرًا مشتركًا، ومن ملاحظة النصين السابقين نجد أن من هذه الأخلاق:

أ- **الشح المطاع**: فمن لم يكن كريمًا منفقًا في الله، ولله لا يصلح للعمل الجماعي.

ب- **الهوى المتبع**: فما لم يكن الإنسان قادرًا على مخالفة نفسه بالحق، قادرًا على جعل الهوى خاضعًا للحق، متبعًا للكتاب والسنة، لا يصلح للعمل الجماعي.

ج- **الدنيا المؤثرة**: أنه ما لم تكن الآخرة أحب إلى المسلم من دنياه، وما لم يكن يؤثر أعمال الآخرة على أعمال الدنيا؛ فإنه كذلك لا يصلح للعمل الجماعي.

د- **الإعجاب بالرأي**: فما لم يكن الإنسان يرى أن سداد رأي الاثنين أكثر من سداد رأي الواحد، وسداد رأي الثلاثة أكثر من سداد رأي الاثنين، وما لم يكن الإنسان يرى أن رأي الجماعة أكثر سدادًا من رأيه، وأن رأي القائد مبارك، وما لم ير القائد أن البركة في الشورى، وأن اتجاه قلوب بقية الأعضاء إلى شيء دليل على أن المسألة تحتاج إلى نظر ما لم يكن فيها نص أي: أنه ما لم تكن الأمور كذلك يتعذر العمل الجماعي.

هـ- **عدم حفظ العهود والأمانات**: إن التزام المسلم بعهده الحق يساعد على وجود صف ملتزم صالح، أما إذا كان الإنسان يعاهد ويخلف؛ فمن أين يوجد صف سليم؟!! كما أن عدم التفريط في الأمانات يساعد على الثقة أما إذا كان الإنسان لا يؤتمن على أمانة من سر وغيره فكيف يمكن أن تقوم جماعة؟!!.

هذه خمسة شروط لا بدَّ من توفرها ليصلح الإنسان أن يكون داخل جماعة إسلامية، ويشارك في عملها، وبالتالي انتماء للعمل الجماعي.

٢- التطهر من الحسد:

قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤]. الحسد لا يمكن أن يصلح معه عمل مشترك؛ فإذا تحاسد الناس افترقوا، ولا بدَّ أن يتطهر كل فرد من أفراد الجماعة من الحسد إذا ما أريد لهذه الجماعة أن تبقى كتلة واحدة؛ فإنه إذا كان فرد في الجماعة يحسد أخاه أن كان لأخيه ميزة، ويكيد له نتيجة لذلك؛ فيكف تصح الأمور وتقوم الجماعة؟!!.

إن الجماعة يصلحها أن يحس كل فرد من أفرادها أنه يكمل أخاه ويكمله أخوه، وأن الجميع جسد واحد؛ فمنه العين، ومنه القلب، ومنه الروح، كل يقوم بدوره، ويستاء إذا قصر الآخر بدور، وهكذا تكون الجماعة، ويكون الفرد في الجماعة.

وكان الشيخ سعيد النورسي يوصي إخوانه أن يفنوا ببعضهم، ومعنى الفناء هو ما ذكرناه مع كمال المحبة والمودة، فالجماعة يجب أن يكون رأسمالها الإيمان والعمل الصالح، والمودة والمحبة، والحسد لا يبقى معه إيمان ولا عمل صالح ولا مودة ولا محبة.

ورسول الله ﷺ يقسم أن الإيمان والحسد لا يجتمعان في قلب، وخلو قلوب أفراد الجماعة من الحسد شرط أساسي للانتماء للجماعة، ولإمكانية السير فيها.

٣- القدرة على الجندية:

المسلمون جسد واحد وجماعة المسلمين جسد، ولا يمكن أن يكون الجسد كله رءوساء، فإن الجسد له رأس واحد، ولا يحتمل رأسين، فإذا ما كان كل فرد في الجماعة يعمد داخل الجماعة إلى طلب الرئاسة خرجت الجماعة وتحطمت، وكان ذلك علامة على عدم الإيمان في الأنفس، أنه لا يجوز للمسلم أن يطلب

الرئاسة، ولكن إذا قدمه الصف فيجب عليه أن يتحمل مسئوليتها، أما أن يطلبها فلا: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

ولذلك كان من الشروط النفسية الرئيسية للانتماء: القدرة على الجندية والنظام والاستعداد لهما، ومظهر ذلك الاستعداد: الطاعة التامة. إذ كل إنسان قادر على السير المنفرد، ولكن السير المنظم يحتاج إلى تدريب، والتدريب يحتاج إلى طاعة وانضباط.

٤- التمثل بالصفات التي يستحق صاحبها رحمة الله:

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]؛ فقد ذكر الله ﷻ من يستحقون رحمته؛ فقال جل جلاله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ﴾ [التوبة: ٧١]، إن هذه كلها شروط رئيسية لا يمكن أن يقوم عمل جماعي ويستمر إلا بها.

٥- الإيمان بالإسلام كله:

قال الله تعالى: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ١٤].

إن الإيمان بالإسلام كله شرط أساسي ليقوم عمل جماعي ويستمر، ومن ثم يجب أن يكون أركان الانتماء للجماعة «الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة».

إن السير داخل الجماعة يحتاج إلى نفسيات معينة، واستعداد خاص، وما لم يكن الإنسان عنده هذه النفسية، وهذا الاستعداد؛ فإنه لا يستطيع السير والصبر، وإن

الصف يقدم من شاء «بعد مشيئة الله»، ويؤخر من شاء، وقد يقدم اليوم إنسانًا، ويؤخر غدًا إنسانًا، فما لم يكن الإنسان مستعدًا لهذا كله، ويرتاح لهذا كله؛ فإنه لا يستطيع السير، والمهم أن تكون هناك قواعد صحيحة للتقديم والتأخير.

وقد يكون الإنسان خارج الجماعة إمامًا، ولكنه إذا قرر السر في الجماعة فعليه أن يتحمل أن يكون مأمومًا –وقد تقدمه الجماعة– فما لم يكن مستعدًا ليكون حيث تريد الجماعة لا حيث يريد هو، لا يستطيع السير ولا الاستمرار، قد يكون الإنسان مقتنعًا بشيء، وقد يكون هذا الشيء صوابًا، ولكن الجماعة لم تقبله، فعليه أن يصبر، ويقبل الرفض حتى تقتنع الجماعة بتبنيه، وقد يكون الإنسان غير راضٍ عن وضع، ولكن ليس أمامه إلا الإقناع الهادئ مع الالتزام الكامل، حتى يزول ما يظن أنه غير صالح، وما لم يكن الإنسان كذلك لا يستطيع السير ولا الصبر ولا الاستمرار.

وعلى القائد أن يعلنها صراحة أنه من لم يستطع السير في الجماعة فالتقصير تقصيره؛ فهو إما صالح يريد صلاحًا فعليه أن يعمل ملاحظًا الوضع النفسي العادى للجماعات، وإذا لم يعمل فهو مقصر، وإن كان غير ذلك فهو مقصر كذلك، فليست العلة في الجماعة، وإنما العلة فيمن لم يستطع أن يعيش داخل الجماعة الإسلامية، فالجماعة ليست إلا مجموعة من البشر، وعليه أن يتعامل مع البشر، وأن يوطِّن نفسه لرؤية كل ما يصدر عن البشر.

انتماء الرسول ﷺ:

كان رسول الله ينتمي اجتماعيًا إلى الطبقة الوسطى من قومه، وهذا أتاح له أن يكون قريبًا من فقرائهم، وغير بعيد عن فكر واهتمامات أغنيائهم في نفس الوقت فعايش هؤلاء وهؤلاء فدان له الانتماء، ودانت له القيادة بقدرته على الاتصال بالغالبية العظمى من أفراد جماعته، وفى ذات الوقت استطاع التعامل

مع هم دونه، ومن هم يفضلون في صفة من الصفات أو في قدرة من القدرات أو في ملكه من الملكات.

التفاؤل:

التفاؤل قوة نفسية إيجابية فعالة ينظر صاحبها إلى الغد بابتسامة أمل ويسير إلى الغاية المرجوة بروح القائد الشجاع، وبنفسية العزيز المنتصر دون أن يعتريه اليأس أو يستحوذ عليه قنوط، والقائد هو أولى الناس بأنه يتحلى بالأمل لأسباب عديدة ومختلفة منها:

- أن القرآن الكريم حرَّم اليأس، وندد باليائسين.
- أن الرسول ﷺ أمر بالتفاؤل، والبعد عن التشاؤم، وبشَّر أمته بالعز والسيادة، وبالتالى التفاؤل في كل شيء حيث طالما تم استحضار النية الخالصة، والعمل الصادق، فسيتم بعد الأخذ بالأسباب النجاح بعون الله وتوفيقه.

يقول الله تعالى:

﴿وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. حيث اليأس هنا قرين الضلال.

ويقول تنديدًا بالإنسان اليائس، وتقبيح لنفسه الخسائرة، وقلبه الهالع:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦].

ويتضح مما سبق أن اليأس لا يجوز؛ لأن اليأس يقتل الرجال، ويهزم الأبطال، ويزلزل الشعوب، ويحطم الآمال بينما التفائل يقوي العزم، ويبعث

على الجد، ويعين على الظفر.

ويقول الرسول ﷺ: «**لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر**».

«**إذا ظننتم؛ فلا تحققوا، وإذا حسدتم؛ فلا تبغوا، وإذا تطيرتم؛ فامضوا، وعلى الله فتوكلوا**».

«**إن في الإنسان ثلاثة: الطيرة، والظن، والحسد؛ فمخرجه من الطيرة ألا يرجع ومخرجه من الظن ألا يحقق، ومخرجه من الحسد ألا يبغي**».

كفارة الطيرة التوكل على الله تعالى.

وكان الرسول ﷺ يتفاءل في غزواته وحروبه، وروي أبو هريرة أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته؛ فقال: **أخذنا فألك من فيك**».

ويروى أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يومًا في المصحف؛ فخرج له قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥] فمزق المصحف، وأنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث إلا أيامًا حتى قتل شر قتلة، وصلب رأسه على قصره، ثم على سور بلده.

ومن الشواهد التاريخية على التفاؤل موقف أبو بكر الصديق ؓ عندما تولى مقاليد الخلافة بعد الرسول ﷺ؛ ففى هذا الوقت من خلافة أبي بكر غظم الخطب، وأشتد الحال، ونجم النفاق.

وارتد من ارتد من أحياء العرب، وظهر مدعو النبوة، وامتنع قوم عن أداء الزكاة، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة؛ وأصبح المسلمون كما

يقول «عروة بن الزبير» ﷺ: (كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم، وقلة عددهم، وكثرة عدوهم..)، حتى وجد من المسلمين من قال لأبي بكر ﷺ: (يا خليفة رسول الله: أغلق باباك، وألزم بيتك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي: الموت.

ولكن أبا بكر ﷺ لم يعتره اليأس، ولم يستحوذ عليه القنوط.. وإنما واجه هذه الأحداث الجسام كلها بإيمان راسخ، وعزيمة ثابتة، وتفاؤل عظيم..

هو الذي قال للدنيا قولته الخالدة: «أينقص الدين، وأنا حي؟».

وهو الذي قال لعمر ﷺ حين جاء يعاتبه على قتال مانعي الزكاة: «مه يا عمر رجوت نصرتك، وجئتني بخذلانك، أجبَّار في الجاهلية، وخوار في الإسلام؟!! ماذا عسيت أن أتألفهم بسحر مفتعل أم بشعر يفترى؟ هيهات هيهات!! مضى رسول الله ﷺ، وانقطع الوحى، فوالله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي؛ فوالله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة؛ فوالله لومنعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه!!).

فقال عمر: (ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعلمت أنه الحق..).

وهو الذي أنفذ جيش أسامة ﷺ وقال للمعارضين: (والذى نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنقذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنقذته، ما كنت أحل عقدًا عقده رسول الله ﷺ بيديه).

ولم يزل أبو بكر ﷺ يخطط ويجاهد ويرسل البعوث، ويسهر على مصالح الرعية.. حتى استطاع أن يتغلب على الصعاب، وأن يقضي على الثورات والفتن، وأن ينتصر على المرتدين، ومدعي النبوة، ومانعي الزكاة، ومبطلي

الصلاة.. وأن يعيد للمسلمين عزتهم، ولليائسين تفاؤلهم، وللإسلام دولته، وللخلافة هيبتها.

- من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما استولى الصليبيون على كثير من البلاد الإسلامية، والمسجد الأقصى ما يقارب قرنًا من الزمان؟ حتى ظن الكثير من مسلمين وغير مسلمين أن لا أمل في انتصار المسلمين على الصليبيين، وأن لا رجاء في ردِّ أرض فلسطين مع المسجد الأقصى إلى حوزة المسلمين!!..

ومن كان يظن أن هذه البلاد ستتحرر في يوم ما على يد البطل المغوار «صلاح الدين» في معركة حطين الحاسمة، ويصبح للمسلمين من الكيان والقوة والعزة والسيادة.

من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما خرب المغول والتتار العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ونهبوا الأموال، وداسوا القيم، وفتكوا في الأنفس والأعراض فتكا ذريعًا؟!!. حتى قيل: إن جبالاً شامخة، وأهرامات عالية.. أقامها «هولاكو» من جماجم المسلمين!!. ومما قاله المؤرخ «ابن الأثير الجزرى» في هول الأحداث: (لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر الحادثة استعظامًا لها، كارهًا لذكرها.. فكنت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى؛ فمن الذي يسهل عليه أن يكتب بيديه نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني!! ويا ليتني مت قبل، وكنت نسيًا منسيًا!!)

ومن كان يظن أن بلاد الإسلام - بعد هذا الذي حدث - ستحرر في يوم ما على يد البطل المقدام «قطز» في معركة «عين جالوت» الحاسمة، ويصبح للمسلمين من المجد والعظمة والرفعة.. ما فخرت به الأجيال؟!!

(إن هذه الكوارث الثلاث التي وقعت في عصور مختلفة وانتفاضة الأمة الإسلامية بعدها ونهوض العرب، يلتقى على نقطة واحدة، وهي وجود

قيادة مؤمنة، راسخة العقيدة، قوية الإيمان بوعد الله ونصره، وبصلاح الإسلام، وبالقوة الكامنة فيه، شديدة التمسك بتعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه، مجردة عن كل أنانية، وعصبية جاهلية.. ويلتقى هؤلاء القادة على أنهم كلهم كانوا يدعون إلى الإسلام، ويقاتلون بسيف محمد عليه الصلاة والسلام، واستحقوا بذلك نصر الله، وتأييده الخارق للعادة، وظهرت المعجزة.. فقد قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

إن التفاؤل بانتصار دين الله هو مقدمة الفوز والنصر لهؤلاء القادة العظام والقوة المعنوية هي التي دفعت شباب ورجال هذا الزمان إلى تحقيق هذه الانتصارات، هذا هو التفاؤل المطلوب لدى القائد حتى يزرعه في نفوس رجاله.

المزاح والترويح:

المراد بالمزاح والترويح إدخال السرور على النفس فهو مطلوب لما يدخله على الإنسان من تجديد الهمة وإحداث النشاط، ومن المعلوم أن الإنسان إذا استمر على حالة واحدة فترة طويلة من الزمن تمل نفسه ويسأم قلبه وتتعطل مواهبه، ويصبح كالآلة الصماء يعمل دون أن يعي شيئًا مما يعمل، ويتصرف وكأنه محموم فلا يدري ما يقول ولا ما يفعل ذلك لأن النفس البشرية مجبولة على المراوحة بين الأشياء؛ فهي تنتقل من عمل إلى آخر، ومن قول إلى قول وتخلط بين الفكاهة والجد وتجد راحتها في عمل ما فترغب في القيام به ولم تكد تتقنه حتى تمله فتبحث عن عمل ولا تزال مصغية إلى قول معين حتى إذا ما ملت طلب حديثًا من نوع آخر، والمزاح والترويح له أهمية عظيمة في حياة

الرجال بل والأمم فهو كالوقود الذي يدفع عجلة الحياة للحركة والإنتاج وكالماء يزيل كل ماعلق بالنفس من الهموم والأحزان، ولا شكَّ أنه كلما كان للقائد أثره في المزاح والترويح كلما كان فعالاً في جوانب قيادته للغير خاصة في:

- **الجوانب النفسية**: فكلما كانت النفس مكتئبه قلقة كلما كانت تصرفاتها معبرة عن الاكتئاب والقلق ضيقة بما حولها من الناس والأعمال معقدة لكل سهل يائسة من الانفراج والمرح، وبالعكس من ذلك تمامًا عندما تكون النفس مبتهجة مستقرة حيث الأمل واليقين وبالتبعية الإتقان والتدقيق والقدرة الفائقة على الإنجاز وحسن الاستقبال وجميل المعاملة.

- **الجوانب الاجتماعية**: المؤسسة أو المجتمع الذي يقوده القائد حتى يكون مجتمعًا سويًا يؤدى مهمته ويقوم بواجبه يحتاج إلى نفوس هادئة وقلوب مطمئنة، وذلك الهدوء النفسي والاطمئنان القلبي لا يتأتيان إلا في جو تسيطر عليه البهجة ويغمره السرور، وذلك لا يكون إلا في حالات المرح التي يوجدها المزاح أو الترويح، ولن يجدي معها سوى المباح من هذا الترويح.

القائد والمزاح والترويح:

القائد المسلم عليه أن يعي تمامًا أن الإسلام دين شامل يجمع بين خيري الدنيا والآخرة، ويضع مصلحة المسلمين في المكان التي تليق بها، ويرعى شئونهم بالطريقة التي تتلائم مع ما حدده لهم وكلفهم به من الأعمال، ولهذا فإن الإسلام لا يعارض الترويح، ولا يقف منه موقفًا سلبيًّا بل يدعو إليه أحيانًا ويعده مما يتقرب به إلى الله أحيانًا؛ فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم**»[1]، وكان رسول الله يمزح ويداعب ولكن لا يقول إلا حقًّا، ويستوي في ذلك الصغير والكبير والرجل والمرأة.

(١) رواه الطبراني.

مزاح النبي ﷺ:

- عن أبي هريرة ﷺ قال قالوا: يا رسول الله! إنك تداعبنا قال: «**إني لا أقول إلا حقًّا**»[١].

- عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله أحسن الناس خلقًا، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير، وكان إذا جاء رسول الله فرآه قال: «**أبا عمير ما فعل النغير**»[٢]. والنغير: طائر كان يلعب به عمير.

- عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً أتى النبي فاستحمله -يعني: أن يعطيه دابة يركبها- فقال رسول الله: «**إنا حاملوك على ولد ناقة**»؛ فقال: يا رسول الله! ما أصنع بولد ناقة؟ فقال رسول الله: «**وهل تلك الإبل إلا النوق**»[٣].

- عن أنس ﷺ قال: قال لي رسول الله: «**يا ذا الأذنين**»[٤] أي: يمازحه.

- عن أنس ﷺ قال: إن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا، وكان يهدي النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج؛ فقال رسول الله: «**إن زاهرًا بادتينا، ونحن حاضروه**»، وكان رسول الله يحبه، وكان دميمًا فأتاه الرسول، وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه، ولا يبصره الرجل؛ فقال: أرسلني من هذا؟ فالتفت فعرف النبي فجعل لا يألو -أي: لا يقصر- ما ألصق ظهره بصدر النبي حين عرفه وجعل رسول الله يقول: «**من يشتري العبد؟**»؛ فقال: يا رسول الله! إذن والله تجدني كاسدًا؛ فقال رسول الله: «**ولكن عند الله لست بكاسدٍ**»[٥].

- عن النعمان بن بشير ﷺ قال: استأذن أبو بكر ﷺ على النبي فسمع صوت عائشة عاليًا على رسول الله؛ فلما دخل تناولها ليلطمها، وقال: ألا أراك ترفعين

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه ابن ماجه وأحمد في المسند.
(٣) رواه أحمد في المسند، الترمذي.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) رواه أحمد في المسند، والترمذي.

صوتك على رسول الله؟ فجعل النبي يحجزه، وخرج أبو بكر مغضبًا؛ فقال رسول الله حين خرج أبو بكر: «**كيف رأيتني أنقذتك من الرجل**»، فمكث أبو بكر أيامًا ثم استأذن على رسول الله، فوجدهما قد اصطلحا؛ فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما، فقال رسول الله: «**قد فعلنا قد فعلنا**»[١].

– عن الحسن ﷺ قال: أتت عجوز النبي فقالت: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة؛ فقال: «**يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز**»، قال: فولت تبكي، فقال: «**أخبروها أنها لا تدخلها، وهي عجوز إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۞ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾**»[٢] [الواقعة: ٣٥، ٣٦].

– عن بكر بن عبد الله قال: كان أصحاب النبي يتبادحون –يترامون به– بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كان هم الرجال» [٣].

– عن أم سلمة –رضي الله عنها– أن أبا بكر ﷺ خرج تاجرًا إلى بصرى، ومعه نعيمان –وهو مضحك النبي ﷺ– وسويبط بن حرملة –رضي الله عنهما– وكلاهما بدري، وكان سويبط على الزاد؛ فقال له نعيمان: أطعمني، قال: حتى يجيء أبو بكر، وكان نعيمان مضحاكًا مزاحًا فذهب إلى ناس جلبوا ظهرًا فقال: ابتاعوا مني غلامًا عربيًّا فارهًا، قالوا: نعم، قال: قال: إنه ذو لسان، ولعله يقول: أنا حرٌّ، فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوني لا تفسدوه عليَّ، فقالوا: بل نبتاعه فابتاعوه منه بعشر قلائص (أي: نوق شابة)، فأقبل بها يسوقها، وقال: دونكم هو هذا، فقال سويبط: هو كاذب أنا رجل حر، قال: قد أخبرنا خبرك فطرحوا الحبل في رقبته، فذهبوا به، فجاء أبو بكر، فأخبر فذهب هو وأصحابه إليهم، فردوا القلائص واخذوا، ثم أخبروا النبي بذلك؛ فضحك هو وأصحابه منها حولاً»[٤].

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه أحمد.

- جاءت امرأة يقال لها: أم أيمن الحبشية إلى رسول الله ﷺ؛ فقالت: إن زوجي يدعوك، فقال: **من هو: أهو الذي بعينيه بياض؟** فقالت: ما بعينيه بياض فقال: **بل بعينيه بياض**، فذهبت المرأة إلى زوجها فوجدته نائمًا، فأخذت تفتح عينه لترى هل بها بياض أم لا؟ «فقال ﷺ: **ما من أحد إلا بعينيه بياض**».

ومما سبق نرى من هذه الطرائف ما يدل على أنه ﷺ كان لا يمل المرح، ولا يكره الترويح والفرح، وإذا دققنا النظر؛ فإننا لا نرى كلمة واحد نابية عن حدود الذوق والأدب، ولا لفظة شاردة عن وجود التربية والتوجيه.

دور القائد في المزاح والاستفادة منه:

كان ﷺ يُعلِّم من خلال الطرفة، ويهذِّب ويربِّي بالملحة، وهذا أسلوب فريد يعتبر لدى الآخرين من أجود الأساليب حيث يستطيع القائد توصيل المعلومات بدون كد للذهن أو إرهاق للعقل، وبالتالي يستطيع المتعلم أن يتقبل ما يلقى عليه من غير ملل، ولا سأم؛ فهو مع الصبي يلاعبه بما يعزيه ويسليه، ومع أم أيمن يلفت نظرها إلى شيء تراه كل يوم، ولم تفطن له ليعودها المراقبة، وسرعة الخاطر، ومع العجوز ينبهها إلى معنى جليل ودقيق أورده القرآن الكريم، وغاب عن الأذهان؛ فكأنه ﷺ يحثها، ويحث المسلمين جميعًا على التأمل في قصص القرآن ومايحكيه عن عالم الغيب ليزدادوا به إيمانًا ويتعمقوا في دينهم بفقه وبصيره، كما كان ﷺ لا يكره من يمزح بين يديه بل كان يضحك ويستريح لذلك.

وهكذا كان ﷺ يمزح بنفسه ويمزح بين يديه حتى ملأ بيته وبلده فرحًا وسرورًا، وحتى سرت تلك الروح المرحة بين أصحابه فكانوا يمزحون ويمرحون، وقد فهم ذلك أصحاب رسول الله فكانوا يمزحون بقدر حتى إذا جد الجد كانوا أسودًا.

✍ التعرف على طبيعة المجتمع:

التعرّف على المجتمع: عاداته وتقاليده وأنماط الثقافة فيه جزء من وظيفة القائد لقيادته لهذا المجتمع.

ووسيلة التعرف على المجتمع هي الدراسة كما شرحها الكاتبون في خدمة الجماعة، ولكن التعرف الذي يحتاج إليه علم وفن خدمة الجماعة، هو تعرف سطحي، ويحتاج إلى زمن ثم هو تعرف على المجتمع من جانب السيد الخادم لمن يسودهم، وهنا تبرز علمية المنهج الإسلامي في العمل مع الجماعة بصورة أجمل وأسمى وأشمل وأوسع؛ لأنها تأخذ مفهوم التعرف على المجتمع التبادل المعرفي بين طبيعة المجتمع وطبيعة الداعية.

لقد تعرَّف النبي ﷺ على طبيعة المجتمع بأسلوب الممارسة، والاشتراك هو نمط أقوى في إدراك حقائق الأمور من الدراسات المستعجلة.

لقد عاش النبي ﷺ مع المجتمع الذي سينقل إليه الدعوة عيشة المستوعب لثقافة البيئة دون أن يغامس حياة المجتمع في اتجاهاتها التي تؤثر مستقبلاً عليه؛ فهو لم يغفل عنها، ولم ينغمس فيها بل عاش حياة المجتمع الفاضلة فكان راعيًا للغنم عند أمه حليمة، وكان راعيًا للغنم عند قريش على قراريط.

وكان تاجرًا معهم في السوق، وكان قاضيًا لهم في مدلهمات الأمور عند وضع الحجر الأسود، واشترك معهم في حلف الفضول لقد عاش معهم الحياة الاجتماعية في مستواها العفيف، وعاش معهم الحياة السياسية في مستواها العادل الواضح.

وعاش معهم الحياة الاقتصادية في مستواها الأمين الحلال، ومع هذا فما سجد لصنم قط، ولا حلف باللات والعزى.

✍ وقالت أمة آمنة: والله ما للشيطان عليه سبيل، وإن لابني لشأنا.

✍ وقال فيه رجال من نصارى الحبشة: إن هذا الغلام كائن لـه شـأن نحـن نعرفه.

✍ وقال فيه جده عبد المطلب: يا بركة لا تغفلي عن ابني؛ فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبي هذه الأمة.

✍ وقال عنه أبو طالب:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة الأرامل

✍ وقال بحيرًا: فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا، ورويناه عن آبائنا، واعلم أني قد أديت لك النصيحة.

✍ وقالت خديجة –رضـي الله عنهـا: يـا ابـن عـم: إنـي قـد رغبـت فيـك لقرابتـك، وسـطيك في قومـك، وأمانتـك، وحسـن خلقـك، وصـدق حديثك.

✍ وقال له ورقة: ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصـرن الله نصـرًا يعلمـه، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه.

✍ وقد كان الخصوم معه أشهد النـاس بكمالـه وسمـوه ورفعتـه وطهارتـه يقول أبو جهل: والله إن محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط.

✍ وقال النضر بن الحارث: قد كان محمد غلامًا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة.

✍ وقاله له عتبة: يا ابن أخي أنت منا حيـث قـد علمـت مـن السـطة في العشيرة والمكانة في النسب.

✍ ويقول الوليد بن المغيرة: إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناء.

لقد كان معروفًا لأبناء مجتمعه القريب، وكان معروفًا لأبناء مجتمع دعوته البعيد؛ فقال فيه النجاشي: أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى.

✍ وقال فيه قيصر:

فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

والقرآن الكريم يضع هذا الانفتاح بكلتا شطريه في موضع الاستدلال على صدق نبوته ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

«لبثت» فوجودي مشهود كله لكم، «فيكم» وأنتم مشهودون لي.

والحياة مكشوفة بيننا وأنتم تعرفون عني كل شيء حتى كيف تزوجت؟ وكيف سافرت؟ وكيف عاشرتكم؟ وأنتم مكشوفون لى عادة وسلوكًا وأخلاقًا.

ولهذا نفى القرآن عنهم في هذا الاستفهام التأنيبي المزلزل... نفى عنهم التعقل، فإن حياة محمد ﷺ معلومة لهم لا تحتاج في إدراك نبوته إلى علم فأمانته ونسبه مشهوران معروفان، وهي كلها تؤهله مع تاريخه المجيد لأن يكون للعالمين رسولاً وذلك هو القائد الناجح.

✍ إعداد الصف الثاني من القادة:

مَنْ للمؤسسة بعد رحيل القائد، لا بدَّ له من مساعدين وكوادر وصفوف خلفية يتم إعدادها في الظل حتى تكبر وتنمو وترتوى بفكر القائد وما يريده.

هذا المبدأ أسسه النبي ﷺ حيث قرر إعداد قيادة أخرى بديله له تحمل معه أمر الدعوة إلى الله، واختار لهذا الأمر أشخاص توسم فيهم الاستجابة لدعوته ثم تعهدهم بعيدًا عن المجتمع وثقافاته بالتربية والإعداد وكل ذلك قبل أن يبدأ

بالجهر بمبادئ الدين الجديد، وعلى القائد أن ينهج نهج الرسول الله ﷺ فأول من اختار الرسول ألصق الناس به من آل بيته وأصدقائه فآمنت خديجة -رضي الله عنها- وزيد بن حارثة مولاه، وعلي بن أبي طالب، وصديقه الحميم أبو بكر ثم راح رسول الله ينتخب الأخيار المصابيح ويدعوهم إلى الإسلام يعاونه في ذلك سيدنا أبو بكر ﷺ فقد تعرَّف على وظيفته بفطرته فجعل يدعو إلى الإسلام كل من وثق به من قومه وكان أبو بكر رجلاً مألفًا محببًا سهلاً ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو من يثق به من قومه فيمن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه عثمان بن عفان الأموي، والزبير بن العوام الأسدي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص الزهريان، وطلحة بن عبيد الله التيمي؛ فكانوا هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس هم الرعيل الأول وطليعة الصنف الثاني في الدعوة لمبادئ القائد الرسول ﷺ.

ثم كان من أوائل المسلمين بلال بن رباح الحبشي، وأبو عبيدة بن الجراح -أمين هذه الأمة- عن بني الحارث بن فهر، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم المخزوميان، وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وسعيد بين زيد العدوي وامرأته فاطمة بنت الخطاب العدوية أخت عمر بن الخطاب، وخباب بن الأرت، وعبد الله بن سعود الهذلي، وهم من جميع بطون قريش أي: يمثلون مختلف المجتمع فقير وغني.

هذا الصف الثاني كانت له خاصية محددة وتربية خاصة بعيدة عن جاذبية المجتمع التي تضغط دائمًا على المبادئ في مهدها لتموت، ولذا فقد كان النبي يتخير الأشخاص أولاً ثم ينئيهم عن الضغط الاجتماعي حتى تسربت مبادئ الإسلام إلى المجتمع كالنور يقهر الظلام رويدًا رويدًا.

وكان الرسول يجتمع بهولاء على فترات في دار الأرقم، وسرًّا حتى يحول

بينهم وبين المشركين، وما يريد لهؤلاء من تزكية للنفس، وتعليم للكتاب والحكمة، وليزدادوا إيمانًا بدعوته.

وكذلك حتى يتجنب مصادمة مع الطرف الأقوى في ذلك الوقت وهم مشركي مكة فتجهض هذه القيادة اللاحقة وتموت قبل نموها وتبيد عن آخرها.

إلى أن أتم الله دعوته على العالمين؛ فمن كان خليفة المسلمين الأول وخليفة رسول الله ﷺ، ومن الثاني والثالث والرابع.

ألم يكن خليفة رسول الله أبو بكر الصديق.

وخليفة خليفة رسول الله عمر بن الخطاب.

والخليفة الثالث الراشد عثمان بن عفان.

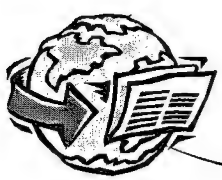
والخليفة الرابع الراشد علي بن أبي طالب.

ألم يكن هؤلاء هم قادة الصف الثاني الذي أعدهم رسول الله ﷺ.

إن هذا الأمر وهو مسئولية إعداد قيادة بديلة وصف ثاني مسئولية كل قائد يتولى زمام الأمور، هي مسئولية إعداد رجال على مستوى رفيع سيكولوجيا ووجدانيًا، وبقدر ما يتاح من إمكانات مالية واقتصادية وخلافه.

***

القيادة
والمهارات الشخصية



القيادة والمهارات الشخصية

إذا كانت القيادة هي:

- التأثير الفعَّال في الآخرين ليؤدوا الأعمال التي يريد القائد إنجازها.
- قدرة القائد على التأثير في الآخرين للعمل بحماس وثقة لإنجاز الأعمال المحددة لهم.
- القدرة على إقناع الآخرين بمحاولة تحقيق أهداف محددة وبحماس.
- عملية تحريك مجموعة من الأفراد باتجاه محدد ومخطط وذلك بحثهم على العمل باختيارهم.

واذا كانت القيادة الناجحة هي تحرك الأفراد في الاتجاه الذي يحقق مصالحهم على المدى البعيد فالقيادة الناجحة منهج ومهارة وعمل يهدف إلى التأثير في الآخرين، والقائد هو الذي يحتل مرتبة متقدمة في المجموعة، ويتوقع منه تأدية عمله بأسلوب يتناسق مع تلك المرتبة.

والقائد هو الذي ينتظر منه ممارسة التأثير والنفوذ في تحديد أهداف المجموعة وبلورتها وتحقيقها، وحتى يتحقق هذا لا بدَّ من توافر مهارات سلوكية شخصية هي:

١- القدوة الحسنة.

٢- الثقة.

٣- تحديد الهدف.

٤- العرض الواضح.

٥- الإرادة والعزم وعدم التردد.

٦- تكوين الملكات.

٧- تحديد الاختصاصات.

٨- اختيار الرجال للأعمال والإشراف عليهم ومحاسبتهم.

٩- اختيار الرجال الأكفاء.

١٠- استيعاب الآخرين.

القدوة الحسنة:

> **من طبيعة النفس البشرية أنها دائمًا مولعة بتقليد الأقوى سواء كان في الخير أو الشر وحيث أن القائد هو الذي في يده زمام السلطة؛ فإن نفوس رجاله تكون مولعة فيما يذهب إليه لذلك وجب عليه أن يكون قدوة حسنة لهم حتى يسيروا على نهجه، ويقلدوه في سنته الحسنة؛ لأن عيونهم معقودة به وأبصارهم شاخصة إليه فإن أي صغيرة تبدو منه تتجسم لدى هؤلاء الرجال والأتباع، ويتخذون منها ثغرة ينقذون إليها، ومنها إلى الانحراف، وقل أن يردهم بعد ذلك نصح أو تخويف.**

وقديمًا قالوا: «إن فعل رجل في ألف رجل أقوى من قول ألف رجل لرجل» فبالأعمال بالأقوال يكون تأثير الرجل في الرجال فينال احترامهم وتقديرهم ويكون له المهابة والمكانة لديهم والتأثير فيهم، وإذا كان ممن يؤثرون العناية بالكلام على حساب العناية بالأعمال والأفعال، فلا وزن، ولا حول له ولا قوة في توجيه وقيادة رجاله والتأثير عليهم.

وقد حرص الإسلام على التأكيد على ضرورة التزام الرسل الكرام بالقدوة

منهجًا وسلوكًا لهم يلتزمون به، ويلزمون أهليهم وذويهم بضرب المثل والمبادرة بالأعمال والأفعال قبل المبادرة بالأقوال ورسولنا ﷺ نعم القدوة الحسنة.

فيقول تعالى:

- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].
- ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].
- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢،٣].

ويقول الرسول ﷺ:

«خذوا عني مناسككم».

«صلوا كما رأيتموني أصلي».

«صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: الأمراء والعلماء».

«إنما الإمام جُنة يقاتل من ورائه، ويتقى به؛ فإن أمر بتقوى الله ﷻ وعدل كان له بذلك، وإن يأمر بغيره كان عليه منه» (١).

«من سنَّ في الإسلام سنة حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (٢).

---

(١) صحيح مسلم.
(٢) صحيح مسلم.

وفي الأثر:

- روى البخاري عن أبي بكر ﷺ في حديثه للأحمسية لما سألته ما بقاء هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: «ما استقامت بكم أئمتكم».

- لما دخل سعد بن أبي وقاص قائد جيش المسلمين ﷺ قصر كسرى جعل يتلو قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۞ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥- ٢٨]، وأرسل سعدًا كل ما في قصر كسرى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأخذ عمر ﷺ يقلب هذه النفائس، ويقول: إن قومًا أدوا هذا لأمناء؛ فقال علي بن أبي طالب ﷺ: «لقد عففت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت» ثم قسَّم عمر ذلك على المسلمين.

- وقال عمر بن الخطاب ﷺ: إن الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم.

- الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله؛ فإن رتع الإمام رتعوا.

- وكان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم أهله فقال: لا أعلمن أحدًا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية «ينبغي أن يُعرف أن أولي الأمر كالسوق ما نفق فيه جُلب إليه هكذا قال عمر بن عبد العزيز، فإن نفق فيه الصدق والبر والعدل والأمانة جلب إليه ذلك، وإن نفق فيه الكذب، والجور، والخيانة جلب إليه ذلك».

- في تاريخ المسلمين ناطق بما للأسوة الطيبة في الحكام من أثر في الأمة ففى أيام عمر بن الخطاب شاع الزهد والتقشف اقتداء به، وفي أيام الوليد بن عبد الملك تنافس الناس في إنشاء المساجد، وإقامة الملاجئ للمرضى والعجزة

مجاراة لميول الخليفة في ذلك، وفى أيام عمر بن عبد العزيز شاعت روح العدالة في المجتمع، وأقبل الناس على إقامة شعائر الدين أسوة بهذا الخليفة العادل.

الرسول ﷺ كقدوة حسنة:

لأن الأسوة الحسنة هي تأديب عن طريق إيقاظ الضمير وإذا استيقظ ضمير الجماعة أصبح هو قانونها وشرعتها ومنهاجها في الحياة ولذا فإن الرسول كان يمثل رأس هذا الأمر في القدوة الحسنة، ولذا لما قدم الرسول المدينة أقدم على إنشاء المسجد وعمارته من أول يوم فكان يشترك بالعمل بيده في المسجد، وينقل الحجارة مع أصحابه بنفسه، ويقول: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة**».

وروى ابن هشام: قال (ابن اسحاق) يروي خبر دخول عمار بن ياسر على رسول الله أثناء بناء المسجد قالت أم سلمة زوج النبي: «فرأيت رسول الله ينفض وفرته بيده (أي: شعر رأسه)، وكان رجلاً جعدًا، وهو يقول: ويح ابن سمية.

فكأن رسول الله كان يعمل في البناء حتى امتلاء شعر رأسه بالغبار فجعل ينفض بيده، وهذه هي القدوة الحسنة التي أراد الرسول أن تكون سبيله لتربية جماعته كان إذا أراد من المسلمين أن يعملوا عملاً بدأ هو العمل بنفسه دون أن يصدر أمرًا فإذا رآه الناس تبعوه فيه طواعية واختيارًا ومحبة ويجدون في ذلك شرفًا وقربة.

- ويروى أن الرسول كان في سفر مع أصحابه يتهيئون لإعداد الطعام ويتقاسمون العمل فيما بينهم فقال النبي ﷺ: وعليَّ جمع الحطب، فقال له أصحابه: «يا رسول الله إنا نكفيك هذا»، فقال النبي: «**قد علمت أنكم تكفوني، ولكن أكره أن أتميز عليكم**».

- سُئلت السيدة عائشة –رضي الله عنها– ماذا كان يعمل الرسول ﷺ فقالت: «كان بشرًا من البشر يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب شاته، ويعمل ما يعمل الرجل في بيته إذا حضرت الصلاة خرج».

الثقـــة:

ثقة القائد بنفسه من أهم مرتكزات قيادته، ويجب أن تقوم أولاً على ثقته بربه ثم بالحق الذي يدعو إليه وثقته بنصر الله طالما أن ما يدعو له مشروعًا عادلاً لا ظلم فيه ولا بغي، وثانيًا ثقة المجتمع بهذا القائد حتى، وإن كذبوا ما يدعوا إليه أو يأمرهم به.

أولاً: الثقة بالنفس:

كان رسول الله أفضل من وثق بنفسه، وعبر عن ذلك أصدق تعبير حين قال: **«والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»** قيلت هذه العبارة في جو تحيطه غلبة الباطل على الحق، والضلال على الإيمان، ولو كانت شخصية الرسول ﷺ لا تساوي في وزنها الاجتماعي ثقل هذا المجتمع المشرك لما أمكن أن يضع هذا المعيار الواضح الظاهر الذي يصور القائد في عزه نفسه وثقته بالله وبما يدعو إليه وكانت ثقته - ﷺ بنفسه كداعية أسلم وجهه لله، وهو محسن تفوق قدرة البشر حتى ولو تقدموا علميًّا أو تكنولوجيًّا، واستطاعوا أن يخلعوا قرص الشمس من ظلها وينتزعوا القمر من هالته وحاولوا أن يقنعوه فما بعد لو صح لهم أن يضعوا هذا الشمس المخلوعة من فلكها يمينه وهذا القمر المنتزع من هالته في يساره ما قبل، وما وثق، وما رضي، ولا استمر على دعوته؛ لأنها أحق مما وصلوا إليه لو كانوا يقدرون.

والرسول بهذا يحدد مستوى الثقة بالنفس للشخص الذي يضطلع بأعباء عمل ما مؤكدًا تعالى هذا الأمر إذا كان خاص بالداعية نحو الإسلام؛ لأنه مستند في ثقته بالنفس إلى الإيمان بالله العلي الكبير حيث يقول تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وهو ﷺ في ثقته هذه إنما هي ثقة رحمة وحنان وحسن خلق.

ثانيًا: ثقة المجتمع بالقائد:

كان رسول الله ﷺ واحدًا منفردًا أجمع الناس عليه في مكة على أن يفردوه وحده بلقب الأمين، وعادة المجتمع الجاهلى لم تكن بتقليد النياشين، وإنما تكون نتيجة لأفعال حدثت أمام جميع الخلائق حيث ساحات الوغي والأسواق أفعال لا أقوال.

فكان أن تاجر بأموال السيدة خديجة حيث كانت تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشئ تجعله لهم وكانت قريش قومًا تجارًا فلما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه أن بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار.

ثم وهو في سنة الخامسة والثلاثين حينما قامت قريش ببناء الكعبة بعد تعرضها لسيل عرم فجزأوا الكعبة، وخصوا لكل قبيلة جزءًا منها فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة وأخذوا يبنونها، ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكان، واستمر النزاع أربع ليال أو خمسًا واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في الحرم إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد، فارتضوه، وكان جل ما يفكرون فيه هو من الشخص القادم الذي يقدر على حل النزاع إلى أن دخل الرسول؛ فلما رأوه هتفوه: هذا الأمين رضيناه هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر طلب رداءه فوضع الحجر وسط وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعًا بأطراف الرداء وأمرهم أن يرفعوه حتى إذا أوصلوه موضعه أخذه بيده فوضعه في مكانه وخمدت الفتنة.

- ثم بعد الوحي والرسالة وما بلغ من العداء مع قريش تتضح حينما لقي الأخنس بن شريق أبا جهل يوم بدر فقال: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد

أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هاهنا غيري وغيرك، فقال له: والله إن محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط، فيقسم ويؤكد ويثبت الصدق بطريقتين: الإيجاب والسلب معًا ثم يؤكد ذلك بالتأكيد الأخير (قط).

هكذا كان القائد الأول:

الرسول ﷺ يثق بنفسه ثقة قائمة على ثقته بربه، ويثق به مجتمعه ثقة مبنية على وضوح سلوكه ومعرفة تامة بأخلاقه ومعاملة مستمرة تظهر في كل يوم جليل خلقه، وتقيس صدقه، وعظيم وفائه، ورفيع محبته للناس جميعًا.

تحديد الهدف:

هذه الصفة ضرورية لكل قائد حيث بناء عليها يتحرك هو ومعه نحو ما يرغب، ولنا في رسول الله أسوة حسنة؛ فقد حدد الرسول ﷺ هدف الدعوة بوضوح تام، ونفى كل شبهة وجابه كل محاولة تريد الانحراف بهدف الدعوة وذلك التحديد للهدف والوضوح فيه هو ما يعوزه القائد الناجح.

فلقد جمعهم رسول الله ﷺ في مؤتمر عائلي خاص، وأعطاهم من الأمان والراحة ما آنسهم ثم قال لهم: «**الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها لجنة أبدًا أو النار أبدًا**»[(١)].

فهو نبي لهم وللناس عامة:

يدعو إلى توحيد الله والإيمان بالبعث والحشر والحساب والجنة والنار.

وهو في سبيل هذا لا يسألهم أجرًا، وقد حدد لهم هذا بوضوح:

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير.

«ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتابًا، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم؛ فإن تقبلوا مني ما جئتكم به؛ فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»(١).

لقد عرضوا عليه فعلاً الدنيا بحذافيرها، وعرضوا عليه الملك، وعرضوا عليه المال، وعرضوا عليه الرياسة والشرف، فرفضها كلها.

لقد رفضها رفضًا قويًّا؛ لأنها ليست واحدة من أهداف الدعوة، ورفضها بأسلوبه النبوي، ورفضها بما أوحي إليه من عند ربه.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٥٧].

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: ٤٧].

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

يقول الطبري في معنى بعض هذه الآيات:

ما اتبع إلا وحي الله الذي يوحيه إليَّ وتنزيله الذي ينزله عليَّ في كل ما أقول لكم، وأدعوكم إليه، إني لم أسألكم على ذلك جعلاً فتتهموني، وتظنون أني إنما دعوتكم إلى اتباعي للمال آخذه منكم، ومعنى قوله فهو لكم أي لا أسألكم شيئًا كقول القائل: مالي من هذا؛ فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء.

(١) ابن هشام.

إنما الذي يريده هو اهتداء الإنسان إلى ربه، وتقربه إلى الله الحق إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا.. هذا وحده هو أجره يرضي قلبه الطاهر، ويستريح وجدانه النبيل أن يرى أهله والناس عامة قد اهتدوا إلى صراط الله العزيز الحميد.

وينفي الرسول ﷺ ذلك مرة أخرى في إطار منهج الدعوة العام الذي سلكه موكب الأنبياء من قبل.

فيرد لقريش وللدنيا كلها من بعد ما قاله إخوانه الأنبياء: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

لقد قالها نوح من قبل وقالها هود.

وقالها صالح.

وقالها لوط.

وقالها شعيب.

وهو نص واحد لا يتغير، ولا يتبدل ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠ من سورة الشعراء).

لقد طمأنهم النبي ﷺ أنه لا يريد شيئًا من حطام الدنيا؛ فما له فيها من مأرب، وما يطلب منهم أجرًا جزاء دعوتهم وهدايتهم إلى الله، إنما هو يطلب أجره من رب الناس الذي كلفه دعوة الناس إلى الصراط المستقيم.

ذلك هو طريق الأنبياء جميعًا، وهو تنبيه يبدو أنه كان ضروريًا للدعوة الصحيحة حتى تتميز عما عهده الناس من الكهان، ورجال الدين من استغلال الدين لسلب أموال العباد، وهو توضيح لطبيعة الدعوة، وبيان للشرف النبيل الذي يضطلع به الداعية المنتسب إليها.

﴿قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٦].

- **ولتحاسبن بما تعملون:**

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-١١].

- وإنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا:

﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٥- ١٠٨].

العرض الواضح:

نجاح أي فكرة أو دعوة واستمرارها يتوقف على مقدار عرضها عرضًا واضحًا صادقًا يضمن لها الوضوح والثقة دائمًا في المستقبل، وإذا ما قام القائد بعرض دعوته عرضًا أجوفًا بحديث خادع من الممكن أن تنتشر بين الناس من حوله، ولكن تكون كطبيعة الزبد يذهب جفاء، وتبقى الحسرة والغيظ والكمد والحيرة والآلام والعسر للطرفين معًا القائد؛ لأن الناس تخلوا عن فكرته ودعوته وانحسر حماسهم والناس لكونهم أدركوا أنهم مستهدفين بالخداع من القائد.

وقد حرص الرسول ﷺ أن يعرض دعوته عرضًا واضحًا، واتخذ عرض الدعوة زمنًا فسيحًا زهاء ثلاثة أعوام على ما رواه العلماء، واتخذ لذلك أسلوبًا واضحًا جليًّا مثاني تقشعر من جلود الذين يخشون ربهم.

ووضوح العرض هنا يراد منه:

- وضوح الهدف - ووضوح الدليل.

أما وضوح الهدف؛ فقد استفاض النص المعصوم من القرآن الكريم أو الأثر النبوى الشريف في تحديد المراد من الدعوة لقد كان تحديد الهدف بارز المعالم فصيح المنطق قوى الأسلوب.

وكان مع ذلك جديًّا لا هزل فيه، وكانت جديته صريحة يعزب معها كل لون من التجاهل أو التناسي أو التعامي أو التغافل أو التثاقل إلى هوى النفس ووسوسه الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

لقد قال لهم الرسول ﷺ في استفاضة طويلة يحكيها ابن هشام: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتابًا، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا؛ فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم؛ فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

وتلا عليهم القرآن الكريم تلاوة مرتلة وحدد لهم أهداف الدعوة:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۞ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ۞ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦- ٥٨].

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۞ قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦١- ١٦٤].

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

ولقد نقى هذا الهدف من كل شائبة حتى صار قانونًا سرمديًا إذا حادت عنه الدعوة ضل القائمون عليها طريق الرشاد.

ونقى رسول الله ﷺ هدف الدعوة من عرض الحياة الدنيا قل أو عظم: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

كما نفى أن تتخذ الدعوة مصدرًا للإثراء والتجارة:

﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

لقد قال لهم في قوة وصرامة: ترون هذه الشمس؟

قالوا: نعم.

قال: فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة (١).

وأما وضوح الدليل؛ فهو قائم على وضوح اللفظ، وشمول الدليل على عناصر الإقناع: وهي قبول العقل لها، إحساس الوجدان بصدقها، وتصويرها لحقائق مسلمة.

واللفظ القرآني والنبوي قد اشتملا على هذه الركائز، أما عن اللفظ النبوي فقد أحاطه الله بالعصمة ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣].

وأما اللفظ القرآني فقد استفاض القرآن نفسه في ألفاظه وآياته بذلك:

---

(١) السيرة لابن كثير.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف ١-٢].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦].

﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۞ قَيِّمًا لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢].

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾. [طه: ١١٣].

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ۞ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ۞ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ۞ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٦- ٧٠].

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الشعراء: ٢].

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۞ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ۞ أَوَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ

عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ ۞ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾. [الشعراء: ١٩٣- ١٩٩].

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۞ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١-٢].

﴿طسم ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ١-٣].

﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۞ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ٢،٣].

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢].

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١-٢].

﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢].

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢-٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

﴿حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ١-٤].

﴿حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ١-٣].

﴿حم ۝ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ١، ٢]، [الأحقاف: ١، ٢].

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠].

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

ولقد شهد القوم بهذا:

لقد قال فيه عتبة بن ربيعة:

قد سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر ولا بالكهانة.

يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه؛ فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيمًا (١).

---

(١) ابن هشام جـ١.

وقال فيه الوليد بن المغيرة:

«والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة».

«إن عليه لطلاوة، وإن له لنور، وإنه يعلو، وما يعلى عليه».

«والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق في أسفله، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو، وما يعلى عليه».

تقول الروايات: إن عقبة بن ربيعة أمسك بفم رسول الله ﷺ وناشده الرحم أن يكف عن القراءة عندما وصل إلى قوله تعالى:

﴿أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

وقال لقومه: قد علمتم أنه لا يكذب أبدًا فخفت نزول العذاب عليكم فأطيعوني واعتزلوه.

وصدق الله العلي العظيم إذ يقول:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

قال علي -كرَّم الله وجهه: قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك في الصدق والأمانة، ولكن نكذب بما جئت به من القرآن».

قال ابن كثير في تفسيرها:

لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر، ولكنهم يعاندون الحق، ويدفعونه بصدورهم[(١)].

وأما شمول الدليل على عناصر الإقناع؛ فهي متعددة ومختلفة وتحتوي العديد منها، وتشمل:

(١) تفسير ابن كثير جـ١.

- أدلة التوحيد والتنزيه.
- وحدانية الصفات.
- وحدانية التدبير.
- وحدانية التصرف في الملك.
- كما شملت بعث الوجدان الفطري لإدراك وحدانية الله جل جلاله.. إلخ.

وهي كلها أدلة للخلق والقصد والإبداع والتدبير، وهي كلها دون تحزلق أو تشدق تشمل كل أنواع الأدلة العقلية، والوجدانية، والفطرية الأولى.

﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۞ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ۞ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٩٥- ١٠٣].

إن هذا السياق يشبه في تدافعه وإيقاعاته على العمل والحس مجرى النهر وهو يتدافع بالأمواج المتلاحقة لا تفر واحدة منها حتى تأتيها لاحقة تدفعها من الخلف، وتتشابك معها في مجراها المتصل.

وهي كلها في تدافعها وتشابكها تسمو فوق حد الروعة الباهرة، وتأخذ على النفس كل أقطارها، وتغلق على النفس كل دروب الهرب، وهي تهزها بالروعة الباهرة والحيوية الدافعة، وتقول للإنسان: هذا هو ربك الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، فشاهد السامع كأنما الآي تنبثق عن مدلولاتها في التماع لآلآء مشرق تجلي للحواس، وللقلب في بهاء أخاذ يبلغ آفاق الروعة.

واللفظ القرآني في آية قوى الدلالة على كل ما تزخر به الحقيقة الأصلية في عقيدة الإسلام.

ها هو ذا المرء يقف أمام القوة الخارقة المعجزة التي تقع في كل لحظة من الليل ومن النهار إنها خارقة في انبثاق الحياة النابضة من هذه المواد الهامدة.

«فالق الحب والنوى» لا ندري كيف ينبثق، ولا ندري من أين جاءت اللهم إلا أنها من عند الله، وانبثقت بقدرته.

وها هو ذا المرء يقف أمام دورة الفلك العجيب الدائبة السرمدية الدقيقة فالق الإصباح وجعل الليل سكنا.

ويقف كذلك أمام نشأة الحياة في النبات ويشاهد من التدفق النوراني للآيات مشاهد الأمطار الهاطلة والزروع النامية وأثماره اليانعة، وتحشد له الحياة حشدًا ليتأمل، ويشاهد ليعي الحس المتحفز، والقلب المتفتح.

وكأنما الوجود يرى لأول مرة حيًّا شابًّا مزهرًا معطرًا متحركًا تدب في أوصاله الحركة تنطق بذاته عن وحدة خالقه دالاً بآياته على تفرده جل شأنه بالربوبية والملك والتدبير.

حتى ليبدو للعاقل -والسياق يواجه بهذه الآيات جماعة المشركين- أن الشرك غريب على الفطرة، غريب على فطرة الوجود وغريب على فطرة الإنسان فينطق القلب السليم، ويشهد الحس الواعي، وتنشد العواطف الكريمة إلى تلك الحقيقة.

﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومع هذا فقد قدم القرآن الكريم عرض الدعوة في أسلوب عبقري التسلسل في مجموعة السور المكية التي سجلت حياة الدعوة الإسلامية في ظلال البيت العتيق.

ففى سورة الإنعام عالج القرآن قضية العقيدة على أنها القضية الكبرى والقضية الأساسية فهى القاعدة الرئيسية للعبودية الصحيحة لله رب العالمين.

وعالج مع قضية العقيدة قضية الطعام، فالطعام يغذي القلب بالدم والقلب محل الاعتقاد؛ فإذا ما طهر مما ذبح على الأصنام والأوثان والنصب فقد خلص القلب لنور الحقيقة أما إذا تغذى القلب بلحوم النصب والأصنام فقد قسى وأظلم.

وتأتي سورة الأعراف: فتعالج موضوع العقيدة بطريق آخر أنها تعرض العقيدة في مجال التاريخ البشري، مجال رحلة البشر كلها من آدم وقصته، مع المدى المتطاول تسير السورة مع موكب الإيمان من لدن آدم إلى سيدنا محمد ﷺ، تعرض هذا الموكب، وهو يحمل «لا إله إلا الله»، ويمضي بها على مدار التاريخ مواجها بها البشرية جيلاً بعد جيل، ويرسم سياق السورة في تتابعه: كيف استقبلت البشرية هذا الموكب، وما معه من الهدى، وكيف خاطبها هذا الموكب وكيف جاوبته؟

وكيف وقف الملأ منها لهذا الموكب بالمرصاد، وكيف تخطى هذا الموكب أرصادها، ومضى في طريقه إلى الله.

وكيف كانت عاقبة المكذبين، وعاقبة المؤمنين في الدنيا والأخرة؟

✍ وسورة الفرقان: فيها أدلة الرسالة ودحض لافتراءات الكافرين.

✍ وسورة الشعراء: فيها إثبات للرسالة بطريق آخر، إنها تثبت الرسالة بالحوار والتسلسل والقرابة.

✍ وسورة النمل: إثبات للوحى كفضل من عند الله يمنحه لمن يشاء كما منح داود وسليمان ملكًا ونبوةً.

✍ وسورة القصص: تحديد لمدى ما يملكه البشر بالمال والسلطان إن جاءه حق الله وغضبه.

✍ وسورة العنكبوت: تعرض حاصل نتائج الدعوة التي بلغها الأنبياء وعاقبة المكذبين.

✍ وسورة الروم: تدريب للعواطف على تخير صداقة الجانب الإلهي، وفيها محاصرة للفرد بعدد من الأدلة على صدق رسالة سيدنا محمد ﷺ.

✍ وسورة لقمان: رد على المواجهة الثقافية وتعليم البشر وتحديد لقدراتهم بالنسبة لسلطان الله وجلاله.

✍ وسورة سبأ: حصر الحمد لله وحد ودعوة الكافرين للتفكير المنظم ليصلوا إلى الحق الذي يجحدونه ظلمًا وعلوًا.

✍ وسورة فاطر: بيان كامل عن السلطان الإلهي، وأن الناس جميعًا فقراء إلى الله.

✍ وسورة ياسين: مثل عملي للطائعين بالفطرة، وإن لم يأتهم دليل ولا أقيمت لهم حجة ومثل كذلك للمعاندين الجاحدين دين الله للهوى والبغي.

✍ وسورة الصافات: تصفية وجلاء لحقيقة الدين من العبث البشري.

✍ وسورة ص: مقارنة بين أحوال المؤمنين الطائعين وأحوال الكافرين الذين ردوا الحق انحرافًا وعبثًا وغيًا.

✍ وسورة الزمر: تحديد لموقف المسلم وبيان لطبيعة سلوكه ومداه.

✍ وسورة غافر: النموذج العملي لهذا الموقف الذي حددته من قبل سورة الزمر.

✍ سورة الشورى: توضيح لحقيقة الدين ووحدته وهيمنة الرسالة المحمدية على كل ما سبقها من رسالات.

✍ وسورة الزخرف: بيان لهيمنة الكتاب الكريم الخاتم على الكتب السماوية الأولى ومعالجة لعديد من قضايا التدين التي ابتدعها البشر انحرافا وجذافا.

✍ وسورة الدخان: قرع للمشاعر، وهز عنيف للقلوب، وجذب للبشر من نواصيهم ليدخلوا في دين الله الحنيف.

✍ وسورة الجاثية: هجوم على القلب، وضرب في الأحاسيس والمشاعر ليستيقظ ضمير الإنسان وتسلم فطرته حتى يعود إلى رحاب ربه حيث الأمان والراحة.

✍ سورة الأحقاف: تقريع وتأنيب للمعاندين المتجافين مع الفطرة والطبع المتزن الذي أحسست به الجن، فأسلموا لما سمعوا كتابًا يهدي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم دون أن يطالبوا النبي ﷺ بدليل أو برهان.

لقد فهمت الجن معاني القرآن فآمنوا ورجعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإيمان.

﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠-٣٢].

لقد عرضت الدعوة الإسلامية عرضًا واضحًا تفرَّدت به على طول الزمن.

لقد فهمها الجن قبل البشر، ولسانها هو لسان القرآن، عربي مبين.

ولقد أحاط اللفظ القرآني بجميع جلال المعاني في جاذبية انسيابية حلوة تستجيب لها العاطفة النيرة، وينشد إليها القلب الصادق، ويتلذذ بحلاوتها الوجدان السليم.

لقد عرض اللفظ القرآني الدعوة لكل أجزاء الموضوع متخذًا كل زاوية من زوايا الفكر والوجدان والتاريخ في جملة ما ساقه حتى لا تكون للناس حجة بعد هذا التوضيح والواضح.

وليس هناك أدنى شك في أن عرض الدعوة الإسلامية امتاز وحده بالوضوح الدائم على طول الزمن الممتد، وأن غيرها منا لدعوات لم ينل هذا الحظ لعجز البشر عن توضيح هدفه وفساد صنعة التعبير التي تصدر عن الإنسان فشتان ما بين وحي معصوم هو كلام الله المجيد، وإنشاء مرذول هو كلام البشر الوضيع.

فهل يقدر القائد هنا أن يعرض أفكاره، وما يعتنقه بمثل هذا الوضوح والبرهنة بعيدًا عن الإثارة والشغب وأساليب الوجاهة التي لا تبغي إلا الشهرة والعصبية والاتجار..؟

الإرادة والعزم وعدم التردد:

من الأسس التي لا غنى عنها للقائد أن يكون ذا إرادة وعزم وإقدام على تنفيذ ما يجب تنفيذه فلا يكون ضعيفًا ولا مترددًا حتى لا تضيع من فرص متاحة في عمله أو تحدث بسبب تردده مفسده يقول تعالى أمرًا رسوله ﷺ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وبيَّن رسول الله ﷺ في أقوال عديدة منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء؛ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»**(١).

وفى فعل رسول الله ما يوضح هذا الأمر بصورة كبيرة.

إرادة وعزم النبي ﷺ:

- روي عن أبي ذر الغفارى رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: **«يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»**(٢).

وأبو ذر هنا لا ينقصه علم ولا أمانة، ولكن ينقص القوة في أداء هذه الأمانة والعزم في اتخاذ القرار المناسب لهذه القيادة التي يحاسب عليها الله تبارك وتعالى.

- في صلح الحديبية مع مشركي مكة، والذى كان ظاهره ظلم للمسلمين لما في شروط الصلح من رجوع الرسول وأصحابه عن البيت الحرام قبل أداء العمرة وإرجاع من جاء من المشركين مسلمًا إليهم وعدم إرجاع من جاء من

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.

المسلمين إلى المشركين حتى أخذ عمر ﷺ يصول ويجول ويراجع أبا بكر ثم رسول الله ﷺ يقول: «ألست برسول الله»؟ قال: «بلى»، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: **بلى**، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: **بلى**، قال: فعلام نعطى الدنية في ديننا

قال: **«أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره، ولن يضيعني»**.

موقف صارم من مواقفه ﷺ؛ فقد اتخذ قراره بتوقيع الصلح وعزم على ذلك يدعمه موافقه ربه تعالى عليه، ولا يعرف ذلك أتباعه، وثقته في أن الله لن يضيعه.

- في غزوة أحد والخروج لملاقاة المشركين كان رأيه ﷺ أولاً عدم الخروج من المدينة بل يبقى هو وأصحابه بها، فإذا هاجمهم المشركون قاتلهم الرجال في الطرقات والنساء من على سطوح المنازل ثم تنازل عن رأيه وعزم على الخروج ندم الذين طلبوا منه الخروج وطلبوا منه البقاء فأبى أن يتنازل بل وعزم على الخروج، وقال: **«ما ينبغى لنبي لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»**.

هذا هو القائد الذي لا يتردد في الأمور حتى لا يتعرض هو ومن معه للفشل الذريع بل العزم والإرادة في اتخاذ القرار ثم التوكل على الله ﷻ.

- روى عروة بن الزبير أن الزبير كان يحدث أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدرًا إلى رسول الله في شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله للزبير: **«اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك»** فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله، ثم قال: **اسق ثم احبس حتى يبلغ الجدر»**[1].

هنا أعطى الرسول كامل الحق للزبير وكان من قبل أشار على الزبير برأي

(١) البخاري ومسلم.

له سعة للزبير وللأنصارى فلما أحفظ الأنصاري، وقال ما قال أعطى الزبير حقه، وحكم بذلك حتى قال عروة: والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فأولاً طلب من الزبير أن يسقي مع شيء من التسامح لخصمه فلما تكلم خصمه ذلك الكلام الذي فيه اعتراض على الرسول غضب ﷺ وحكم بالحق الذي للزبير أن يستوفيه، وهو سقى أرض حتى يبلغ الماء الجدر، وهو مع كونه حكمًا شرعيًّا حزم إداري مضبط للأمور مع إصرار على التنفيذ.

تكوين الملكات والمهارات:

من منا كبشر يملك كل المهارات والملكات المطلوبة، لا واحد من البشر على الإطلاق يملك هذا، ولكن القائد إذا رأى أن هناك ملكة معينة يجب أن يرسخها في ذاته فعليه أن يبحث عنها، ويكونها في نفسه، وهو هنا يحدد نوعية الملكات المطلوبة لدعم موقفه القيادي.

فإذا كانت متطلبات عمله القيادي تتطلب منه أن يكون فقيهًا وهو ليس بفقيه عند ذلك يجب عليه أن يكون لديه ملكة الفقه.

كيف؟

مبدئيًّا يعرف ما هي الملكة؟

الملكة في اللغة: مأخوذة من ملك وهو -كما قال ابن فارس: أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة؛ فيقال: ملك الشيء ملكًا حازه وانفرد بالتصرف فيه؛ فهو مالك.

والملكة في الاصطلاح: صفة راسخة في النفس، وبعبارة أخرى: «الهيئة

الراسخة في النفس» حيث تحصل في النفس هيئة بسبب فعل من الأفعال يقال لها: (كيفية) أو (حالة)، فإذا كانت تلك الهيئة سريعة الزوال سميت كيفية أو حالة أما إذا تكررت تلك الهيئة ومارستها النفس حتى رسخت فيها وصارت متعذرة الزوال أصبحت ملكة كملكة الحساب وملكة اللغة وغير ذلك.

ثم يعرف الملكة الفقهية باعتبارها لقبًا:

الملكة الفقهية هي صفة يقتدر بها على استنتاج الأحكام من مأخذها ومن مفرداتها:

١- فقه النفس.

٢- القدرة على استحضار الأحكام الشرعية العملية في مظانها الفقهية وذلك بالإحاطة بمبادئ الفقه وقواعده والوقوف على مسائله.

٣- القدرة على استنباط الأحكام العملية من الأدلة التفصيلية.

٤- القدرة على تخرج الفروع على الأصول، وتخرج الفروع من الفروع والترجيح في المذهب.

٥- القدرة على الترجيح إذا اختلف الفقهاء في مسألة من المسائل؛ لأن أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس فهذه صفة الفقهاء الراسخين.

٦- القدرة على التعبير عن مقصود الفقه ودفع الشبهات الواردة عليه.

وبالتالي الملكة الفقهية هي «صفة راسخة في النفس تحقق الفهم لمقاصد الكلام الذي يسهم في التمكن من إعطاء الحكم الشرعي للقضية المطروحة إما برده إلى مظانه في مخزون الفقه أو بالاستنباط من الأدلة الشرعية أو القواعد الكلية».

ثانيًا: على القائد أن يعرف بعد ذلك أنواع الملكة الفقهية على اختلافها حيث لا بدَّ من معرفة ملكة تقرير القواعد الأصولية والاستنباط الفقهي المستقل:

وهي تتحقق في الفقيه الذي يستقل بإدراك الأحكام الفقهية من الأدلة الشرعية من غير تقليد لغيره في الغالب، لا في الأصول ولا في الفروع كعلماء الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة.

١- ملكة الاستنباط الفقهي المبني على أصول الغير:

وهي تتحقق في الفقيه القادر على استنباط الأحكام من أدلتها الشرعية بناء على قواعد الاستنباط التي قررها إمامه، وقد تكون اجتهاداته موافقه لاجتهادات إمامه، وقد تكون مخالفة لها، ومن هؤلاء الفقهاء: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري (١٨٢هـ)، وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني (١٨٩هـ) من الحنفية، وعبد الرحمن بن القاسم (١٢٦هـ)، وأشهب بن عبد العزيز القيسي العامري (٢٠٤هـ) من المالكية، وإسماعيل بن يحيى المزني (٢٦٤هـ)، والربيع بن سليمان المرادي (٢٧٠هـ) من الشافعية، وأبو بكر أحمد بن محمد الخلال (٣١١هـ) من الحنابلة.

٢- ملكة التخريج الفقهي:

وهي تتحقق في الفقيه المتمكن من تخرج الوجوه الفقهية على قواعد إمامه الكلية ونصوصه الفرعية؛ فهو متمكن من إلحاق الفروع بالقواعد الكلية وإلحاق الشبيه بالشبيه من الفروع، والتمييز بين المتشابهات بإبداء الفروق والموانع، وهو يحيط بقواعد الاستنباط في المذاهب، ويعرف تقييدات مطلقات المذهب ومخصصات عمومه، ويدرك مآخذ الأحكام التي نص عليها الإمام، ويعرف عللها ومعانيها.

ومن هؤلاء الفقهاء: الحسن بن زياد اللؤلؤي (ت ٢٠٤هـ) من الجنفية، وأبو محمد

عبد الله بن عبد الرحمن (ابن أبي زيد) القيرواني المالكي (٣٨٦هـ)، ومحمد بن نصر المروزي (٢٩٤هـ) الشافعي، محمد بن الحسين (٤٥٨هـ) الحنبلي.

٣- ملكة الترجيح في المذهب:

وهي تتحقق في الفقيه المتمكن من الترجيح بين أقول الإمام وبعض أصحابه فيقررها، ويرجح قولاً على قول آخر، ويميز أصح الأقوال من غيرها، ويرتبها ويحررها ويكتب المؤلفات والتصانيف فيها ويستند في ذلك إلى معرفة أدلة الأحكام ومرجحاتها وأصول الإمام ومعرفة علل الأحكام المنصوص عليها في المذهب ومآخذها.

ومن هؤلاء الفقهاء: أبو الحسن بن أبي بكر القدوري (٤٢٨هـ) من الحنفية، وأبو الوليد محمد بن رشد القرطبي الجد (ت ٥٢٠هـ) من المالكية، وإمام الحرمين عبد الله بن عبد الله الجويني (٤٧٨هـ) من الشافعية، وعمر بن الحسين الخرقي (٣٣٤) من الحنابلة.

٤- ملكة استحضار المذهب (القول المعتمد):

وهي تتحقق في الفقيه بالتمكن من حفظ الأقوال المعتمدة في المذهب، وذلك بفهم واضحات المسائل ومشكلاتها، ومعرفة تقييدات المطلقات وعمومات الأحكام، ولكنه لم يدرك مدارك إمام المذهب ومستنداته في فروعه الفقهية إدراكًا متقنًا، بل سمعها من حيث الجملة من غير من الفقهاء فإذا عرضت له واقعة لا يوجد فيها نص لا يستطيع أن يخرجها على نصوص إمامه إلا إذا كانت واضحة الشبه بالمسألة المنصوص عليها، بحيث يدرك وجه الشبه بالبداهة من غير جهد؛ وذلك لأن إدراك الشبه الخفى يحتاج إلى الإحاطة بمدارك إمام المذهب ومآخذ الأحكام.

ومن هؤلاء الفقهاء: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٧١٠هـ) الحنفي

صاحب كنز الدقائق، وخليل بن إسحاق (٧٧٦) المالكي صاحب مختصر خليل، وإبراهيم بن سوف الشيرازي (٤٦٧هـ) الشافعي، صاحب المهذب، وموسى بن أحمد المقدسي الحجاوي (٩٦٨هـ) الحنبلي صاحب الإقناع.

٥- ملكة الترجيح بين المذاهب:

وهي تتحقق في الفقيه الذي يتمكن من دراسة آراء الفقهاء في المذاهب المختلفة دراسة مقارنة بحيث يصور المسألة تصويرًا دقيقًا، ويعرض آراء المذاهب عرضًا صحيحًا بحيث يعتمد في تقريرها على الكتب المعتمدة في كل مذهب، وبين أسباب اختلاف الفقهاء فيها، ويذكر الأدلة التي إليها كل مذهب، ثم يعنوم بتمحيصها وعركها سندًا ومتنًا ودلالة ويقارن ببعض بهدف الوصول إلى الرأي الذي تقويه الأدلة.

وممن قام بهذا العمل من الفقهاء: محمد بن جرير الطبري (٣١٠) في كتاب اختلاف الفقهاء، وأبو عبد الله محمد بن نصر المروزي (٢٩٤هـ) في كتاب اختلاف العلماء، وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (٣١٨هـ) في كتاب الإشراف على مذاهب العلماء، والأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، وأبو الحسن على بن محمد الماوردي (٤٥٠هـ) في الحاوي الكبير، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة (٦٢٠هـ) في كتاب المغني وغير ذلك.

ثالثًا: يلى ذلك معرفة القائد بفضل الملكة التي يرغب في التزود بها وإتقانها وأهمية وجود هذه الملكة وفوائدها له وللمجتمع الذي يقوده أي أن يعرف القائد.

أ- فضل تحصيل الملكة الفقهية:

حيث بين الإسلام فضل العلماء عامة والفقهاء خاصة في عدة نصوص من القرآن والسنة نذكر منها:

١- قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ما روي عن حميد بن عبد الرحمن قـال: سمعـت معاويـة ﷺ خطيبًـا يقـول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**».

ب- أهمية وجود الملكة الفقهية:

يمكن إدراك أهمية الملكة الفقهية من خلال تلمس فوائدها لكل مـن الفقيـه والمجتمع الذي يعيش فيه.

فوائد الملكة الفقهية للفقيه القائد:

١- النضوج العقلي والفكري:

إن الملكة الفقهية بما تشتمل عليه من أنواع الملكـات تزيـد الفقيـه ذكـاء في عقلـه وإضاءة في فكره؛ لأن النفس تزداد كيسًا بالعلوم والملكات التي توجد فيها.

سئل أحد المبدعين المعاصرين الغربيين (نيوتن) عن سبب إبداعه؛ فقال: «إن ٩٧٪ منه يرجع إلى الجد والمثابرة في التحصيل و ٣٪ يرجع إلى الذكاء».

٢- الحذق في الفقه والتفنن فيه والاستيلاء عليه:

إن الملكة الفقهية تجعل الفقيه حاذقًا في علم الفقه، متمكنًا منـه قـادرًا علـى الإبداع فيه والعطاء بالتأليف وتصوير المسائل تصويرًا دقيقًا ورد الشبهات عنه.

يقول ابن خلدون: «إن الحذق في العلم والتفـنن فيـه والاسـتيلاء عليـه إنمـا هـو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسـائله، واسـتنباط فروعـه من أصوله.. ما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلاً».

٣- الوصول إلى آراء فقهية ناضجة:

إن الفقيه صاحب الملكة الفقهية الراسخة يتمكن من الوصول إلى آراء فقهية ناضجة مبنية على أصول الاستنباط وعلل الأحكام ومآخذها، وقد تجلـى ذلـك في كثير من العلماء مثل الإمام أبي عبـد الله محمـد المقـري (٧٥٩هـ) صـاحب كتاب القواعد الفقهية.

٤- القدرة على استخراج الأحكام الخفية من الأدلة البعيدة: إن الذي يميز صاحب الملكة الراسخة عن غيره من الفقهاء القدرة على استخراج واستنباط الأحكام الخفية من الأدلة البعيدة أو غير المباشرة، كأن يستنبط الأحكام العقائدية والفقهية من الآيات التي تتعلق بقصص القرآن وغيرها مما ليس له علاقة بالعقيدة أو الفقه.

٥- شدة الحذر في الفتوى:

إن نظر الفقيه صاحب الملكة الفقهية الراسخة في القضية الفقهية المطروحة عليه يكون أتم وأشمل، حيث إنه عند وضع تصور لتلك القضية يضع كل الاحتمالات ويورد كل الإشكالات والمعضلات التي تتعلق بتلك القضية، ويعمل عقله في إيجاد الحلول المناسبة لتلك الإشكالات والمعضلات، وهذا مما يجعله يتوقف فيها أحيانًا ويتردد فيها أحيانًا أخرى.

فوائد الملكة الفقهية للمجتمع:

إن عودة الفقهاء ذوي الملكات الفقهية حاجة اجتماعية ملحة تحقق للمجتمع الاستقرار وتمنحه القدرة على النمو ومواكبة المستجدات، وفيما يلي بعض الفوائد التي تتحقق للمجتمع الإسلامي من وجود الفقهاء ذوي الملكات الفقهية الراسخة:

١- معالجة قضايا العصر ومشكلاته ووقائعه المستجدة.

٢- ترشيد الصحوة الإسلامية.

٣- ترشيد المؤسسات المالية الإسلامية.

٤- تذليل طريق العودة لقيام المجتمع الإسلامي.

رابعًا: مقومات الملكة الفقهية:

الملكة الفقهية تحصل لطالب الفقه بوجود مقوماتها حيث يغرسها المدرس الحاذق في نفس الطالب المستعد لذلك وفق منهاج أصيل، وذلك على النحو التالي:

١- الاستعداد العقلي والروحي والشخصي للمتفقه.

٢- المدرس الحاذق والقدوة.

٣- المنهاج الدراسي الأصيل.

٤- الطريقة المثلى في تدريس الفقه.

فعن الاستعداد العقلي والروحي والشخصي مثل الرسول ﷺ لطالب العلم بالأرض التي تستقبل الماء، وتنبت الزرع فإذا كانت الأرض صالحة انتفعت بالماء في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها، وكذلك طالب العلم إذا كان مستعدًا لتلقي العلم عقليًا وروحيًا وشخصيًا.

٢- المدرس الحاذق القدوة:

الأصل في تكوين الملكة الفقهية أن تتم تحت إشراف أساتذة متمكنين في علمهم وقدوة في سلوكهم؛ لأن من شأن الأستاذ المرشد الأمين الناصح أن يقوم ببناء شخصية الطالب، ويعمل على تنمية عقله وتهذيب سلوكه وإعداده للتفاعل مع المجتمع وقضاياه الحية، وأن يراعي في تدريسه مرحلة الطالب هل هو مبتدىء أم لا؟

٣- المنهاج الدراسي الأصيل:

من المقومات الأساسية للملكة الفقهية وجود منهاج دراسي أصيل يتلقاه المتفقة في مراحل دراسته، ويتمثل في العلوم الأساسية التي ينبغي له أن يدرسها وهي:

- معرفة القرآن وعلومه.
- معرفة السنن النبوية وعلومها.
- معرفة مواقع الإجماع في الفقه.
- معرفة علم أصول الفقه.

- معرفة علوم اللغة العربية.
- معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية.
- فهم الواقع المعاصر.

٤- الطريقة المثلى في تدريس الفقه:

اتبع المسلمون في تدريس العلوم الشرعية سابقًا طريقة أصيلة تقوم على أساس تحفيظ الطالب منذ الصغر متونًا في علوم الشريعة من عقيدة وأصول فقه ومصطلح حديث وفقه ونحو وصرف وغير ذلك بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم وبعض الأحاديث السهلة ثم تدرجوا بالطالب فيتعلم العلوم الشرعية إلى أن تتحقق له الملكات العلمية المطلوبة؛ فلينظر القائد كيف يتعلم ملكته.

خامسًا: تجنب القائد آفات الملكة الفقهية ومعوقاتها:

إذا وهب الله تعالى القائد الفقه وملكة الفقه وجب عليه أن يحافظ عليها وذلك بإبعاد الآفات والمعوقات عنها.

فالآفات الخلقية والنفسية للملكة الفقهية والتي لها أثر كبير في شل الملكة الفقهية الكبر والعجب والغرور والحسد.

والمعوقات المنهجية للملكة الفقهية والتي تؤثر عليها وتعطل حركتها وتوقف نموها: إخلال الفقيه بالنصوص الثابتة، والتقليد الذي ينطوي على الجمود والتعصب والتمسك بحرفية النصوص والتشدد والتضييق والغلو في اعتبار المصلحة وتبرير الواقع.

هذا عن تعلم القائد ملكه الفقه، ويستوي هذا مع رغبة القائد في تعلم أو امتلاك أية ملكات أخرى سواء أكانت علم الكمبيوتر أو إتقان عملية العرض والتقديم أو ... أي شيء آخر المهم هو كيفية اكتساب القائد لهذه الملكة.

تحديد الاختصاصات:

المراد بتحديد الاختصاصات تقسم وظائف العمل على العاملين بحيث يكون كل فرد عالمًا بالعمل الذي يكلف به ليقوم به دون تقصير فيه، ولا يتجاوزه إلى عمل آخر مسند إلى غيره، وعلى القائد أن يعلم أن تقسيم الوظائف وتحديدها سنة كونية وسنة شرعية والقائد الذي لا يقسم الوظائف على رجاله يخالف السنتين وسيصاب بالجهد والإرهاق العقلي والفشل الإداري؛ لأن طاقته محدودة، ولن يقدر على أداء كل الأعمال بمفرده أو بمساعدة عدد قليل من رجاله بالإضافة إلى أنه إذا فعل ذلك فهو يجمد طاقات رجاله ويحرم مجتمعه من نشاط هؤلاء الأكفاء.

وعلى القائد أن يعلم أن الله ﷻ قد قسَّم أمر تدبير العالم على ملائكته، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤]؛ فهناك ملائكة موكولة بالمخلوقات والجبال والسحاب والمطر والموت والجنة والنار وحملة العرش وحتى في إرسال السفراء للأرض والعبادة وكذلك في الدعوة إلى الله ﷻ والحكم بين الناس بالحق والجهاد في سبيل الله فأرسل الرسل، وقال:

﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

ألم ترى معي عزيز القائد مهمة الرسول واختصاصاته المتفق عليها والواضحة من رب العزة سبحانه وتعالى.

وكذلك عليك أنت الآن أن تفعل مع رجالك.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في معاملة رجاله وتحديدًا اختصاصات أعمالهم[١].

ففى حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- الذي رواه عن معاذ بن جبل ﷺ قال: «بعثني رسول الله ﷺ، قال: **«إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله**، وأني رسول الله؛ **فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك** وكرائم **أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**[٢].

فقد بعث الرسول ﷺ معاذًا عاملاً وداعيةً إلى اليمن، وحدَّد له وظيفته تحديدًا دقيقًا، إذ بيَّن له العمل المهم الذي يبدأ به مرتبًا عليه ما ينبني عليه، فالأصل الأول هو الدعوة إلى توحيد الله والإقرار برسوله، والأصل الثاني أداء فرائض الصلاة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي عمل يحقق معنى الشهادتين؛ لأنها عبادة الله واتباع لرسول الله ﷺ، والأصل الثالث: أداء الزكاة الذي هو الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي مع كونها عبادة لله أصل في أداء حقوق عباد الله إليهم، ثم أمره بالرفق بالرعية والعدل في معاملتهم والتجنب لظلمهم.

وقد بعث مع معاذ بن جبل ﷺ أبا موسى الأشعري ﷺ، وجعل كل واحد منهما على مخلاف، وأمرهما إذا اجتمعا أن يتطاوعا ولا يختلفا، وييسرا

---

(١) الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية (بتصرف).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

ولا يعسرا ويبشرا ولا ينفرا.

روى أبو بردة قال: بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وبعث كل واحد منهما إلى مخلاف، قال: واليمن مخلافان فانطلق كل واحد منهما إلى عمله قال: وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه وكان قريبًا من صاحبه أحدث به عهدًا فسلم عليه»(١).

فيظهر من هذا الحديث أن كل واحد منهما كان أميرًا على مخلاف مستقل، وأمره لهما بالمطاوعة المراد منه إذا التقيا على قضية من القضايا.

وقد بوب البخاري على الحديث بقوله: «باب أمر الوالي إذا وجه أميرين إلى موضع أن يتطاوعا ولا يتعاصيا»(٢). وفى تبويب البخارى هذا -رحمه الله- إشارة إلى رد قول من قال: وفيه جواز نصب قاضيين في بلد واحد واشتراكهما في الولاية.

قال الحافظ: «وقال ابن التين: الظاهر اشتراكهما، لكن جاء في غير هذه الرواية أنه أقر كلاً منهما على مخلاف.. وكان اليمن مخلافين، قلت: وهذا هو المعتمد، والرواية التي أشار إليها تقدمت في غزوة حنين، باللفظ المذكور، وتقدم في المغازى أن كلاً منهما كان إذا سار في عمله زار رفيقه، وكان عمل معاذ في النجود، وما تعالى من بلاد اليمن، وعمل أبي موسى في التهائم وانخفض منها، فعلى هذا فأمره ﷺ لهما بأن يتطاوعا ولا يتخالفا محمول على ما إذا اتفقت قضية يحتاج الأمر فيها إلى اجتماعهما»(٣).

قلت: ولو بعثهما الرسول ﷺ إلى موضع واحد بحيث يكونان مجتمعين على عمل واحد لما كان كل منهما أميرًا، بل دأبه ﷺ أن يؤمر واحدًا.

---

(١) (٢) رواه البخاري .

(٣) فتح البارى.

ومن أمثلة تحديد الرسول ﷺ وظائف العاملين -وهو مثال لكل أمير جيش- حديث بريدة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغزوا باسم الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال.. فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل الحصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن انزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟**»(1).

فقد بيَّن الرسول ﷺ في هذا الحديث لأمرائه على الجيوش الأمور التي لهم أن يأتوها والأمور التي ليس لهم أن يأتوها وحددها تحديدًا دقيقًا صريحًا.

فوظيفتهم العامة هي الغزو في سبيل الله، وتفصيل ذلك في أمور:

الأمر الأول: أن يدعو المشركين إلى الإسلام، فإذا أجابوا ذلك وجب الكف عنهم.

الأمر الثاني: أن يدفع الكفار الجزية، فإذا دفعوها وجب الكف عنهم.

الأمر الثالث: إذا لم يستجيبوا لدعوة الإسلام، ولا لدفع الجزية وجب أن يستعين بالله ويقاتلهم.

---

(١) صحيح مسلم.

والذين يستجيبون للإسلام يدعون إلى الهجرة من بلادهم لينضموا إلى إخوانهم المهاجرين للجهاد في سبيل الله، فإذا استجابوا كان لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبو فليس لهم شيء من الغنائم والفيء إلا إذا حضروا المعركة.

أما ما ليس للأمير وجيشه أن يتعاطوه فيستخلص في أمور:

الأمر الأول: عدم اعتداء على العدو بما لم يأذن به الله تعالى، كالغدر والتمثيل، وقتل غير المقاتلين أو المحرضين على القتال.

الأمر الثاني: عدم إعطاء العدو ذمة الله ورسوله في الصلح خشية ألا يفي أمير الجيش وجيشه بما وعدوا، لما في ذلك من جعل ذمة الله وذمة رسوله ﷺ عرضة للنقض ونقض ذمة الأمير وجيشه أهون من نقض ذمة الله ورسوله.

الأمر الثالث: عدم إنزال العدو على حكم الله في الأمور الاجتهادية التي يحتمل ألا يصيبوا حكم الله في الواقع فيها.

قال النووي -رحمه الله: «وفى هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها، وهي تحريم الغدر، وتحريم الغلول، وتحريم قتل الصبيان، إذا لم يقاتلوا، وكراهة المثلة، واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى والرفق بأتباعهم وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم وما يجب عليهم وما يحل لهم وما يحرم عليهم، وما يكره وما يستحب» [(١)].

ومن أمثلة ذلك بعث الرسول ﷺ أبا بكر ﷺ أميرًا للحج في السنة التاسعة من الهجرة، ثم إردافه بعلي ﷺ ليتلو على الناس سورة التوبة، فلما لحق علي ﷺ بأبي بكر قال له: أمير أم رسول؟ قال: لا، بل رسول، كما روى ذلك جابر

(١) شرح النووي على مسلم.

ﷺ أن النبي ﷺ حين رجع من عمرة الجعرانة، بعث أبا بكر على الحج، فأقبلنا معه، حتى إذا كنا بالعرج ثوب بالصبح، ثم استوى ليكبر، فسمع الرغوة خلف ظهره فوقف عن التكبير، فقال: هذه رغوة ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء، لقد بدا لرسول الله ﷺ في الحج، فلعله أن يكون رسول الله ﷺ، فنصلي معه، فإذا علي عليها، فقال أبو بكر: أمير أم رسول؟ قال: لا، بل رسول، أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج، فقدمنا مكة، فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس، فحدثهم عن مناسكهم حتى إذا فرغ قام علي ﷺ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ثم خرجنا معه حتى إذا كان يوم عرفة قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى إذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها.

ثم كان يوم النحر فأفضنا، فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم، وعن نحرهم، وعن مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، فلما كان يوم النفر الأول قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون؟ وكيف يرمون؟ فعلمهم مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها»[(١)].

والشاهد في الحديث كون أبي بكر ﷺ كان أميرًا للحج وكان هو الذي بين الناس ما يتعلق بالمناسك وكيفية السير والنفر، وكون علي ﷺ بعث بقراءة سورة براءة على الناس، فلم يتجاوز أحدهما ما حدده له الرسول ﷺ من العمل، بل التزم كل منهما بوظيفته.

وفى غزوة أحد أجلس ﷺ عبد الله بن جبير ﷺ وطائفة من أصحابه في موضع معين، وأمر عليهم عبد الله وحدد وظيفتهم بالبقاء في ذلك المكان لحماية

---

(١) سنن النسائي.

ظهر المسلمين من خيل المشركين، وألزمهم بذلك في كل حال من الأحوال، وكان ذلك التحديد صريحًا، كما روى البراء ﷺ قال: لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي ﷺ جيشًا من الرماة، وأمر عليهم عبد الله، وقال: «**لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهرًا علينا فلا تعينونا**»(١)

وكان لرسوله الله ﷺ بعض الأعمال والوظائف يسندها لبعض أصحابه عملاً، وإن لم يحددهم بالقول، حتى كانوا يعرفون بأصحاب تلك الأعمال، كما كان ابن مسعود ﷺ صاحب نعليه ووسادته ومطهرته، وكان حذيفة ﷺ صاحب سره، كما صحَّ ذلك عن أبي الدرداء ﷺ (٢).

مشاركة الرجال في أعمالهم والإشراف عليها ومحاسبتهم:

إذا كان القائد عليه أن يحدد اختصاصات رجاله، ويشرف على أداء أعمالهم ويراقبهم في أداء هذه الاخصاصات والأعمال؛ فإن عليه أن يشارك رجاله في هذه الأعمال فهى أولاً لا تجعله يجلس في برج عاجٍ فينظر إليهم، وإنما هو هنا منهم وبهم ولهم (٣).

وكان الغالب من سيرة القائد الأول الرسول ﷺ أن يشارك رجاله أعمالهم فقد كان يشارك في الغزوات؛ «فقد غزا ﷺ بنفسه تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منها» (٤).

وكان يشارك أصحابه في أعمال الحرب الشاقة، قال البراء ﷺ: «لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلده بطنه، وكان كثير الشعر، وسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه البخاري.
(٣) الكفاءة الإدارية في السياسية الشرعية (بتصرف)
(٤) رواه البخاري ومسلم.

ينقل التراب، ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزل سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الآلي قد بغو علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

قال: ثم يمد صوته بآخرها[١].

ولما رأى ﷺ ما أصاب أصحابه من الجهد: جهد البرد، وجهد الجوع، وجهد تعب، حفر الخندق، ونقل التراب أخذ يسليهم، ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة

ويقولون هم مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدا[٢]

وكذلك شاركهم في أصعب الأعمال التي لم يقدروا عيها، فشكوا إليه قطعة صلبة من الأرض اعترضتهم، فنزل من مقر قيادته، وأخذ معولاً فضربها فعادت كثيبًا مهيلاً، كما روى ذلك جابر ﷺ قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبي ﷺ؛ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام، لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول، فضرب فعاد كثيبًا أهيل». [٣]

وشاركهم في بناء مسجده ﷺ، وكان يسليهم ويرتجز كما روى أنس بن مالك ﷺ قال: «وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون، والنبى ﷺ معهم، وهو يقول:

(١) البخاري ومسلم.
(٢) البخاري ومسلم.
(٣) البخاري.

اللـــهم لا خـــير إلا خـــير الآخـــرة   فـــاغفر للأنصـــار والمهـــاجرة[١]

وكان ينفض التراب عن بعض أصحابه العاملين في المسجد[٢].

والذي يتتبع سيرته ﷺ يجد أن مشاركة أصحابه في العمل هي الأصل في حياته، وكان لتلك المشاركة النبوية أثرها في نفوس جنده -رضي الله عنهم- وفى حماسهم العظيم لإنجاح أي عمل كان يسنده إليهم، ولقد كان ﷺ يتأخر عن المشاركة في بعض الأعمال شفقة بأصحابه، وخشية عليهم أن يكلفوا أنفسهم فوق طاقتهم لرغبتهم في الاقتداء به.

وهذا قال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي**» [٣].

والأعمال التي لم يكن يباشر المشاركة فيها بنفسه كما يشرف عليها بعد أن يولي عليها من يراه كفؤًا من أصحابه.

ومن أمثلة ذلك أمره ﷺ أبا بكر أن يصلي بالمسلمين في مرض موته، وقد راجعته عائشة -رضي الله عنها- طالبة منه أن يأمر عمر بذلك، لما تعلم من رقة أبيها التي قد لا يسمع الناس معها بسبب البكاء، فأصر ﷺ على أن يصلي بالناس أبو بكر ثم كشف ﷺ الستارة، وأشرف إلى المسلمين، وهم يصلون وراء أبي بكر فسر بذلك، وتبسم لاطمئنانه على اجتماع أصحابه وراء الصديق الذي كان لإصراره ﷺ على إمامته مغزى الإشارة إلى أنه هو الكفء الأول لإمامة المسلمين العامة بعده، وفى إشرافه وسروره ما يدل على متابعته لتنفيذ أمره واتباع سنته وبخاصة ما يتعلق باجتماع أمته على من يخلفه في صلاته وفى ولاية أمره.

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) البخاري والذى كان ينفض التراب عنه هو عمار رضي الله عنه.

(٣) مسلم.

كما روى أنس بن مالك ﷺ أنا أبا بكر كان يصلي بهم في وجع النبي ﷺ الذي توفى فيه حتى إذا كان يوم الإثنين، وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة، فنظر إلينا، وهو قائم، كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا قال: فبهتنا، ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ خارج للصلاة، فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده: أن أتموا صلاتكم، قال: ثم دخل رسول الله ﷺ، فأرخى الستر، قال: فتوفى رسول الله ﷺ من يومه ذلك»[(١)].

قال النووي -رحمه الله تعالى: «سبب تبسمه ﷺ فرحه بما رأى من اجتماعهم على الصلاة، واتباعهم لإمامهم، وإقامتهم شريعته، واتفاق كلمتهم، واجتماع قلوبهم، ولهذا استنار وجهه ﷺ على عادته إذا رأى أو سمع ما يسره يستنير وجهه»[(٢)].

أما محاسبة الرسول ﷺ لولاته إذا خالفوا أمره فكانت واضحة في سيرته، فقد حاسب خالد بن الوليد ﷺ على قتله بني جذيمة لقولهم: صبأنا ولم يقولوا: أسلمنا، روى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فقالوا: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد**» مرتين[(٣)].

ولا شكَّ أن براءته ﷺ مما صنع خالد تعتبر محاسبة له على ما صنع، وإن كان ذلك صدر عن اجتهاد منه، إلا أنه كان يجب أن يتريث ويستشيره أصحابه،

(١) البخاري ومسلم.
(٢) شرح النووى.
(٣) البخاري.

بل كان عليه أن يستفسر من خالفه كابن عمر، بل يستفسر القوم عن مرادهم.

قال ابن حجر -رحمه الله: «والغرض منه -أي: من الحديث قوله: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**»، يعني: من قتله الذين قالوا: صبأنا صبأنا قبل أن يستفسرهم عن مرادهم بذلك القول، فإن فيه إشارة إلى تصويب فعل ابن عمر ومن تبعه في تركهم متابعة خالد على قتل من أمرهم بقتلهم المذكورين» [١].

وحاسب ﷺ ابن الأُتبية على المال الذي قال: أنه أهدى إليه، كما روى أبو حميد الساعدي رضي الله عنه قال: «استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد على صدقات بني سليم، يدعى ابن الأُتبية؛ فلما جاء حاسبه قال: هذا مالكم، وهذا هدية، فقال رسول الله ﷺ: «**فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقًا**» ثم خطبنا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد؛ فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا ما لكم، وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا، والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئًا بغير حق إلا لقي الله تعالى يوم القيامة، فلأعرفن أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر**» ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه، ثم قال: «**اللهم هل بلغت؟**»[٢].

وحاسب ﷺ معاذ بن جبل على إطالته الصلاة بالناس، كما روى جابر بن عبد الله، قال: أقبل رجل بناضحين فوافق معاذًا يصلي، فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة.. فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذًا نال منه، فأتى النبي ﷺ فشكا إليه معاذًا فقال النبي ﷺ: «**أفتّان أنت، فلو صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى؛ فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة**»[٣].

---

(١) الفتح (١٣/ ١٨٢).

(٣) البخاري ومسلم.

(٣) البخاري ومسلم.

وفي حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي في غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ؛ فقال: «يأيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أمَّ الناس فليوجز؛ فإن من ورائه الكبير والضعيف»(١).

اختيار الرجال الأكفاء:

القائد هو المسئول الأول عن مصالح رجال والمجتمع الذي يتولى قيادته وبالتالي عليه أن يُحسن اختيار هؤلاء المعاونين له على إتمام أعمال قيادتة ويجتهد في ذلك أيما اجتهاد فهؤلاء الرجال سيكونون هم البطانة التي سوف يعتمد عليها.

ولذا يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله: «من ولاه الله من أمر المسلمين شيئًا فأراد به خيرًا جعل له وزير صدق إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه» (٢).

وفي رواية «وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يُعنه» (٣).

وعنه ﷺ أنه قال: «من ولى من أمور المسلمين شيئًا فولى رجلاً وهو يجد أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله».

وفي رواية: «من ولى رجلاً على عصابة، وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى

---

(١) البخاري ومسلم. (٢) رواه أحمد والبزار.
(٣) رواه أبو داود

لله منه؛ فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين»[١].

ويقول عمر بن الخطاب ﷺ: «من ولى من أمر المسلمين شيئًا فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين».

ويقول ابن تيمية -رحمه الله: يجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل.

وعلى القائد بعد أن يختار أفضل الكفاءات الموجودة في رجاله لم يبق عليه إلا توجيه هؤلاء الرجال إلى ما فيه من مصلحة المجتمع وطبقًا للأعمال المنوط بهم عملها».

وعليه أيضًا أن يستعلم هل هؤلاء الرجال أدوا ماهو مفروض ومحدد لهم أم لا فإن وجد أن اختياره لم يكن صحيحًا وجب عليه أن يصحح من اختياره، ولا يلو من نفسه طالما أنه اتخذ كافة الأسباب لهذا الاختيار، وسأل عن هذا الشخص الرجال الثقات.

اختيار الرسول ﷺ للرجال الأكفاء:

- كان رسول الله يهتم بمشاورة أصحابه، وكان أبو بكر الصديق ﷺ لديه هو أكفائهم عنده فكانت بمثابة وزيرة فكان يشاوره في جميع أموره، وكان ثانيه في الإسلام، وكان ثانيه في الغار، وكان ثانيه في العريش يوم بدر، وكان ثانيه في القبر، ولم يكن رسول الله ﷺ يقدم عليه أحد.

- روى ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله بعث بعثًا وأمر عليهم أسامة بن زيد فُطعن في إمارته، وقال: «**إن تطعنوا في إمارته؛ فقد كنتم تطعنون إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقًا للإمرة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن**

(١) رواه الحاكم.

أحب الناس بعده»(١).

وقد كان أسامة بن زيد من صغار الصحابة حيث توفى الرسول وعمره ثمان عشر سنة، وقيل: عشرين سنة، ولكن الرسول ولاه مع صغره؛ لأنه كان كفؤًا للإمرة، وإن كان يوجد في الصحابة من هو أكبر منه إلا أن الرسول أراد أن يربي أصحابه على قبول أمرة الكفء، وإن كان أصغر سنًا.

حتى أن أبا بكر بعد وفاة الرسول قرر أن ينفذ بعث أسامة إلى الروم فخرج يودعه، وهو سائر على قدميه، وأسامة راكب فأراد أسامة إما أن ينزل، ويمشي هو أيضًا أو أن يركب أبا بكر فرفض أبو بكر، وقال: «والله لا أركب، والله لا تنزل» فكان هذا إعطاء لمكانة القائد في قلوب رجاله ثم استأذنه أن يترك عمر بن الخطاب ﷺ لأنه يحتاج إلى مشورته، يستأذنه وهو خليفة المسلمين وقائدًا أعلى لأسامة بن زيد.

فحينما تولي أحدًا عزيزي القائد أعطه موضعه بين رجاله فيحترمونه ويبجلونه فتستفيد منه أكثر.

استيعاب الآخرين:

الاستيعاب هو قدرة القائد على جذب الآخرين على اختلاف عقولهم وأمزجتهم وطبقاتهم وثقافاتهم فالناس يختلفون أختلافًا نوعيًا في كل شيء في نمط التفكير، وفى الذكاء، وفى كافة القدرات الحسية والنفسية والقائد الناجح هو القادر على التأثير في الآخرين كل الآخرين، واستيعاب هؤلاء الآخرين فكريًا، وكل شيء فيهم، وبذلك يكون الاستيعاب قدرة شخصية ومؤهلات خلقية وصفات إيمانية وربانية تساعد القائد وتجعله منارة للهدى في موقعه يستقطب الناس ويلتف من حوله الناس والحقيقة أن القدرة على الاستيعاب

(١) رواه البخاري.

هي المؤهل الأول الأهم في شخصية القائد وإن لم تتوافر هذه القدرة على الاستيعاب –ولا الحد الأدنى منها– فسيصبح هذا القائد عقيم الإنتاج، وعديم الفائدة، بل وقد يصل لدرجة أنه مسيئ للإنتاج مسببًا للضرر لنفسه.

القائد وأنواع الاستيعاب للآخرين(١):

هناك نوعان من الاستيعاب:

أ- الاستيعاب الداخلي: ويعني القدرة والأهلية على الاستيعاب للأفراد وللرجال ضمن عملك حتى يتحقق حسن الاستفادة من هؤلاء في العمل حتى يتحول هؤلاء إلى طاقة موجهة، وقدرة فاعلة للعمل، وحتى يتم ذلك يمر بمرحلتين.

المرحلة الأولى: الاستيعاب المؤسسي:

في هذه المرحلة يتعين على القائد أن يقوم بتنقية أفكار الرجال من كل الرواسب الماضية سواء كانت أفكارًا أو ممارسات ويصحح لهم مفاهيم العمل بالمؤسسة وُيقوم سلوكياتهم ويهذب أحاسيسهم ومشاعرهم ويوجه رغباتهم وتطلعاتهم ويحدد ويوضح أهدافهم وغاياتهم.

هذه المرحلة من أهم المراحل على الإطلاق؛ لأنها بمثابة الأساس الذي سيبنى عليه العمل كله، ويقوم عليه البناء بأكمله، فإذا حدث استهتار في هذه المرحلة يترتب عليه خطر كبير على صعيد القائد ورجاله والمؤسسة ككل.

ومهمة القائد هنا أن يضع ويهيئ كافة الأسباب والأدوات والمناهج اللازمة لعملية الاستيعاب المؤسسي، وعليه ألا يتغاضى عن ضعف في أي فرد مهما كان أو أن يتساهل في القواعد والأسس التي تقوم عليها أعمال

(١) محمد أحمد الراشد، العوائق.

المؤسسة ولا التي يبغي نموها داخل شخصية رجل المؤسسة الجديد مع مراعاة اختلاف أسس الاستيعاب من فرد لآخر، ومن مجموعة لأخرى، ومن عمل إدارة أو قسم إلى آخر.

استيعاب الرسول ﷺ للمؤسسة الإسلامية والمسلمين:

منهج الرسول منهجًا متميزًا في تكوين الفرد بما يتناسب مع طبيعة الإسلام كمؤسسة فلم يكن يستوعب الفرد روحيًّا فقط، وإنما كذلك ماديًّا محضًا حيث نظر للإنسان كإنسان متكامل الميول والنوازع والدوافع والحاجات، وبدأ في تكوين بناء الفرد بناءً سليمًا من خلال:

١- **تغليب الإيجابية على السلبية** ← فلم تكن مؤسسة الإسلام تدعو إلى الجمود والتقوقع والرهبانية بل هي داعية نحو حياة متصلة حيث حض على الجماعة والتفاعل مع الناس حيث قال ﷺ:

☜ **«إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية؛ فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد»**(١).

☜ **«الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»**.

٢- **تغليب الاعتداء على التطرف** ← الإسلام دين يسر لا عسر لا غلو فيه ولا تطرف فيقول الرسول ﷺ: **«ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون»**.

ويقول: **«إن هذا الدين شديد فأوغلوا فيه برفق»**.

---

(١) رواه أحمد في المسند.

ويقول: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسـول الله: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة**»[١].

٣- **القليل الدائم خير من الكثير المنقطع** ← حض الرسول ﷺ على الاستمرارية في أعمال البر والخير مهما كانت ضئيلة ومستطاعة وفى مقدور الإنسان القيام بها.

☜ فعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله سُئل أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أدومها، وإن قل».

☜ وقال ﷺ: «**سدودا، وقاربوا، واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها، وإن قل**» [٢].

☜ وقال ﷺ: «**القليل الدائم خير من الكثير المنقطع**».

٤- **تحديد الأولويات العليا** ← كان من فعل الرسول في الاستيعاب تغليب الأولوية وتقديم الأهم على المهم، وإذا لم يحدث ذلك يكون الاستيعاب هش قائم على المزاح والهوى، وليس على أسس وقواعد راسخة فيتساقط ويقع في مهب أي ريح تواجهه.

وعليه فإن الرسول في منهجه نحو تكوين الفرد اعتمد أولاً على بناء العقيدة وقبل كل شيء، وجاء هذا المنهج ترجمة عملية لسياق التنزيل القرآني ومراحله، فالقرآن الكريم كان يركز بشكل دائم ومستمر على بناء العقيدة طيلة العهد المكى الذي استمر ما يقرب من ثلاثة عشر عامًا لتكون بعد ذلك

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم

سائر الفروع الأخرى من عبادات وتوجيهات وتشريعات مبنية على قاعدة عقائدية صلبة وأسس مبدئية راسخة.

وذلك واضح في القرآن مثل:

﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٨٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٥- **الاستيعاب من خلال القدوة** ← لسان الحال أوقع من لسان المقال وأثر العمل أقوى من أثر القول، وكان هذا هو حال الرسول في الاستيعاب؛ فهو المثل الأعلى، والأسوة الحسنة للمسلمين في كل زمان ومكان، وكان ترجمة حقيقية عملية للقرآن الكريم؛ فقد كان خلقه القرآن، وقد بيَّن الرسول أثر القدوة حيث قال:

☜ **«ليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي، ولكن هو ما وقر في القلب، وصدق العمل»**(١).

☜ **« ما من عبد يخطب خطبة إلا الله ﷻ سائله عنها»**(٢).

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس. (٢) رواه البيهقي.

☜ «مثل الذي يعلّم الناس الخير، وينسى نفسه مثل الفتيلة تضيئ على الناس وتحرق نفسها»[١].

☜ «إن الرجل لا يكون مؤمنًا حتى يكون قلبه مع لسانه سواء، ويكون لسانه مع قلبه سواء، ولا يخالف قوله عمله، ويأمن جاره بوائقه».

ويقول علي بن أبي طالب -كرَّم الله وجهه: «من نصب نفسه للناس إمامًا فليبدأ بتهذيب نفسه قبل تهذيب غيره، وليكن تهذيبهُ بسيرته قبل تهذيبه بلسانه، ومعلم نفسه ومهذبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم».

٦- **التكوين الكلي لا الجزئي** ← اعتنى الرسول ﷺ بكل جوانب الشخصية الإسلامية روحًا وصبرًا اهتمامًا متوازنًا من غير تفريط أو إفراط حيث تناول الجوانب الفكرية والنفسية الجسدية.

- **ففي الناحية الفكرية يقول الرسول ﷺ:**

«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة»[٢].

- « أفضل العبادة الفقه، وأفضل الدين الورع»[٣].

- **وفى الناحية النفسية، يقول الرسول ﷺ:**

- «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب؛ فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء».

- «روحوا القلوب ساعة فساعة»[٤].

- **وفي الناحية الجسدية، يقول الرسول ﷺ:**

---

(١) رواه البزار.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه الطبراني.
(٤) رواه أبو داود.

- «ما ملأ آدمي وعاء وشرًّا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه؛ فإن كان لا بدَّ فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»(١).
- «المؤمن القوي خيرًا وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»(٢).
- «نعم يا عباد الله تداووا؛ فإن الله ﷻ لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد، قالوا: ما هو؟ قال: الهرم»(٣).

٧- سلامة البيئة ← من أجل نجاح عملية الاستيعاب المؤسسي داخليًّا عمد الرسول ﷺ إلى الاهتمام بسلامة البيئة حيث لها دورها الفعال في تكوين الفرد المسلم، وكلما كانت هذه البيئة نظيفة خالية من عوامل الفساد درأ الفساد وساعدت الفرد على الاستقامة وسلك سبيل الصالحين، ويبدأ تكوين الفرد في بيئة سليمة من:

- الأسرة فالأبوان مسئولان عن إشاعة هذا الجو الفطري السليم للفرد فيقول الرسول ﷺ: «الرجل راعٍ في أهله والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها»(٤).

ويقول أيضًا: «أدبوا أولادكم، وأحسنوا أدبهم» (٥).

- اختيار الأصحاب والأصدقاء: حذَّر النبي من مخالط الأشرار والمنحرفين؛ فقال ﷺ: «المرء على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل»(٦).

ويقول: «المرء مع من أحب، وله ما اكتسب» (٧).

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه أحمد والنسائي.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) رواه ابن ماجه.
(٦) رواه الترمذي.
(٧) رواه الترمذي.

☜ تنظيف وتنقية المجتمع من رواسبه؛ فيقول ﷺ:

- «**إن القوم إذا رأوا المنكر، فلم يغيروه عمهم الله بعقاب**»[١].

- «**من رأى منكم منكرًا؛ فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[٢].

٨- باستخدام الثواب والعقاب ← لا بدَّ من الجزاء؛ فيقول تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾، ولكن استخدام العقوبة يتم في آخر مراحل الاستيعاب الداخلي، ولا بدَّ من اتباع الأولويات، ومراعاة الفوارق النسبية بين فرد وآخر في المؤسسة حيث لا بدَّ من:

- بداية التوجيه.
- ثم الملاطفة بالامتناع عن الخطأ.
- ثم بالإشارة والتنبيه.
- ثم بالتوبيخ.
- ثم بالمقاطعة.
- ثم أخيرًا بالعقوبة الرادعة.

ويقول الرسول ﷺ:

- «**مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين، وأضربوهم عليها، وهم أبناء عشر**».

---

(١) رواه النسائي.

(٢) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي.

- «من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد في الرابعة فاقتلوه»[(١)].

المرحلة الثانية: الاستيعاب الديناميكي العملي:

وهو يعني في هذه المرحلة استيعاب القائد للأفراد والرجال عمليًا للشئون والأصول والقواعد المتفق عليها في العمل، وذلك حتى يصبح هذا الفرد طاقة مستغلة غير مهدرة له أثر وشأن وفاعلية في مجتمع عمله، وحتى يتمكن القائد من استيعاب رجاله ديناميكيًا وعمليًا لا بدَّ من:

١- النجاح بداية في عملية الاستيعاب المؤسسي للأفراد، وإلا أصبح الاستيعاب الديناميكي عملية غير مضمونة النتائج والعواقب.

٢- أن يكون هؤلاء الرجال قد وصلوا، واكتملت لديهم الطاقات والإمكانات اللازمة لعملية الاستيعاب حيث القدرات التنظيمية والتخطيطية والفكرية و....

٣- أن يعرف حقيقة رجاله هذه المعرفة، فيعرف طاقاتهم، وميولهم، ومواطن القوة والضعف لديهم، وبالتالي يمكن له أن يحدد مهامهم ومسئولياتهم.

٤- أن يوظف كافة الرجال في العمل وليس عدد أو نفر منهم، وأن يجد عمل لكل فرد مهما كان بسيطًا ومحدودًا، وذلك حتى يتجنب الصراع والفتن والنزاع الناجم عن تعطل البعض عن العمل.

٥- أن يتم العمل بشكل مؤسسي جماعي، وليس بشكل فردي، وعلى القائد ألا يربط قيام العمل بأفراد، وإنما بأجهزة.

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود.

وعلى القائد هنا أن:

- يستوعب استيعاب كامل لأهداف المؤسسة ووسائلها حتى لا ينحرف عن الخطة والهدف المطلوب.
- يستوعب استيعاب كامل للناحية التنظيمية في المؤسسة وطبيعتها حتى يعرف حقوقه وواجباته.
- يستوعب استيعاب كامل لكافة الأمور التي تدور من حوله داخليًّا وخارجيًّا.

- الاستيعاب الخارجي: ويعني استيعاب من هم خارج المؤسسة، ويتم التعامل معهم بطريقة أو بأخرى، وهي عملية شاقة إذ كيف يتسنى للقائد أن يجعل الآخرين يثقون به، ويتأثرون بسلوكه، ومن ثم يرتبطون، ويعملون معه بل ويضحون، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم أحيانًا.

ومن أبرز الصفات المتطلبات المطلوبة حتى يتم استيعاب خارجي متميز للآخرين، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة – ما يلي:

١- الفقه في دين الله ثم في عمله الذي يتقنه سياسيًّا كان أو محاميًّا أو مدرسًا... فلن يسود الناس إلا من هو متميزًا في عمله عالمًا به أشد العلم، وهل وجدنا قائدًا يقود جماعة أو نقابيًّا يقود نقابة جاهلاً لأسس العمل النقابي وكيفية أدائه؟

٢- القدوة الحسنة فالناس لا يتأثرون بلسان المقال بقدر ما يتأثرون بلسان الحال.

٣- الصبر وعدم الضيق والتبرم مع التوجية الناعم ولفت النظر.

٤- الحلم والرفق بالآخرين فالإنسان يمقت العنف وأصحابه وينفر من القسوة وأهلها.

٥- معالجة الأمور باليسر والتيسير وليس بالعسر والتعسير.

٦- التواضع والبعد عن الكبر حتى لا يشكل جدارًا وحاجزًا بين القائد والناس.

٧- طلاقة الوجه وطيب الكلام.

٨- الكرم والإنفاق وعدم البخل.

٩- قضاء حوائج الناس والقيام بخدمتهم.

ولنا في رسول الله ﷺ في كل ما سبق أسوة حسنة.

❊ ❊ ❊

أبو بكر الصديق
قائدًا



أبو بكر الصديق... قائدًا

يقول الله تعالى:

﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠].

توفى الرسول ﷺ بعد أن بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وأسس الدولة الإسلامية، والتي دستورها القرآن، ومنهاجها السنة النبوية الشريفة، وتولى الراية من بعده صاحبه أبو بكر الصديق ﷺ بعد أن وعى مبادئ الإدارة من الرسول ﷺ فكان قائدًا صديقًا.

كان أبو بكر الصديق، وكانت قيادتة النادرة.

الإيمان:

لا شكَّ أن هناك المواقف العديدة التي تبرز لنا إيمان أبو بكر الصديق، وسنختار هنا موقفين فقط ليدلان على ذلك؛ ففى ساعات العسرة وخلال الأزمات العظمى كان إيمان هذا المؤمن يملأ الزمان.

والمكان الأول:

في السنة الخامسة من الهجرة غادر الرسول المدينة وأصحابه والمسلمين قاصدين مكة ليعتمروا وساق الهدي أمامه لتعلم قريش أنه جاء زائرًا للبيت الحرام، ولم يأت مقاتلاً، ولكن سبق الأمر لقريش فحشدت جموعها وصممت على منع الرسول وصحبه من دخول مكة وزيارة الكعبة.

ونزل الرسول وأصحابه عند مهبط الحديبية، وأوفد إلى قريش «عثمان بن عفان» ليشرح لها سبب مجيئه، وأوفدت قريش «سُهيل بن عمرو» ليفاوض

الرسول في الأمر، وانتهت المفاوضة إلى عقد ميثاق، يعود المسلمون بمقتضاه إلى المدينة مُرجئين زيارة البيت إلى العام القادم، كما يتضمن الميثاق التزام المسلمين بأن يردوا إلى قريش من يأتيهم مسلمًا، ولا ترد قريش إلى المسلمين من يعود إليها مرتدا..

ولم يكد الكاتب ينتهي من كتابة الميثاق، ولم يمهره الرسول بخاتم النبوة بعد، حتى فوجئ المسلمون بفتى يأتيهم صارخًا مستميًا، يرسف في قيوده، ويجرجر أغلاله المثبتة في حجارة غليظة كي تعوقه عن المسير.

كان هذا الفتى «أبا جندل» وهو ابن «سهيل بن عمرو» مندوب قريش.. هذا الذي يتفاوض مع رسول الله، وفاض قلب الرسول من الأسى لمنظر «أبي جندل» الذي ارتفع صوته مستغيثًا برسول الله.

وقال الرسول لسهيل:

- اترك لنا «جندلاً» فإنا لم ننجز العهد بعد..

وما كان لسهيل أن يترك ولده يذهب إلى الإسلام، وهو واحد من زعماء قريش، فأصر على تسليمه، أو ينقض العهد كله... وتكون الحرب.

وصاح أبو جندل:

- يا معشر المسلمين، أتتركوني أرد إلى المشركين، وقد جئت مسلمًا..؟

- ألا تبصرون ما على جسدي من عذاب في الله..؟

وناداه الرسول بكلمات آسية:

- اصبر.. وسيجعل الله لك مخرجًا.

كان هذا المشهد أدهى وأكبر من أن تحتمله أعصاب المسلمين؛ فكيف يرجعون دون أن يزوروا البيت الحرام؟!

وكيف يسلمون للعذاب مسلمًا جاء يستصرخ بهم، ويستغيث...؟

وهنا أبرى «عمر بن الخطاب» ﷺ، وذهب إلى الرسول يسأله، ويناقشه..

- يا نبي الله، ألست نبي الله حقًّا..؟

وأجابه الرسول: بلى، **يا عمر**..

قال: فلِمَ نعط الدنية في ديننا..؟

أجابه الرسول:

- **يا عمر، إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري**..

قال عمر:

أو لم تعدنا، يا رسول الله، بأننا سنأتي البيت ونطوف به..؟؟

قال الرسول: **أوقلت هذا العام، يا عمر**..؟؟

قال عمر: لا..

قال النبي: **فإنك آتية ومطوف به**.

ولكن ما شأن أبي بكر بهذا كله..؟؟

إن أبا بكر هو أستاذ فن الإيمان في ذلك اليوم العصيب، كما سيظل أستاذه في كل حين..

ينصرف عمر.. من بين يدي رسول الله، وهو لا يزال يعاني مشاعره القلقة.. ولقد رده الأدب مع الرسول عن الاسترسال في المناقشة والإلحاح في السؤال، بيد أنه يحس في نفسه حاجة إلى مزيد من الوضوح، فلم يجد أفضل من أبي بكر..

ومضى يجتاز صفوف المسلمين وحلقاتهم حتى لمحه هناك، في أقصى الجمع تغمره طمأنينة عجيبة.

ألقى عليه ذات الأسئلة التي ألقاها على رسول الله منذ لحظات.

وتلقى من أبي بكر ذات الإجابات التي سمعها من رسول الله.

وانتهى الحوار بينهما.

يقول عمر:

- « فأخذ أبو بكر بيدي، وجذبها في قوة، وقال لي:

«أيها الرجل، إنه رسول الله، ولن يعصيه، وإن الله ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق..

- «فأنزل الله السكينة على قلبي، وعلمت أنه الحق».

هذا هو إيمان أبي بكر الذي لا يتلعثم، ولا يبحث عن نفسه أبدًا.. الإيمان الذي لا تأخذه سنة، ولا تقحمه خلجة شك في سر أو علن..

الثاني:

يوم تلفت المسلمون فجأة، فلم يروا بينهم «الأب» الذي كان يملأ حياتهم حنانًا، و«النور» الذي كان يملأ وجودهم ضياء.

يومئذ تكشف جوهر هذا الإيمان.

إيمان رجل إلهي، أعطى الله موثقة مع محمد، فإذا اختفى محمد بالموت، فإن هذا الإيمان لا يضعف، بل يتفوق.. ولا يجزع، بل يحتشد.. ولا ينوء تحت وقع الضربة، بل ينهض رشيدًا ثابتًا، ليحمل مسئولياته وتبعاته..!!

وهكذا وقف «أبو بكر» أو بتعبير آخر: وقف «إيمان» أبي بكر يوم وفاة الرسول وقفة ما كان يقدر عليها سواه.

يومئذ، وبعد أن صلى بالمسلمين، عاد الرسول لحجرته واستاذنه في أن

يغيب عنه بعض الوقت، وذهب إلى داره بالعالية في أقصى المدينة.

ومضى وقت ليس بالطويل قضى فيه بعض حاجات أهله.

وإذا هو يتهيأ للعودة إلى رسول الله إذا الناعي يقطع الأرض إليه وثبًا، ويلقي عليه النبأ الذي يهد الجبال.

حمد واسترجع، واختلطت دموعه الهاطلة بكلماته وهو يقول: «إنا لله، وإنا إليه راجعون».

وواصل السير رابط الجأش، قوي الجلد إلى بيت رسول الله.

لم يكد يقترب من المسجد حتى رأى الفاجعة الكبرى.. لقد فقد المسلمون صوابهم.!! حتى ابن الخطاب القوي الراسخ، وقف بين الناس شاهرًا سيفه، صائحًا:

- «إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله مات، وإنه والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران..

«والله ليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال زعموا أنه مات..

«ألا، لا أسمع أحدًا يقول: إن رسول الله مات، إلا فلقت هامته بسيفي هذا»...!!

تلك كانت حال عمر؛ فكيف كانت حال سواه..؟؟

لقد كان موت الرسول مفاجأة تامة للمسلمين على الرغم من سابق مرضه كأنهم ما تصوروا أبدًا أن يقال لهم ذات يوم: مات الرسول..

فلما أنفذ الله أمره، واختار لجواره رسوله، وكتب على الناس أن يسمعوا في لجج من الهول والأسى كلمة الموت مقترنة بكلمة الرسول، طار منهم صوابهم.

ولقد كان أبو بكر أحق الناس بأكبر قدر من الأسى، والذهول.. فهو

«صديق» العمر لمحمد منذ طفولته الحياة وشبابها.. وهو «صديقه» منذ أول أيام الوحي والدين.. وهو قد أحبه حبًّا، وآخاه مؤاخاة تجعل الصبر على فراقة فوق طاقة البشر.

لكن أبا بكر كان يبدو وكأنه لا تحركه طاقات بشرية، بل طاقة إلهية حلت فيه..!!

وأقبل أبو بكر، يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء، ودخل على رسول الله ﷺ، وهو مسجى في ناحية البيت، عليه برد حبرة، فكشف عن وجهه، ثم قبله وقال:

بأبي أنت وأمي، طبت حيًّا وميتًا- إن الموتة التي كتبها الله عليك قد متها..

«ثم رد الثوب على وجه الرسول..

«ثم خرج، وعمر يكلم الناس فدعاه للسكوت، فأبى عمر إلا أن يسترسل في قوله..

«فلما رآه أبو بكر لا ينصت. أقبل على الناس يكلمهم..

«فلما سمعوه أقبلوا عليه منصتين، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. .

فوالله لكأن الناس يسمعون هذه الآية لأول مرة..

وكان إيمان أبو بكر الذي يشبه عين الصقر قد وقع في أقل من لمح البصر على كلمة السر التي سترد الهمم التي فجعت في وفاة الرسول إلى وعيها لتستقبل التبعات القادمة وحتى تعبر أزمة الموت بسلام.

العلـــــم:

كان أبو بكر عالمًا بأمور دينه أشد العلم حريصًا عليه فعن ابن سيرين قال: إن أبا بكر وعمر –رضي الله عنهما- كانا يعلمان الناس الإسلام: تعبد الله، ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، والتى افترض الله عليك لوقتها، فإن في تفرطيها (أي: التقصير فيها) الهلكة، وتؤدي الزكاة طيبة بها نفسك، وتصوم رمضان وتسمع وتطع لمن ولى الأمر.

كما كان أبو بكر عالمًا بأنساب العرب ويعرف محامد ومثالب القبائل العربية وكان يساعد النبي في التعرف على القبائل ودعوتهم للإسلام وحينما كان رسول الله يعرض نفسه على القبائل تقدم أبو بكر وسلم وقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة؟

قال: وأى ربيعة أنتم؟ أمن هامامتها أومن لهازمها.

قالوا: من هامتها العظمى قال: وأى هامتها العظمى أنتم؟

قالوا: من ذهل الأكبر.

قال: فمنكم عوف بن محلم الذي يقال فيه: لا حر بوادي عوف؟

قالوا: لا، قال: فمنكم المزدلف الحر صاحب العمامة الفردة؟

قالوا: لا، قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو القري ومنتهى الأحياء؟

قالوا: لا، قال: فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار، ومانع الجار؟

قالو: لا، قال: فمنكم الحوافزان قاتل الملوك وسالب أنفسها؟

قالوا: لا، قال: فمنكم أصهار الملوك في كفدة؟

قالوا: لا، قال: فمنكم أصهار الملوك من لخم؟

قالوا: لا، قال (أبو بكر): فلستم ذهلا الأكبر إنما أنتم ذهل الأصغر.

وقد اشتهر بهذا النوع من العلم حتى أن المشركين كانوا ينسبون إليه تلقين شعراء المسلمين في ردهم على ما جاء بهجاء شعراء المشركين.

وقد جاء في الحديث أنه ﷺ قال: «**كأني أُعطيت عُسًّا مملوءًا لبنًا فشربت منه حتى امتلأت فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم، ففضلت منها فضلة فأعطيتها أبا بكر**، قالوا: يا رسول الله هذا علم أعطاكه الله حتى إذا امتلأت فضلت فضلة أعطيتها أبا بكر، قال ﷺ: **قد أصبتم**».

العس: الإناء أو القدح الكبير.

الرحمة:

أعطاه الرسول ﷺ حقه حين قال عنه: «**أرحم أمتي بأمتي أبي بكر**» كان يحمل قلبًا مشحوذ الإحساس بكل ألم إنساني كان في بدء إسلامه لا يطيق أن يرى مؤمنًا يتعذب، وكانت نفسه تنوء بالألم حين يكون أولئك المعذبون رقيقًا، ومن ثم وضع ثروته في سبيل تحريرهم وحررهم جميعًا بماله: بلال، عامر بن فهيرة، زبيدة، أم عبس النهدية وابنتها، جارية ابن عمرو بن مؤمل، وغير هؤلاء.

وحين افتدى بلالاً قاله سيده -تحقيرًا من شأن بلال: «خذ فلو أبيت إلا أوقية واحدة لبعتكه بها»؛ فأجابه أبو بكر قائلاً: والله لو أبيتم أنتم إلا مائة لدفعتها»، وكان الناس في مكة تعرف أن أبا بكر يبذل في سبيل تحرير العبيد من ماله بذل السماح فيعمد بعضهم حين تنتابه أزمة مالية إلى إنزال العذاب بعبده كي يسارع أبو بكر لنجدته ويتقاضاه السيد ثمنًا يدفع به ضائقته وأزمته.

لماذا؟ لأنه رحيم أواب.

وله رحمة أخرى بولده عبد الله الذي كان يأتيه بأخبار قريش حين هاجر مع النبي إلى المدينة وكانت له زوجة تسمى عاتكة بنت زيد، وكانت عاتكة من أشهر نساء عصرها بالجمال والعقل والفطنة ففتن بها عبد الله، وشغل بها عن مصالحه

وشئونه فنصح له أبوه بطلاقها فطلقتها، فما زال حتى ندم، وألح به الندم على فراقها، وأنشد فيها شعرًا:

أعاتك لا أنساك ما ذر شارق　　وما لاح نجم في السماء محلق
أعاتك قلبي كل يوم وليلة　　لديك بما تخفي النفوس معلق
لها خلق جزل ورأي ومنصب　　وخلق سوى في الحياء مصدق
ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها　　ولا مثلها في غير شيء تطلق

حتى رحمه أبوه وأمره بمراجعتها فراجعها.

العـــدل:

نوى أبو بكر الصديق أن يحكم بالعدل بين الناس والعدل في أمور المال العام حتى يصون كافة عملياته من أي انحراف أو مخالفات سواء بمعرفة الممولين أو من يديرون أموره، فبدون - العدالة تهتز العلاقة بين الحاكم والمحكوم وفي أمور المال العام تهتز العلاقة بين بيت المال والممولين اهتزازًا يؤدي إلى وقوع الظلم على أحدهما أو كليهما.

ومن أمثلة العدل بين الناس ما أخرجه البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أبا بكر الصديق ﷺ قام يوم جمعة، فقال: إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل تقسم، ولا يدخل علينا أحدًا إلا بإذن، فقالت امراة لزوجها: خذ هذا الخطام لعل الله يرزقنا جملاً فأتى الرجل فوجد أبا بكر وعمر-رضي الله عنهما- قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما فالتفت أبو بكر، فقال: ما أدخلك علينا؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام، وقال: استقد، فقال له عمر: والله لا يستقيد لا تجعلها سنة.

قال أبو بكر: فمن لي من الله يوم القيامة؟ فقال عمر: أرضى.

فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها وقطيفة (وهو كساء له خمل) وخمة دنانير فأرضاه بها.

ومن ناحية المال العام كان عدل أبو بكر يخشى من الظلم من جانب المولين للمال العام في المظاهر الآتية:

- عدم أداء المسلمين للزكاة التي فرضها الله.
- إنقاص ما يؤديه المسلمون من زكاة لبيت المال عن الواجب أدائه كاملاً.
- ارتكاب الغلول في الغنائم.
- عدم أداء أهل الكتاب الجزية.
- مخالفة أهل الكتاب شروط الصلح التي تعقدها معهم دولة الإسلام وعدم تطبيق نصوصها خاصة شرط الجزية وأدائها لبيت المال.

ومن جانب بيت المال وعلاقته بالمولين كان أبو بكر يعدل خشية أن يتم:

- المغالاة في تقدير قيمة ما يستحق على المسلمين من زكاة.
- أخذ زكاة الأنعام من أجودها لا من أواسطها.
- تحديد وعاء الزكاة للزروع دون أن يترك حق المتصدق كما أمر الرسول ﷺ.
- المغالاة في قيمة الجزية المفروضة.
- أخذ الجزية من أهل الكتاب على الرغم من إسلامهم.
- المغالاة في تحديد فراح على الأرض فلا تطيقه.

من أجل ذلك أنشأ أبو بكر ديوانين للعطاء والخراج الأول ينظم النفقات العامة للدولة، والثاني تحصيل الإيرادات العامة.

الصبر وتحمل الشدائد:

تحمل أبو بكر الكثير من الأذى في الدعوة إلى الله؛ فعن عائشة قالت: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً - ألح أبو بكر على رسول الله في الظهور فقال: «يا أبا بكر إنا قليل» فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيره وقام أبو بكر في الناس خطيبًا ورسول الله جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا ووطئ أبو بكر وضرب ضربًا شديدًا ودنا منه عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ونزا على[1] بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته ثم رجع بنو تيم فدخلوا المسجد، وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبوه أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه - أي: لاموه - ثم قالوا لأمة أم الخير: انظري أن تطعميه شيئًا أو تسقين إياه فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، فقالت: ما أعرف أبا بكر، ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا مريضًا، فدنت أم جميل، وأعلنت بالصياح، وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني أرجو أن ينتقم الله لك منهم.

---

(١) نزا عليه: أي وثب عليه.

قال: فما فعل رسول الله؟ قالت: هذه أمك تسمع.

قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح.

قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم.

قال: فإن لله عليَّ ألا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا أو آتي رسول الله فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل – أي: سكتت– وسكن الناس خرجنا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله فأكب عليه رسول الله، فقبله وأكب عليه المسلمون، ورق له رسول الله رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي..

ألم يكن أبو بكر في غنى عن هذا البلاء كله، لا إنها دعوة الحق وعليه الصبر وتحمل الشدائد.

الشـــورى:

كان أبو بكر الصديق ﷺ إذا نزل به أمر من يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار ودعا عمر وعثمان وعليًّا وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومن أبرز مشاورات أبو بكر ونزوله على رأي من استشارهم ما وقع بين أبي بكر وعمر في إقطاع أرض لبعض الصحابة حيث جاء رجلان إلى أبي بكر من الذين كان الرسول ﷺ يتألف قلوبهم فقالا له: يا خليفة رسول الله عندنا أرض سبخة ليس فيها كلأ، ولا ينتفع بها فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها أو نزرعها ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم، فقال أبو بكر لمن حوله: ما رأيكم فيما قالا؟

قالوا: إن كانت أرضا سبخة لامنفعه بها فنرى أن تقطعها هذين لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم، فأقطعهما الصديق إياها وكتب لهما بذلك كتابًا وأشهد عمر وهو ليس في القوم فانطلق الرجلان إلى عمر بن الخطاب ليشهداه فوجداه فلما

سمعا عمر ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل عليه فمحاه فتذمرا، وقالا له مقاله سيئة، فقال لهما: إن رسول الله كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل ذليل وإن الله ﷻ قد أعز الإسلام اذهبا فاعملا واجهدا جهدكما لا رعى الله جهدكما إن رغبتما (أي: عن العمل) فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمران.

فقالا يستفزانه: والله ما ندري من الخليفة أنت أم عمر؟

قال الصديق: بل هو لو كان شاء.

فجاء عمر وهو مغضب حتى وقف على أبي بكر، فقال: يا خليفة رسول الله أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين أرض لك خاصة أم بين المسلمين عامة؟

فقال الصديق: بل هي للمسلمين عامة.

قال عمر: فما حملك أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين.

قال الصديق: استشرت هؤلاء الذين حولي فأشاروا على بذلك.

قال عمر: فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك أفكل المسلمين أوسعتهم شورة ورضا؟.

قال أبو بكر: قد قلت لك: إنك أقوى على هذا الأمر مني، ولكنك غلبتني.

وأقر الصديق عمر على اجتهاده.

وعن سهم بن منجاب قال: خرج الأقرع والزبرقان إلى أبي بكر فقالا: اجعل لنا خراج البحرين، ونضمن لك ألا يرجع من قومنا أحد ففعل، وكتب الكتاب، وكان الذي يختلف بينهم طلحة بن عبيد الله، وأشهد شهودًا منهم عمر فلما أتى عمر بالكتاب، ونظر فيه لم يشهد ثم قال: ولا كرامة ثم فرق الكتاب ومحاه فغضب طلحة وأتى أبا بكر فقال: أنت الأمير أم عمر؟ فقال: عمر غير أن الطاعة لي فسكت.

وهكذا كان الصديق يستشير قبل اتخاذ القرار.

المروءة:

كان أبو بكر الصديق أليفًا ودودًا حسن المعاشرة، وكان مطبوعًا على أفضل الصفات فلم يتعال على أحد قط في جاهليته ولا في إسلامه وكان في خلافته أظهر تواضعًا من قبل ولايته الخلافة فإذا مدحه مادح قال: اللهم أنت أعلم مني بنفسي، وإذا سقط منه خطام ناقته وهو راكب نزل منها ليأخذه، ولم يأمر أحدًا بمناولته إياه، ولم يكن تألفه الناس محض مجاملة باللسان ولكنها كانت ألفه النجدة والكرم والسخاء فكان كما يقول ابن الدغنة لقريش عندما هم أبو بكر أن يهجر بلده: أتخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق».

وكانت من مرءوته أنه لم يشرب الخمر في الجاهلية تمامًا وسئل في ذلك فقال: كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي فإن من شرب الخمر كان مضيعًا في عقله ومروءته.

وكان من مروءته أن يتقى كل ما ويورده موارد الشبهات وكان يتحاش السقط من الكلام فلا يتكلم إلا أن يدعوه داع إلى قوله خير فيقولها إذن وبصدق في قوله وكان دائمًا ما يوصي رجاله عند التكليف بالأعمال» إذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضًا».

كتمان السر:

كان من صفات الصديق كتمان للأسرار خاصة أسرار الرسول والدليل على ذلك بعد أن تأيمت حفصة بن عمر بن الخطاب ﷺ فعرضها على عثمان ابن عفان ﷺ ليتزوجها.

فقال عثمان: سأنظر في أمري، وبعد أيام لقى عمر وأخبره أنه لا يريد

الزواج في ذلك الوقت فعرضها عمر على أبي بكر ﷺ فلم يرجع أبو بكر إلى عمر بالرأي.

ثم خطبها الرسول ﷺ وبعدها لقى أبو بكر عمر فقال له: لقد وجدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليك بشيء، فقال عمر: نعم.

قال أبو بكر: لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت على إلا أنني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله، ولو تركها رسول الله قبلتها.

الوفاء بالعهد:

كان الصديق وفيًّا بوعده وعهده فقد خطب الرسول ابنته عائشة حين ذكرتها له خولة بنت حكيم، وكان المطعم بن عدي قد خطبها من أبي بكر قبل ذلك لابنه؛ فقال أبو بكر لزوجه أم رومان: أن المطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه والله ما أخلف أبو بكر وعدًا قط، ثم أتى أبو بكر مطعمًا ومعه امرأته فسأله: ما تقول في أمر هذه الجارية؟

فأقبل مطعم على امرأته وسألها: ما تقولين؟

فأقبلت على أبي بكر وقالت: لعلنا إن أنكحنا هذا الصبى إليه تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه.

فلم يجبيها أبو بكر وسأل المطعم بن عدي: ما تقول أنت؟

فقال مطعم: إنها تقول ما تسمع.

فلما رأي أبو بكر أن الزوج والزوجة تحللا من خطبتها لعائشة بما يخشيان على ابنهما من أن يدخله أبو بكر الإسلام تحلل أبو بكر عند ذلك من وعده ولم يتحلل منه قبل ذلك على ما في نسب الرسول من شرف لا يعلوه شرف وما في

قلبه من محبة لا تفوقها محبة.

الجرأة في الحق:

لم يكن أبا بكر عادلاً فقط وإنما كان جرئيًا في الحق حتى ولو كان أعز الناس إليه بنت رفيقه وصاحبه بنت رسول الله ﷺ.

ذلك أن السيدة فاطمة بنت رسول الله، والعباس عم رسول الله، ذهبا إليه يسألانه حقهما في قطعة أرض صغيرة كان الرسول قد أصابها في بعض الفيء، وكان عليه السلام يعطى السيدة فاطمة وبعض أهله جزءًا من نتاجها، ثم يقسم الباقي بين فقراء أصحابه.

والآن، بعد وفاته عليه السلام ذهبت فاطمة إلى خليفة الرسول تسأله هذه القطعة من الأرض باعتبارها ميراث أبيها عليه السلام.

قال أبو بكر لها وللعباس:

- «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**، وإني والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته، فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ»..

إن أبا بكر يعلم أن أولى الناس بالرعاية -في الحق- هي بنت رسول الله، ويعلم كم كان الرسول يحبها ويؤثرها..

ويعلم مدى حاجتها وزوجها وأولادها إلى هذه القطعة الصغيرة من الأرض..

وأبو بكر يؤثر أن يركب الصعب في غبطة، على أن يقول لابنة الرسول: لا..

ومع هذا؟ فقد قالها..!!

ولم تكد السيدة فاطمة -رضى الله عنها- تسمع جواب أبي بكر على

مسألتها حتى اكتسى وجهها بالأسى والألم..

والصديق يعلم أنها أسرع الناس إلى طاعة رسول الله، وأنها لا تخـالف قـط عن أمره.. ولكن قد يخامرها الشك في أن الرسول قد قال هذا الحديث، وشـرع هذا الحكم. ومن ثم أرسل إلى عمر، وطلحة، والزبير، وسعد بـن أبـي وقـاص، وعبد الرحمن بن عوف، وسألهم أمامها:

«نشدتكم بالذي تقوم السماء والأرض بأمره، ألم تعلموا أن رسول الله قال: نحن لا نورث، ما تركنا صدقة»؟؟

وأدلت فاطمة بحجة جديدة، فقالت للخليفة: إنك تعلم أن الرسول كان قد وهبها لي في حياته، فهي لي إذن بحق الهبة، لا بحق الإرث..

قال أبو بكر: أجل أعلم.. ولكني رأيته يقسمها بين الفقراء والمساكين وابن السـبيل بعد أن يعطيكم منها ما يكفيكم.. وإذن فقد أراد أن يكون فيها حق دائم للفقراء..

قالت فاطمة: دعها تكن في أيدينا، ونجري فيها على مـا كانـت تجـري عليـه وهي في يد رسول الله..

قال أبو بكر: لست أرى ذلك، فأنا ولي المؤمنين من بعد رسولهم، وأنا أحق بذلك منكما – أضعها في الموضع الذي كان النبي يضعها فيه....!!!.

هكذا حتى وإن كانت بنت رسول الله ﷺ.

ويقول محمد بن إسحاق عن عكرمة أنه حدثه عن ابـن عبـاس قـال: دخـل أبو بكر الصديق بيت المدراس فوجد من اليهود ناسا كـثيرة قـد اجتمعـوا علـى رجل منهم يقال له: فنحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر يقال له: أشيع، فقال له أبو بكر: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسـلم والله إنـك لـتعلم أن محمدًا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونـه مكتوبًـا عنـدكم في

التوارة والإنجيل، فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة إلى من نفر وأنه إلينا لفقير ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيًا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا، ولو كان غنيًا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر ﷺ فضرب وجه فنحاص ضربًا شديدًا، وقال: والذى نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين.

فذهب فنحاص إلى رسول الله وقال: يا محمد أبصر ما صنع فيَّ صاحبك.

فقال الرسول: ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر.

فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيمًا يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه.

فجحد فنحاص ذلك وقال: ما قلت ذلك.

فنزلت آية: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [آل عمران: ١٨١، ١٨٢].

هكذا الجرأة في الحق والغضب لله ﷻ.

الصدق:

من يتكلم عن صدق القائد الصديق، به عرف الصدق والصدق عُرف به.

حينما كان عائدًا من قافلة تجارية بالشام وعند مدخل مكة قابلته جماعة صغيرة يتقدمها أبو جهل وتعانقوا جميعًا وقال أبو جهل: أوحدثوك عن صاحبك يا عتيق.

أجابه أبو بكر: تعني محمد الأمين، قال أبو جهل: نعم أعني يتيم بني هاشم.

فقال أبو بكر: ماذا قال؟ قال أبو جهل: يقول إن في السماء إلهًا أرسله إلينا لنعبده ونذر ما كان يعبد آباؤنا.

قال أبو بكر: أو قال: إن الله أوحى إليه، قال أبو جهل: أجل.

ألم يقل كيف كلَّمه ربه؟ قال: إن جبريل أتاه في غار حراء.

وتألق وجه أبي بكر كأن الشمس قد أختصته آنئذ بكل ضيائها وسناها، وقال في هدوء مجلجل: إن كان قال فقد صدق.

ودارت الأرض بأبي جهل وتلعثمت خطواته وكاد جسمه يتهاوى وتناقل الناس كلمة أبي بكر من واحد إلى آخر حتى صار لهم بها دوي كدوي النحل.

وفى ضحا يوم من الأيام كان أبو جهل مارًا بالكعبة فأبصر الرسول جالسًا وحده في المسجد الحرام صامتًا مفكرًا فأراد أن يسخر منه فاقترب منه وسأله: أولم يأتك الليلة شيء جديد، قال الرسول: نعم أسري بي الليلة إلى بيت المقدس بالشام.

فقال أبو جهل مستنكرًا: وأصبحت بين أظهرنا، قال الرسول: نعم.

فجن جنونه أبو جهل واستنفر الناس جميعًا وقريش وقص عليهم الأمر وذهبوا إلى أبي بكر، وقال له ما حدث للرسول.

فأجابهم وقد تهلل وجهه: هل قال محمد ذلك؟ إن كان قال فقد صدق إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء يأتيه في غدوه وروحه، ثم ذهب إلى الرسول حيث يجلس وانطرح عليه يعانقه، ويقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والله إنك لصادق، والله إنك لصادق.

وصادق أنت يا أبا بكر.

إعداد الصف الثاني من القيادة:

لم يكن أبا بكر بالرجل الذي لا يدرك حجم المسئولية الملقاه على عاتقه فما باله لو لاقى الله فمن يحل محله بداية اتخذ عمر بن الخطاب يستشيره في كل أموره ولاه القضاء ثم أصبح وزيرًا له ولكن لماذا عمر الرجل الثاني في الدولة؟

لأنه: أعز الله به الإسلام، شديد في الحق، من الملهمين، محدث الأمة، من المبشرين بالجنة، ما لقيه الشيطان سالكًا فجًّا قط إلا سلك فجًّا غير فجه.

هذه الصفات تجعله من الأكفاء المميزين القادرين على المشاركة في أمور تسيير سياسة الدولة مع أبو بكر وتمكنه بالتبعية من الوزارة حتى إذا مرض أبو بكر مرضه الذي توفى به حتى دعا عبد الرحمن بن عوف: فقال: أخبرني عن عمر.

فقال: يا خليفة رسول الله هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة.

فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقًا، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئًا.

قال: نعم ثم دعا أبو بكر عثمان بن عفان وسأله عن عمر أيضًا.

قال عثمان: أنت أخبر به واللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأن ليس فينا مثله.

قال أبو بكر: رحمك الله يا أبا عبد الله لا تذكر مما ذكرت لك شيئًا، قال عثمان: أفعل، وأشرف أبو بكر على الناس، وقال: أترضون بمن استخلف عليكم؟ فإني والله ما ألوت من جهد الرأي ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا فقالوا: سمعنا وأطعنا.

هكذا كان أبو بكر يعرف عمر حق المعرفة وما ذلك يسأل عنه بعد أن إكتسى عمر بالخبرة الإدارية اللازمة لقيادة أمة الإسلام.

القدوة الحسنة:

كان أبو بكر قدوة لكل من بعده من القادة فكان يتحرى الحلال في كل شيء خاصة في مطعمه، وهي صفة تقود من يتولى أمر دولة وأمور ماليتها إلى التنزه عن النيل من المال العام بطرق مباشرة أو غير مباشرة وتوجيههم إلى التعفف عن أية مزايا أو منافع أو عوائد تأتيهم بغير حق من بيت مال المسلمين وإذا كان رئيس الدولة يتحرى الحلال في المال العام كان قدوة طيبة وصاحب سنة حسنة يقتدى بها العاملون بالدولة، وتشعر بها الرعية فتستقيم أمور المال العالم وعملياته بين الحكام والمحكومين.

يقول الإمام البخاري في صحيحه: أنه كان لخليفة رسول الله غلام جاءه يومًا بشيء فأكل منه، ولما فرغ من أكله قال له الغلام: أتدري ما هذا يا خليفة رسول الله؟

قال أبو بكر: ما هو؟ قال الغلام: إني كنت قد تكهنت لرجل في الجاهلية وما أُحس الكهانة إلا أني خدعته، وقد لقيني اليوم فأعطاني فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده في فمه حتى قاء كل شيء في جوفه.

حتى قيل له: «يرحمك الله كل هذا من أجل لقمة واحدة».

فأجاب قائلاً: والله لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة»**.

وكان إصراره عظيمًا على ألا ينال من بيت المال إلا ما يكفيه وأهله بالمعروف وما نال من المال وهو خليفة ولا نال من مناعم الحياة إلا ما كان يأكل

وأهله من جريش الطعام وإلا ما كانوا يلبسون من خشن الثياب ورغم هذا كله فحين أدركه الموت دعا إليها ابنته عائشة -رضي الله عنها- وقال لها: «انظري ما زاد في مال أبي بكر منذ ولى هذا الأمر فردية على المسلمين» وحملت عائشة تركة أبيها فور وفاته وفور مبايعة عمر حملتها إلى أمير المؤمنين تنفيذًا لوصية أبيها فما كاد «عمر» يرى ويسمع حتى انفجر باكيًا.

وقال: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب كل الذين يجيئونه بعده.

فماذا كانت تركة أبي بكر:

بعير كان يستقي عليه الماء.

ومحلب كان يحلب فيه اللبن، عباءة كان يستقبل فيها الوفود!

هذا عن القدوة في المال:

وفى قدوته في الحروب كثيرة ونأخذ منها موضع واحد فقط فحين حارب المرتدين وهزمهم وأدوها راغمين كان يتقدم بنفسه الصفوف ويصمم على قيادة المعارك بالرغم من خشية الصحابة عليه فقالوا له: ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام ومقامك أشد على العدو فابعث رجلاً فإن أصيب أمرت آخر.

فقال: لا والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي.

اللين:

كان الصديق من ألين الناس فكان اللين طبع من طباعه وصفة من صفاته وقد وصفه رسول الله بتلك الصفة فعندما ما استطلع الرسول ﷺ رأي أبي بكر وعمر وعبدالله بن رواحة في كيفية معاملة أسرى بدر، فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان وهم قومك وأهلك أرى أن تأخذ منهم

الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله: ما ترى يا ابن الخطا؟

فقال عمر: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك وهم صناديد الكفار وقادتهم فأرى أن تضرب أعناقهم، وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، انظر واديًا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أحرق عليهم نارًا فسكت رسول الله، ولم يجيبهم ثم دخل، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر.

وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة.

ثم خرج فقال: **إن الله ﷻ ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة إن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [إبراهيم: ٣٦].

ومثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

ومثلك يا ابن رواحة كمثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]».

وتأكد لين أبي بكر ﵁ حينما استشار الرسول المسلمين حينما اجتمعت قريش لصده وصد المسلمين عن البيت فنادى بالناس: «**اشيروا أيها الناس عليَّ أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن فاتونا كان الله قد قطع علينا من المشركين، وإلا تركناهم محروبين؟**» فقال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتال أحد، ولا حربًا فتوجه له فمن صدنا قاتلناه».

فقد رأى الصديق الاقتصار على قتال من صد المسلمين عن البيت الحرام وعدم قتال من لم يصده.

تحديد الهدف:

بدأ الخليفة عهده بخطاب يوضح فيه سياسته العامة تجاه البلاد حتى يعرف القاصي والداني كيف يتعامل معه، وفى ظل قيادته فبعد أن بايع الناس الصديق الخليفة الأول للمسلمين، وكان على منبر مسجد الرسول ﷺ خطب، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله: «أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عنده حتى أريح عليه حقه إن شاء الله والقوى منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله؛ فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالبلاء، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء؛ أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله؛ فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

هكذا تم وضع مبادئ الحياة السياسية في كلمات بسيطة وكذلك الحياة ومناهجها كلها حيث:

- عدم الثناء على نفسه وأن أمر القيادة تكليف وابتلاء وليس حق مكتسب بدم أريق في سبيل الحصول عليه.
- العدل في كل شيء للفقير قبل الغني، والضعيف قبل القوي.
- رقابة كل المسلمين والأتباع على القائد؛ فهو ليس منزه عن الرقابة وليس فوق مستوى الشبهات.
- الجهاد الجهاد في سبيل الله منهاج وسنة حياة المسلم الدائمة وإلا الذل والهوان والوهن في مواجهة أعداء الدين.
- الطاعة ملزمة لهم وإن تغير في سياسته وإدارته للبلاد فلا طاعة له عليهم بل وعليه أن يخلعوه من منصبه.

- الحكم وظيفة لا استعلاء وزمالة لا كبرياء.
- الحاكم فرد في الأمة وليس الأمة في فرد.

الإرادة والعزم وعدم التردد:

قبل وفاة الرسول، كان عليه السلام قد أعد جيشًا تحت إمرة أسامة بن زيد، وجهته الشام.

وكان الجيش يوم مات الرسول معسكرًا على بعد ثلاثة أميال من المدينة، يتهيأ للسير.

وأرجأت وفاة الرسول زحفه.. واختلفت الرأي بعد هذه في أمره:

فرأى فريق من المسلمين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب أن بعث جيش أسامة إلى الشام مخاطرة رهيبة في الوقت الذي أصبحت المدينة نفسها عاصمة الإسلام مهددة بغزو المرتدين.

ورأوا ضرورة عودة الجيش إلى المدينة ليكون في مواجهة الأحداث الجديدة الزاحفة.

وكان «أسامة» نفسه قائد الجيش من أصحاب هذا الرأي..

والمسألة حين تقاس بالمنطق المجرد لايبدو الصواب إلا في هذا الرأي الذي تبناه عمر وأسامة.

لكن أبا بكر يستمد منطقة من إيمانه.. وكل قضية عنده تتسع للاجتهاد إلا قضية أبرم الله فيها حكمًا، أو أصدر الرسول فيها أمرًا، ولقد أمر الرسول عليه السلام قبيل وفاته أن ينفذ بعث أسامة، فليكن ما أمر الرسول به: مهما تكن مستحدثات الظروف، ومهما تكن الأخطار التي تهدد المدينة.

وهكذا كان جواب أبي بكر للناس:

- «أنفذوا بعث أسامة؛ فوالله لو خطفتني الذئاب لأنفذته كما أمر رسول

الله، وما كنت لأرد قضاء قضاه»..

لم يعد ثم نزاع في الأمر، ولم يكن أبو بكر بتصميمه هذا مفتاتًا على آراء الآخرين؛ لأن القضية أساسًا ليست مما يعرض للشورى بعد أن قال فيها رسول الله كلمته وأعطى أمره.

وأبو بكر يؤثر أن تتخطفه الذئاب على أن يرد للرسول قضاء، أو يعطل مشيئة..!!

وعاد بعض المسلمين وعلى رأسهم «عمر بن الخطاب» أيضًا، يطلبون من أبي بكر أن يجعل على رأس الجيش قائدًا غير أسامة الذي كان فتى صغير السن محدود الخبرة، لا سيما وفى هذا الجيش شيوخ الصحابة وأجلاؤهم.

وهذه المسألة أيضًا إذا بحثت في ضوء المنطق المجرد يبدو ذلك الرأي سديدًا. لكن أبا بكر في هذا، شأنه في كل أمر يستمد منطقة من إيمانه.. فالذي ولى أسامة قيادة هذا الجيش، هو رسول الله..

ولقد رضيه الصحابة ورسول الله حى، أفيخلع أبو بكر رجلا ولاه الرسول..؟؟

لم يكد عمر يعرض الرأي المقترح على أبي بكر حتى ثار الرجل الحليم ثورة ما ثار مثلها قبل ولا بعد..!!

- «فوثب أبو بكر من مكانه وأخذ بلحية عمر، وقال ويحك يا ابن الخطاب.. أيوليه رسول الله، وتأمرني أن أعزله»؟؟!!

«ثم قام يتبعه عمر إلى حيث كان الجيش معسكرًا، فدعاهم للتحرك على بركة الله وسار معهم مودعا..

وكان الأمر الجلل وهو رده العرب عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ

والكل يتساءل أي مصير للإسلام لـولا عـزم وإرادة أبـا بكـر وعـدم تـردده في حرب المرتدين.

- أي مصير كان ينتظر الإسلام لو لم يكن أبو بكر يومئذ هناك...؟؟

لقد كان ابن مسعود يبسط الحقيقة الكبرى في قولته التالية:

«لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقامًا كدنا نهلك فيه، لـولا أن مـنَّ الله علينـا بأبى بكر».

فقد تضرمت الأرض نارًا في الجهات النائية مـن المدينـة والـتي كـان معظـم أهلها حديثي عهد بالإسلام، ولم يكونوا يتصورون بفطرتهم الساذجة أن رسـول الله يموت كما يموت الناس، وهكذا بهذه السرعة..!.

لقد سقط هؤلاء تحت صياح الكاذبين المهرة الذين كانوا يتربصون بالإسلام كل سوء.

لقد انشقت الأرض فجأة عن كـل الموتـورين بـه والمتربصـين، وعـن أنبيـاء كذبة، قادوا ببراعة الإفـك، جميـع الـذين كانـت الغفلـة ترشـحهم لأن يكونـوا ضحايا أكاذيبهم، ولا سيما أولئك البعيدين من المدينـة والـداخلين في الإسـلام من قريب.

وقف طليحة الأسدي يعلن نبوة كاذبة، وتبعـه الكـثيرون مـن قبائـل أسـد، وغطفان، وطيئ، وعبس، وذبيان.

ثم اشتعلت نيران الردة في بني عامر، وهوازن، وسليم.

ثم شبت في بني تميم، وجاءتهم المرأة (سجاح) تزعق فـيهم بنبوتهـا الضـالة المهرجة.

ثم تمرد أهل اليمامة رافعين لواء أخطر مدعي النبوة جميعًا – مسيلمة الكذاب.

وهكذا، بعد أن كان أبو بكر يواجه فلولا صغيرة، أصبح أمام جيوش جرارة، قوامها عشرات الألوف من المقاتلين.

وسرت العدوى إلى أهل البحرين، وعمان، والمهرة، وصار هؤلاء وأولئك يتغنون ببيت من الشعر أطلقه أحد شعرائهم:

أطعنا رسول الله ما دام بيننا فيالعباد الله ما لأبي بكر؟؟!!

ولكن، لله من خلقه رجال تتحول المحن بين أيديهم إلى منح، والكوارث إلى ربيع، تملؤه روح الحياة..!! حيث عدم التردد أبدًا.

وأبو بكر، من هؤلاء الرجال...!!

كان عمر يقول لصاحبه: يا خليفة رسول الله، تألف الناس، وارفق بهم كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه، وماله إلا بحقه»**.

وكان أبو بكر يقول: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقًا لقاتلتهم على منعها «ثم يملكه الغضب فيصيح بصاحبه: يا ابن الخطاب رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك؟ أجبَّار في الجاهلية وخوار في الإسلام إنه قد انقطع الوحي وتم الدين أو ينقص وأنا حي؟»

فخلال هذه المحنة الصاهرة التي ألمت بالإسلام، تكشفت كل جوانب الضعف في البناء البشري للإسلام، وهب الرجل الحكيم القوي من فوره، فرأب الصدع، وحول الصف إلى تماسك واقتدار..!!

وكانت حظوظ الإسلام وافية، ومقاديره سعيدة، إذ جاءته هذه المحنة وأبو بكر حامل الراية، وقائد الأمة..

وبفضل من الله ورحمة تفوق الرجل الكبير، والخليفة المؤمن على أخطار

كانت حرية بأن تداعى بناء امبراطورية شامخة راسخة، فما البال بدين غض جديد..؟!

وكانت تلك الأيام المزلزلة أعظم أيام الإسلام بعد رسول الله وأخصبها، وأكثرها بركة عليه، وخيرًا لمصيره.

لقد سقطت الأقنعة عن الوجوه المتنكرة، وتقيأت الصدور الموتورة كل أحقادها الدفينة، وأقبلت النار المباركة تصهر الأمة الجديدة، وتنفي خبثها بصورة شاملة، وأكد إيمان وارادته وعزمه وعدم تردده أبي بكر مقدرته، لا على اقتحام العقبات فحسب، بل وعلى أن يعلم الدنيا كلها أهمية الإيمان.

لقد آمن بأن الله حق، وبأن الإسلام حق، وبأن محمدًا رسول الله حق.. فلم يعد له مع هذا الإيمان أن ينكث أو يتردد.

التخطيط والتنظيم والإشراف:

التخطيط المالي في الإسلام تولاه الله ﷻ حينما فرض الزكاة وحدد أوجه صرفها، وأحل الغنائم للمسلمين، وأمر بأن يئول خمسها لبيت المال لينفق في وجوه محددة والإنفاق العام كذلك خططه الإسلام تخطيطًا عامًا فأمر بترشيده فلا إسراف ولا تقتير وأجاز العلني منه والسري، وحرص على عدم اكتنازه وحرم معاملاته الربوية، ونهى عن بخس معاملاته، وحينما تولى أبو بكر الخلافة أعلن في أول خطاب له عن عزمه على طاعة الله ورسوله، ومن الطاعة الالتزام بما ورد بالقرآن الكريم بشأن تخطيط الموارد والنفقات الخاصة بالدولة الإسلامية وقد التزام بذلك أبو بكر وصمم عليه وحارب المرتدين عن الزكاة وكان تخطيطه للمعارك والفتوحات تخطيطًا سليمًا موفقًا أدى لانتصار المسلمين.

وكان من نتائج النصر تثبيت إيراد عام من موارد الدولة الإسلامية وهو الزكاة والإنفاق العام منها على وجوهها المخططة بالقرآن وكان من نتائجه

كذلك تدفق موارد أخرى وهي خمس الغنائم والجزية على أهل الكتاب.

وفى تخطيط الصديق لجهاد المرتدين أعد البعوث وعقد أحد عشر لواء على النحو التالي:

- عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد فإذا فرع سار إلى مالك ابن نويرة بالبطاح.
- عقد لعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة.
- عقد للمهاجر بن أمية وأمره بجنود العنسي.
- عقد لخالد بن سعيد بن العاص وبعثه إلى الحمقتين من مشارق الشام.
- عقد لعمرو بن العاص وبعثه إلى جماعة قضاعة ووديعة والحارث.
- عقد لحذيفة بن محصن الغلفاني وبعثه إلى أهل دبا.
- عقد لعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة.
- وبعث شرحبيل بن حسنة في أثر عكرمة بن أبي جهل، وقال له: «إذا فرغت من اليمامة فالحق بقضاعة وأنت على خليلك تقاتل أهل الردة.
- وعقد لطريفة بن حاجز وأمره ببنى سليم ومن معهم من هوازن.
- عقد لسويد بن مقرن وأمره بتهامة اليمن.
- وعقد للعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين.

فكانت خطة شاملة تهدف إلى استئصال الردة من المجتمع الإسلامي، وقد قامت الخطة على تحديد مناطق المرتدين، وإرسال مجاهدين إلى كل منطقة تحت إمرة قيادة قادرة على سحق المرتدين إذا لم يستجيبوا إلى الرجوع إلى دين الله طائعين بعد أن يتلو القائد كتابًا أعده أبو بكر الصديق وزود به القواد ليتلوه كل

منهم على المرتدين في منطقته التي وجه إليها يدعوهم فيه إلى العودة لدين الله وإلا قاتلهم القائد وجنوده وأحرقهم بالنار، وسبى النساء والعذارى.

- التنظيم والإشراف كذلك، تولى الإشراف العام على أمور الدولة الإسلامية، ومنها الأموال العامة، وكان يساعده في ذلك أبو عبيدة بن الجراح وعين الولاة الذين يدخل في اختصاصهم جمع خراج الدولة والمصدقين المكلفين بجمع أموال الزكاة وكان قواده يتلقون من التعليمات بإعلان الإسلام أو الجزية أو القتال وكان هؤلاء بعد النصر يرسلون للخليفة الصديق ما جمعوه من الجزية طبقًا لعقود الصلح التي كانوا يبرمونها مع زعماء البلاد المفتوحة وكانوا يعينون ممثلين من الدولة الإسلامية ليجمعوا ما استحق عليهم للدولة من خراج طبقًا لشروط الصلح.

وكان من أهم المبادئ التنظيمية التي أرساها أبو بكر القائد في وصيته لأحد قواده:

- «من ولى أمر المسلمين شيئًا فأمر عليهم أحدًا محاباه؛ فعليه لعنة الله».

أي أن الكفاءة لا بدَّ أن تكون أساس اختيار من يتولون أمور الدولة.

- «إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة» قيلت ليزيد بن أبي سفيان حينما ولاة أبو بكر وبعثه إلى الشام.

أي أنه لا يجوز للقائد أن يؤثر أقاربه بالتعيين لتولي أمور الدولة.

- «أقرب الناس من الله أشدهم تقربًا بعمله».

أي أن العمل العام مما يتقرب به إلى الله.

- «يا يزيد إني قد وليتك لأبلوك وأجربك؛ فإن أحسنت زدتك، وإن أسئت عزلتك» أي: يمضى العاملون بالدولة في بدء تعيينهم فترة اختبار فإن أحسنوا ثبتوا، وإن أساءوا عزلوا.

- «إياك وعيبة الجاهلية».

أي الولاة وعمال الدولة لا يتكبرون على الرعية ولا يزهون عليهم.

- «إذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، واسمر بالليل في أصحابك» أي: لا بدَّ من علاقات إنسانية قوية بين القائد ورجاله.

- «أكثر مفاجأة جنودك في محارسهم بغير علم منهم بذلك» أي: لا بدَّ من وجود نظام للرقابة حتى ترتفع كفاءة الأعمال.

- «فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط» أي: لا بدَّ من وجود عقاب للمقصرين في مهام الدولة وذلك للمصلحة العامة، ولا بدَّ من تنفيذ العقاب.

- «وإذا استشرت فأصدق الحديث تصدقه المشورة ولا تخف عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك».

«ولا يتخذ حاشية من دون الآخرين».

«وفى النهاية تقوى الله له فيها صلاح الأمر كله».

اختيار الرجال الأكفاء:

كان الصديق يختار رجاله كل حسب كفاءته وحسب طبيعة العمل المكلف به وكان هناك جمع من صحابه الرسول يقوموا بمعاونته مباشرة وغير مباشرة في أمور الدولة وكانت صفات هؤلاء المساعدين التفقه في أمور الدين وتعاليم القرآن، وأوعى الناس بسنة الرسول ﷺ فمنهم رواة الحديث، وأهل الفتوى وفقهاء الدين والمجاهدون في سبيل الله فكان من مساعديه: عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، عبد الرحمن بن عوف، الزبير بن العوام، أبو ذر الغفارى، بلال بن رباح، سعد بن أبي وقاص، صهيب بن سنان، عبد الله

بن مسعود، أبو عبيدة بن الجراح.

وفى اختيار قواد المعارك كان يختار الكفء للقيادة؛ لأنه أدرى بالحرب من غيره ففى معركة اليرموك جعل الصديق خالد بن الوليد أميرًا على أبي عبيدة بن الجراح لأن خالدًا أكفأ وأدرى منه بالحرب بالرغم من أنا أبا عبيد كان الأسبق إسلامًا وواحدًا من بين المبشرين العشرة بالجنة وبالرغم من أن أبا عبيدة أمين الأمة وكان يوم السقيفة أحد الذين رشحهم الصديق للخلافة وبذلك تستفيد الدولة من كفاءة الأكفاء حتى ولو لم يكونوا من الذروة في التقوى.

الرقابة على العاملين:

وضع الصديق أولى أسس الرقابة على العاملين ومتابعة أعمالهم ومحاسبتهم عليها وذلك حتى يضمن أداء العمل، وكذلك إتقان أدائه مستمدًا ذلك من القرآن الكريم وسنة صاحبه ﷺ حيث قال الرسول: «**إن الخازنة المسلم الأمين الذي يعطي ما أمر به كاملاً ومؤخرًا طيبة بها نفسه حتى يدفعه إلى الذي أمر له به أحد المتصدقين**»[(١)].

وكذلك ما قاله بريدة الأسلمي ﷺ عن النبي قال: «**من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا فما أخذ بعد فهو غلول**».

وطبق الصديق هذا عمليًا فلما قدم معاذ بن جبل أمير اليمن على المدنية، وقال له الصديق: ارفع حسابك.

فغضب معاذ، وقال: حساب من الله، وحساب منكم؟ والله لا إلى لكم عملاً أبدًا.

وحتى في المعارك كان الصديق يتابع نتائجها، ويحاسب قادتها على مافعلوه،

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

ويحاسبهم على ما يرسل إليه من خمس الغنائم، ويسأل القواد إذا بلغه عنهم ما لا يرضى فحينما بلغه أن خالد بن الوليد أثناء حربه المرتدين قتل مالك بن نويره ثم تزوج إمراته فلما علم بذلك عمر بن الخطاب أخبر الصديق بذلك وطلب منه أن يحاسب خالد في ذلك فاستدعى خالدًا، وأخبر خبره فعذره وقبل منه وعنقه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب وقال لعمر: تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد ودفع الصديق دية مالك بن نويرة.

- وعندما عزل خالد بن سعيد أوصى به شرحبيل بن حسن وكان أحد الأمراء فقال له: «انظر خالد بن سعيد فاعرف له من الحق عليك مثل ما كنت تحب أن يعرف لك من الحق عليه لو خرج واليًا عليك، وقد عرفت مكانة من الإسلام وأن رسول الله توفى وهو له وال، وقد كنت وليته ثم رأيت عزله وعسى أن يكون ذلك خيرًا له في دينه ما أغبط أحدًا بالإمارة، وقد خبرته في أمراء الأجناد فاختارك على غيرك إختارك على ابن عمه فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأي التقي الناصح فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وليكن خالد بن سعيد ثالثًا فإنك واحد عندهم نصحًا وخيرًا وإياك واستبداد الرأي عنهم أو أن تطوى عنهم بعض الخير».

هكذا كان أسلوب أبي بكر في الرقابة على عماله: إنقاذ لقرار العزل دون تشف أو إساءة للمعزول بل إشادة به وتوجيه لمن يخلفه بأن يحسن معاملته ويستشيره ثالث ثلاثة من الصحابة.

وفى النهاية عند وفاته لم يلعنوه أو يسبوه، وإنما قالوا عنه:

عمر بن الخطاب: يا خليفة رسول الله لقد كلفت القوم بعدك تعبًا ووليتهم نصبًا فهيهات من شق غبارك فكيف اللحاق بك.

علي بن أبي طالب: رحمك الله يا أبا بكر، كنت والله أول القوم إسلامًا

وأخلصهم إيمانًا وأشدهم يقينًا وأعظمهم غنى وأحفظهم على رسول الله ﷺ وأحدبهم على الإسلام وأحماهم عن أهله وأنسبهم برسول الله خلقًا وفضلاً وهديًا وسمتًا فجزاك الله عن الإسلام، وعن رسول الله، وعن المسلمين خيرًا صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وسماك الله في كتابه صديقًا؛ فقال: «والذى جاء بالصدق، وصدق به» يريد محمدًا ويريدك كنت والله للإسلام حصنًا وللكافرين ناكيًا، ولم تضلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك كالجبل لا تحركه العواطف ولا تزيله القواصف كنت كما قال رسول الله ﷺ: «ضعيفًا في بدنك قويًا في دينك متواضعًا في نفسك عظيمًا عند الله جليلاً في الأرض كبيرًا عند المؤمنين لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى فالضعيف عندك قوي، والقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق من القوي وتأخذه للضعيف فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك».

هكذا كان القائد الصديق.

* * *

عمر بن الخطاب
الفاروق... قائدًا



عمر بن الخطاب الفاروق... قائدًا

يقول تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾

هكذا توفى الرسول وظهرت المشكلات السياسية والإدارية بالجزيرة العربية وقام خليفته أبو بكر الصديق في فترة حكمه الوجيزة بحلها حتى قضى الله أمرًا كان مفعولاً وكان إلى جواره عمر وزيره ومستشاره الأول، وتولى عمر وامتد به الأجل وبسطه العمر يضع الحلول الجذرية للمشكلات، والتي كشفت عن عبقرية فذة حتى جعلت رستم قائد الفرس يقول عنه: «إن هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل ... أكل عمر كبدي» حتى أصبح أسطورة في تاريخ العالم ويبرز لنا السؤال:

لماذا نجح عمر في قيادته لركب الدولة الإسلامية الفتية لتكن سادة الأمم على الأرض كما وعد ﷻ رسوله والمؤمنون؟

لماذا نجح ذلك الفتى القرشي في إدارته لدولة الإسلام؟

- كان الفاروق
- كان العدل
- كان القدوة الحسنة
- كان الشهيد
- كان ابن الخطاب قائدًا

الإيمـــان:

إنه إيمان الفاروق الذي كان من قبل محافظًا على دينه القديم فما بالك بدين لاشبهة، فيه ولا ريبة، إنه إيمان حق معه من الله برهان في نفس بها قوة وأصالة فيقول للرسول: «ألسنا على الحق في مماتنا ومحيانًا؟ ويجيبه الرسول: «**بلى يا عمر والذى نفسي بيده إنكم لعلى الحق إن متم، وإن حيتم**؛ فيقول عمر: ففيم الاختفاء إذن؟ والذى بعثك بالحق لتخرجن ولنخرجن معكم.

ويخرج الرسول والمسلمون معه في صفين عمر في صف وحمزة في الصف الآخر

إنها قوة الإيمان في الحق ثم يزيد ويقول: «والله لن أترك مكانًا جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان» فهو لا يعرف أنصاف الحلول ومن الإيمان أن يترك كل معالم الجاهلية التي عاشها حتى تذوب وتتلاشى مع إيمان الجديد.

ثم لا يسكت بل يحمله إيمانه على أن يضهد مضهدي المسلمين فيذهب لهم ويلقاهم في دورهم ولكنهم يتحاشونه جميعًا فيبدأ جولته بأبي جهل فيذهب إليه في داره، ويقرع عليه بابه فيخرج أبو جهل ليجد أمامه عمر، فيغلق الباب دونه والكل يتجنبه.

فقد أدرك عمر بإيمانه أن يعلنها داوية عالية أمام الجميع: أنه مسلم لله ﷻ ليس هذا فحسب، وإنما فيما بعد يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: قم بنا نزداد إيمانًا فيذكرون الله ﷻ.

وأخرج الحافظ أبو القاسم اللالكائي في السنة عن قيس بن حجاج عمن حدثه قال: لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص ﷺ وكان أميرًا بها حين دخل بؤنة فقالوا: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنة لا يجري إلا بها، قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين

أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام إن الإسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤنة (أي: شهر من شهور القبط)، والنيل لا يجري حتى هموا بالجلاء فكتب عمرو ﷺ إلى عمر بن الخطاب ﷺ بذلك فكتب إليه عمر: إنك قد أصبت بالذى فعلت، وقد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا فالقها في النيل فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت، وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة وقطعت تلك السُّنة عن أهل مصر.

فماذا كان في تلك البطاقة؟

«من عبد الله عمر إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كنت تجري من قبل الله؛ فنسأل الله أن يجريك».

العلـــم:

بلغ علم عمر بشئون الدنيا والدين، درجة جعلته يشغل مرتبة لم يبلغها أحد من بعده من الخلفاء، وقد ساعده على ذلك ظروف عديدة، ترجع إلى استعداده الفطرى، وإلى نشأته الأولى قبل الإسلام، وإلى سنه المناسب، سواء يوم أسلم، أو يوم آلت إليه الخلافة.

ثم فوق ذلك كله حكمة الطويل المستقر. الذي لم ينازعه فيه أحد سلطة الدولة، مما مكن له أن يجتهد في جميع ضروب الحياة، وأن يخرج بعلمه من الدائرة النظرية المجردة إلى مجال التطبيق الحي[1].

وقد أنبأ الرسول ﷺ بعلم عمر، وفى هذا المعنى تروي أحاديث صحيحة عن رسول الله من أشهرها:

(١) المصدر: عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة – دراسة مقارنة (بتصرف).

أ- عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا نائم إذا رأيت قدحًا أتيت به فيه لبن، فشربت منه، حتى إني لأرى الرى يخرج في أظافري، ثم أعطيت فضلي لعمر بن الخطاب، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: العلم.

ب- عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليَّ، وعليهم قمص، منها ما يبلغ الشدي، ومنها ما دون ذلك، وعرض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟! قال: الدين [١].

ج- (ج) عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: دخلت الجنة.. ثم خرجنا من أحد أبواب الجنة الثمانية، فلما كنت عند الباب أتيت بكفه، فوضعت فيها، ووضعت أمتي في كفة أخرى، فرجحت بها ثم أتى بأبي بكر، فوضع في كفه، وجيئ الجميع أمتى في كفه، فرجح أبو بكر. وجيئ بعمر فوضع في كفة، وجيئ بجميع أمتي فوضعوا فرجح عمر.

د- (د) عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: **«أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب (بئر) فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا (دلوًا مملوءة) أو ذنوبين نزعًا ضعيفًا، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا، فلم أر عبقريًا يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن»**[٢].

قال الإمام الشافعي: ومعنى قوله: **«وفى نزعه ضعف»** (يعني: أبا بكر) قصر مدته، وعجلة موته، وشغله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والزيادة الذي بلغه عمر في طول مدته.

---

(١) رواه مسلم
(٢) رواه البخاري ومسلم.

من أين جاءت ثقافة عمر؟ لقد بدأ علمه وثقافتـه قبـل الإسـلام: والقـراءة والكتابة – كما نعلم – هي مفتاح العلم والثقافة.

وتروي كتب السيرة أن عمر في طفولته وصباه، قد امتـاز علـى أقرانـه بأنـه كان ممن تعلموا القراءة والكتابة، وكانوا قليلين جدًّا، فلم يكـن في قـريش كلـها حين بعث النبي غير سبعة عشر رجلا يقرأون ويكتبون.!!. وقـد يكـون في هـذا الرقم بعض المبالغة؛ لأن كتاب الوحي زادوا في بعض الروايات على الأربعـين. ولكنه يوضح في الوقت ذاته أن عمر كان من القلـة الضـئيلة في قـريش، والتـى ملكت مفتاح العلم والثقافة.

ولما شبَّ عمر، تذوق الشعر، بـل وقرضـه في بعـض الروايـات، فقـد روى صاحب «العقد الفريد» أن عمر قال يومًا للنابغة الجعدي: أسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك، فأسمعه كلمة له، قال: «وإنك لقائلها؟ قال، نعم! لطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب».

وكان عمر بن الخطاب يسمع الشعراء في سـوق عكـاظ وفـى غـير عكـاظ، ويحفظ عنهم، ويروي ما يروقه من شعرهم، وكان له من بعد أحاديث طويلة مع الحطيئة، وحسان بن ثابت، والزبرقان وغيرهم.

وكان جيد البيان، حسن الكلام، ولهذا كله كان يذهب في سـفارات قـريش إلى غيرها من القبائل، وكانت حكمته ترضى في المنافرة كحكمة أبيه من قبله.

وكمعظم شباب قريش، عمل عمر في صدر شبابه بالتجارة، «ولعـل غلظتـه هي التي حالت بينه وبين الإفادة من التجارة ما أفاد غـيره، فهـو لهـذه الغلظـة لم يكن يستطيع بالتجارة أن ينبع الماء من الحجارة، ولا أن يحيل التراب ذهبًـا علـى تعبير قومه من قريش، هذا مع أنه لم يكن يقف من تجارتـه عنـد رحلـتي الشـتاء والصيف إلى اليمن وإلى الشام، بل كان يذهب إليهمـا، وإلى غيرهمـا مـن بـلاد

فارس والروم، لكنه كان في رحلاته هذه أكثر اشتغالاً بتثقيف ذهنه، منه بإنماء تجارته.

وقد أشار المسعودي في «مروج الذهب» إلى رحلات عمر في جاهليته، وأنه لقى في أثنائها كثيرًا من أمراء العرب وتحدث إليهم، وأغلب الظن أن ما كان يقوم به من السفارة عن قريش، وما بلغه من المعرفة بالإنساب وأيام العرب، وما اطلع عليه أثناء قراءاته في كتب عصره، قد جعله أكثر حرصًا على الكسب لزيادة علمه منه على الكسب لنماء ماله.

فلما أسلم عمر لزم رسول الله، سواء في مكة أو المدينة، وعمل له فتفقه في شئون الدين حتى وصل إلى الدرجة التي سجلها الرسول عليه الصلاة والسلام في أحاديثه التي أوردنا بعضها فيما سبق كما أنه تمرس في شئون الحكم، فجمع بين العلم النظري، والتطبيق العملي.

ومن جوانب علم عمر وثقافته:

أولاً- الشريعة الإسلامية: ولقد بدأنا بها، لأنها قانون الدولة، الذي آل إلى عمر أن يطبقها، وأن يستنبط قواعدها، فأصبح فارسها المجلى. وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي أرسى أسسها نقلاً عن ربه، فإن عمر بن الخطاب هو الذي بيَّن أسلوب تطبيقها، واستمداد الأحكام الجديدة منها لمواجهة ظروف المجتمع المتغيرة، وهنا تكمن عظمة عمر.

فقد جمع بين الإيمان الراسخ، وبين المرونة التي تستجيب لحاجات الناس المشروعة، ومن ثم فقد سجل الفقهاء فضل عمر في هذه الناحية: فعبد الله بن مسعود يقول مثلاً: «كان عمر أعلمنا بكتاب الله، وأفقهنا في دين الله». وكان إذا اختلف أحد في قراءة الآيات قال له أقرأها كما قرأها عمر، وأطنب فقال: «لو أن علم عمر بن الخطاب وضع في كفة ميزان، ووضع علم الأرض في كفة،

لرجح علم عمر بعلمهم، ولقد كانوا يروون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم».

وقال ابن سيرين: «إذا رأيت الرجل يزعم أنه أعلم من عمر، فشك في دينه».

وكل ما فسر به عمر أي القرآن في معرض الحكم والعظة، فهو التفسير الراجح في وزن العقل والدين؛ وكل ما استخرجه من أحكام الشريعة فهو الحكم الواضح الصحيح.

وكان عمر ينصح بالانكباب على العلم في كثير من المأثور عنه، ومن ذلك قوله لهم: «تعلموا العلم، وتعلموا مع العلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، وتواضعوا لمن تعلمون، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم».

وكان يوصي طلاب العلم بأن يكونوا أوعية الكتاب، وينابيع العلم، وأن يسألوا الله رزق يوم بيوم، وألا يضيرهم إلا يكثر لهم، وأن يتفقهوا قبل أن يسودوا».

ثانيًا – اللغة العربية وآدابها:

لما كانت الشريعة الإسلامية تقوم على أساس الإحاطة بالقرآن الكريم، فإن مفتاحها يكمن في اللغة العربية، ولهذا فإن عمر بن الخطاب يجيء على القمة بين من أحاطوا بأسرار اللغة العربية، وقد ساعده ذلك في إعداد خطبة الكثيرة في المناسبات الجمة التي تعرض لها بعد أن آل إليه أمر المسلمين.

ولم يحفظ التاريخ لأحد من الحكام العرب، ما حفظ لعمر بن الخطاب من خطب خالدة في شئون الحكم والإدارة، صيغت أبدع صياغة، ومن ثم كانت وصايا عمر للعرب في خصوص اللغة العربية متعددة من أشهرها:

- تعلموا العربية، فإنها تثبت العقل، وتزيد في المروءة.

- تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض.
- تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه.
- شر الكتابة المشق، وشر القراءة الهذرمة، وأجود الخط أبينة.
- وكان إذا رأى رجلاً يلجلج في كلامه، قال: خالق هذا، وخالق عمرو بن العاص واحدًا.

بل وورى عنه، أنه أمر بجلد بعض الكتاب لخطأ في النحو.

ولما كان الشعر هو أصل كلام العرب، كما روي عن عمر نفسه، فإنه اهتم بروايته في جاهليته وفى إسلامه، وروي عنه أنه قال بخصوصه: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد، وغزو فارس والروم، ولهيت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأنصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يئلوا إلى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب، فألفوا ذلك، وقد هلك من العرب من هلك بالموت، والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عنهم منه أكثره».

ووجه خطابه إلى العرب كافة فقال: «أرووا من الشعر أعفه، ومن الحديث أحسنه، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق، وتنهى عن مساويها».

كما كتب إلى أبي موسى الأشعري: «مر من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب».

ولهذا تروي كتب السير أن عمر ما كان يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر.

ثالثًا: الاهتمام بأنساب العرب وأخبارها:

من المشهور عن عمر بن الخطاب أنه كان عليمًا بتاريخ العرب وأيامها ومفاخرها، كعلمه بالمتخير من شعرها ونثرها وسائر أمثالها. ولعله في ذلك كان

ينقل عن أبيه الخطاب فكثيرًا ما كان يقول سمعت ذلك عن الخطاب، ولم أسمع ذلك عنه، ولذلك فإن من أشهر وصاياه لابنه عبد الرحمن: «يا بني انسب نفسك، تصل رحمك، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك، فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقًّا، ولم يقترف أدبًا».

وقال أيضًا في نصيحته الموجهة إلى المسلمين عامة بعد أن أوصاهم برواية الشعر العفيف، والحديث الحسن: «ارووا من النسب ما تواصلون عليه، وتعرفون به، فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت».

رابعًا: الاهتمام بكل أنواع المعرفة التي تفيد الإنسان في دنياه:

لم يكن عمر يهتم فقط بعلم الدين واللغة، وإنما كان يهتم بكل علم نافع للمسلمين ولهذا كانت نصيحته لأهل الشام في خصوص تربية أبنائهم: «علموا أولادكم الكتابة، والسباحة، والرمي، والفروسية، ومروهم فليثوا على الخيل وثبًا، ورووهم ما سار من المثل، وحسن من الشعر».

وكان ممن يجيدون علم الجغرافيا عن سماع فقد كان يأمر ولاته أن يصفوا له بلادهم وصفًا دقيقًا وكان يفرض على الولاة أن يحيطوا بعلم ما يتولون من البلاد وعزل في ذلك عمار بن ياسر لما سأله عن مواقع استعمله عليها فلم يعرفها في الكوفة وكان حريص على تعلم الجديد والنافع للناس في معاشهم فطلب إلى أبي لؤلؤة غلام المغيرة – وقاتل عمر – أن ينجر ما دعاه من اختراع طاحون تدار بالهواء وكانت آخر من انتهى علم الصناعات إليه في عصره.

الحلـــم:

– بعد أن عزل عمر خالد بن الوليد جمع الناس في المدينة، وقال لهم: «إني أعتذر إليكم من عزل خالد فإني أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفه المهاجرين فأعطى ذوي البأس وذوي الشرف وذوي اللسان» فنهض أبو عمرو بن حفص

بن المغيرة وقال: «والله ما أعذرت يا عمر ولقد نزعت فتى ولاه رسول الله وأغمدت سيفًا لرسول الله ووضعت امرأً رفعه رسول الله، وقطعت رحمًا وحسدت بني العم».

فلم يغضب عمر بل ابتسم ابتسامة صافية، وقال مخاطبًا أبا عمرو:

« إنك قريب قرابة حديث السن تغضب في ابن عمك».

– وبينما هو يجتاز الطريق يومًا ومعه «الجارود العبدي» فإذا امرأة تناديه وتقول: «رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة».

فيلتفت عمر وراءه ثم يقف حتى تبلغه السيدة فتقول له وهو مصغٍ مبتسم:

يا عمر: عهدي بك، وأنت تسمى عميرًا تصارع الفتيان في سوق عكاظ فلم تذهب الأيام حتى سُميت عمر ثم لم تذهب الأيام حتى سُميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية وأعلم أن من خاف الموت خشى الفوت».

فقال لها الجارود العبدي: اجترأت على أمير المؤمنين.

فجذبه عمر من يده وهو يقول:

دعها فإنك لا تعرفها هذه «خولة بنت حكيم» التي سمع الله قولها من فوق سبع سماواته وهي تجادل الرسول في زوجها، وتشتكي إلى الله فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها.

– ويدور حوار بينه وبين أحد الناس ويتمسك الأخير برأيه، ويقول لأمير المؤمنين: اتق الله يا عمر ويكررها مرات كثيرة.

ويزجره أحد الحاضرين قائلاً: صه فقد أكثرت على أمير المؤمنين.

ولكن أمير المؤمنين يقول له: دعه فلا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها».

آية عظمة في حلم قائد يملك ويحكم ويجعل كل الناس تبـدي رأيهـا في كـل شيء بدء من طريقة حكمه هو

«إنه حلم القادة في الدنيا والآخرة».

حسن الخلق:

أخرج البخاري والبيهقي عن ابن عباس قال: قدم عينيـه بـن حصـن (ابـن حذيفة) بن بدر ﷺ فنزل على ابن أخيـه الحـربن قـيس ﷺ – وكـان مـن النفـر الذين يدينهم عمر ﷺ وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشورته كهـولاً كـانوا أو شبابًا فقال عينية لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه فأستأذنه له فإذن له عمر فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل (أي: الكثير) ولا تحكم بيننا بالعدل.

فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال الحر: يا أمـير المـؤمنين إن الله تعـالى قال لنبيه ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وإن هذا من الجاهلين

فوالله ما جاوز عمر حين تلاها عليه وكان وقافًا عند كتاب الله ﷻ.

– وعن ابن عمر قال: ما رأيت عمر غضب قط فذكر الله عنده أو خـوف أقرأ عنده إنسان آية من القرآن إلا رقد (أي: غفل) عما كان يريد.

– وروى أن استوهب رجلاً يسمى خداش من رسـول الله قصـعة يأكـل فيها فكانت عندنا فكان عمر يقول: أخرجوها لى فيملؤها من ماء زمزم فيشرب منها ويصب على رأسه ووجه ثم حدث أن سرقت مع متاع للرجل فجاء عمـر بعدما سرقت فسأل أن يخرجوها له فقال الرجل: سـرقت في متـاع لنـا يـا أمـير المؤمنين فقال: لله أبوه سرق صفحة رسول الله ﷺ.

يقول الرجل: فوالله ما سبه ولا لعنه.

الرحمة:

كانت الرحمة تجد طريقها عند عمر كلما مرت على قلبه ورآها في كل حياته حتى قبل إسلامه، وعلى الرغم مما سرد عنه من عذابه وبطشه بالمسلمين في مكة فعن أم عبد الله بنت حنتمة قالت: لما كنا نرتحل مهاجرين إلى الحبشة أقبل عمر حتى وقف على وكنا نلقى منه البلاء والأذى والغلظة علينا فقال لى: إنه الإنطلاق يا أم عبد الله.

قلت: نعم والله لنخرجن في أرض الله أذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجًا.

قال: صحبكم الله ورأيت منه رقة لم أرها قط.

- وبعد إسلامه وبعد أن تولى مقاليد الخلافة استدعى أحد المسلمين ليكتب له عهد الولاية وبينما الكاتب يكتب جاء صبي من أولاد عمر فجلس في حجر الخليفة فلاطفه وقبله فقال الرجل: يا أمير المؤمنين لى عشرة أولاد مثله، ما دنا أحد منهم مني، فقال عمر فما ذنبي إن كان الله ﷻ نزع الرحمة من قلبك وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، ثم أمر بخطاب الولاية فمزق وقال: «إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية».

- ومن ذلك أيضًا عندما قدم المدينة بعض التجار في إحدى الليالي وخيموا على مشارفها فاصطحب ابن الخطاب عبد الرحمن بن عوف ليتفقد أمر القافلة وكان الليل قد انتهى واقترب الجزء الأخير منه فوقف عمرو عبد الرحمن يحرسا الضيوف من السرقة، وإذا هما جالسان سمع صوت بكاء صبي فانتبه عمر وصمت، وانتظر أن يكف الصبي عن بكائه، ولكنه تمادى فيه فمضى يسرع نحوه وحين اقترب منه وسمع أمه تنهنهه قال لها: اتق الله وأحسني إلى صبيك ثم عاد إلى مكانه وبعد حين عاود الصبي البكاء، فهرول نحوه عمر، ونادى أمه:

قلت لك اتق الله، وأحسني إلى صبيك، وعاد إلى مجلسه بيد أنه لم يكد يستقر حتى زلزله مرة أخرى بكاء الصبي فذهب إلى أمه، وقال لها: ويحك إني لأراك أم سواء ما لصبيك لا يقر له قرار؟

قالت وهي لا تعرف من تخاطب: يا عبد الله قد اضجرتني، إني أحمله على الفطام فيأبى.

فسألها عمر: ولم تحملينه على الفطام.

قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم.

قالت وأنفاسه تتواثب وتتسارع: وكم له من العمر؟

قالت: بضعة أشهر.

قال: ويحك لا تعجليه.

يقول صاحبه عبد الرحمن بن عوف: فصلى بنا الفجر يومئذ وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلما سلم قال: يا بؤسًا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر مناديًا ينادي في المدينة: لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام؛ فإنا نفرض من بيت المال لكل مولود في الإسلام، ثم كتب بهذا إلى جميع ولاته في الأمصار.

- كان كلاب بن أمية الكناني في غزوه فاشتاق إليه أبوه الهرم وحزن لغيابه واتصل نبأه بعمر فكتب إلى قائد الجيش يستعيد كلابًا إلى المدينة فلما عاد دخل عليه سأله: ما بلغ من برك بأبيك؟ قال: كنت أكفيه أمره وكنت اعتمد - إن أردت أن أحلب لبنًا - أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأريحها وأتركها حتى تستقر ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحلب له فأسقيه، ثم بعث إلى أبيه فجاء يتراوح في مشيته ضعيفًا في بصره محنيًا ظهره فسأله: كيف أنت يا أبا كلاب؟

قال: كما ترى يا أمير المؤمنين ثم جاء بلبن حلبه ابنه، ففطن الرجل، وقال وهو يدني الإناء من فمه: لعمر الله يا أمير المؤمنين إني لأشم رائحة يدي كلاب في هذا الإناء.

فقال عمر: هذا كلاب عندك حاضر قد جئناك به فوثب إليه ابنه وطفق الأب الذي لم يكد يراه يضمه ويقبله.

وبكى عمر وأمر كلابًا أن يلزم أبويه ما بقيا وله عطاؤه كأنه يجاهد في سبيل الله.

العدل:

إنها صفة عمر ورمزه في جميع العصور؛ فهو العادل الفاروق ويرجع عدل عمر إلى أسباب كثيرة أهمها: الوارثة فعمر بن الخطاب من قبيلة عدي بن كعب وهي قبيلة –رغم شرفها ومكانتها– كانت قليلة العدد على جانب محدود من الثراء إلا أنها كانت تمتاز بالدراية والعلم والحكمة، ومن ثم فقد أهلتها هذه الصفات لوظيفة السفارة والحكم في المنازعات، وكانوا ذو بلاغة وحسن عبارة.

- إحساس عمر بوطأة الظلم فقد ظلمت قبيلته بني عدي وأجلوا عن منازلهم إلى قبيلة بني سهم كما أنه عمر قد تعرض في صباه لمعاملة خشنة وقاسية من والده فهو ينفر من الظلم ويضرب على أيدي الظالمين.

- جاء الإسلام فنما في قلب عمر الإحساس بالعدل فهو جماع كل الفضائل فهذّب الإسلام نفس عمر ووصل بها إلى قمة الأداء في العدل البشري.

- المران فقد كان الرسول يعهد إليه أحيانًا بالفصل بين الناس ثم أتى أبو بكر فعهد إليه بالقضاء وظل عامين كاملين لا يأتيه خصمان لما عرف الناس عنه من الشدة والحزم.

ومن أبرز ما روي عن عدل عمر:

- روى البيهقي عن الشعبي قال: كـان بـين عمـرو وبـين أبـي بـن كعـب خصومة؟ فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً فجعلا بينهما زيـد بـن ثابـت ﷺ فأتياه فقال عمر: أتيناك لتحكم بيننا وفى بيته يؤتى الحكم فلما دخلا عليه وسع له زيد عن صدر فراشه فقال: هاهنا يا أمير المؤمنين.

فقال له عمر: هذا أول جـور [1] جـرت في حكمـك، ولكـن اجلسـني مـع خصمي، فجلسا بين يديه، فادعى أبي وأنكر عمر، فقال زيد لأبي: اليمين على أمير المؤمنين، فإن شئت أعفيه، وما كنت لأسألها لأحد غيره، فحلف عمـر، ثـم أقسم له: لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل مـن عـرض[2] المسـلمين عنده سواء.

قصة العباس وعمر في توسيع المسجد النبوي:

عن زيد بن أسـلم قـال: كـان للعبـاس بـن عبـد المطلـب دار إلى جنـب مسـجد المدينة، فقال له عمر ﷺ: بعنيها، فأراد عمر أن يزيدها في المسـجد، فـأبى العبـاس أن يبيعها إياه، فقال عمر: فهبها لي، فأبى، فقال: فوسعها أنت في المسـجد، فـأبى. فقـال عمر: لا بدَّ لك من إحداهن، فأبى عليه. فقال: خذ بيني وبينك رجلاً، فأخذ أبـي بـن كعب ﷺ، فاختصما إليه. فقال أبي لعمر: ما أرى أن تخرجه مـن داره حتـى ترضـيه. فقال له عمر: أرأيت قضاءك هذا في كتاب الله وجدتـه أم سـنة مـن رسـول الله ﷺ؟ فقال أبي: بل سنة من رسـول الله ﷺ. فقـال عمـر: ومـا ذاك؟ فقـال: إنـي سمعـت رسول الله ﷺ يقـول: «**إن سليمان بن داود -عليهما الصلاة والسلام- لمـا بـنى بيـت المقدس جعل كلما بنى حائطًا أصبح منهدمًا، فأوحى الله إليه أن لا تبني في حق رجـل حـتى**

(١) جور: ظلم .
(٢) من عرض المسلمين: من عامتهم.

ترضيه»، فتركه عمر، فوسعها العباس بعد ذلك في المسجد.

قصة عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب وأبي سروعة:

وأخرج البيهقي عن ابن عمر قال: شرب أخرى عبد الرحمن، وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث- وهما بمصر - في خلافة عمر ﷺ فسكرا، فلما أصبحا انطلقا إلى عمرو بن العاص ﷺ - هو أمير مصر- فقالا: طهرنا، فإنا قد سكرنا من شراب شربناه. قال عبد الله: فذكر لي أخي أنه سكر، فقلت: ادخل الدار أطهرك، ولم أشعر أنهما قد أتيا عمر، فأخبرني أخي أنه قد أخبر أمير المؤمنين بذلك، فقلت: لا تحلق اليوم على رءوس الناس، أدخل الدار أحلقك، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد، فدخلا الدار، قال عبد الله: فحلقت أخي بيدي ثم جلدهم عمرو. فسمع بذلك عمر فكتب إلى عمرو: أن ابعث إليَّ بعبد الرحمن على قتب[1]، ففعل ذلك. فلما قدم على عمر ﷺ جلده وعاقبه لمكانه منه، ثم أرسله فلبث شهرًا صحيحًا ثم أصابه قدره فمات.

ما كان يعمل عمر في الموسم: عن عطاء قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ يأمر عماله أن يوافوه بالموسم، فإذا اجتمعوا قال:

«يأيها الناس، إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم، ولا من أموالكم، (ولا من أعرضكم) إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فعل به غير ذلك فليقم».

فما قام أحد إلا رجل، قال فقال: يا أمير المؤمنين إن عاملك فلانا ضربني مائة سوط، قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه، فقال عمرو بن العاص ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك، وتكون سنة يأخذ بها من بعدك، فقال: أنا لا أقيد، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقيد في نفسه؟! قال: فدعنا لنرضيه،

---

(١) القتب: هي الإبل التي توضع الأقتاب على ظهرها والقتب للإبل كالسرج للفرس.

قال: دونكم فأرضوه، فافتدى منه بمائتي دينار عن كل سوط بدينارين.

قصة مصري وابن عمرو بن العاص:

عن أنس ﷺ أن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم. قال: عذت معاذًا. قال:.سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضربن فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين. قال أنس: فضرب والله! لقد ضربه ونحن نحب ضربه؛ فلما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه. ثم قال للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني، وقد استقدت منه، فقال عمر لعمرو: مذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم، ولم يأتني.

مؤاخذة عمر عامله على البحرين:

أخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي منصور قال: بلغ عمر بن الخطاب ﷺ أنه عامله على البحرين ابن الجارود أو ابن أبي الجارود أتى برحل يقال له: أدرياس قامت عليه بينة بمكاتبة عدو المسلمين، وأنه قد همَّ أن يلحق بهم، فضرب عنقه وهو يقول: يا عمراه، يا عمراه! فكتب عمر ﷺ إلى عامله ذلك فأمره بالقدوم عليه؛ فقدم فجلس له عمر وبيده حربة. فدخل على عمر فعلا عمر لحيته بالحربة وهو يقول: أدرياس لبيك، أدرياس لبيك، أدرياس لبيك! وجعل الجارود يقول: يا أمير المؤمنين إنه كاتبهم بعورة المسلمين وهم أن يلحق بهم. فقال عمر: قتلته على همه، وأينا لم يهمه لولا أن تكون سنة لقتلتك به.

مؤاخذة عمر لعامله على غرق مسلم بسببه:

أخرج البيهقي عن زيد بن وهب قال: خرج عمر ويداه في أذنه- وهو

يقول: يا لبيكاه يا لبيكاه! قال الناس: ما له؟ قال: جاءه بريد من بعض أمرائه أن نهرًا حال بينهم وبين العبور، ولم يجدوا سفنًا، فقال أميرهم: اطلبوا لنا رجلاً يعلم غور النهر، فأتى بشيخ فقال: إني أخاف البرد -وذلك في البرد- فأكرهه فأدخله، فلم يلبثه البرد، فجعل ينادي: يا عمراه! فغرق، فكتب إليه، فأقبل، فمكث أيامًا معرضًا عنه، وكان إذا وجد على أحد منهم فعل به ذلك، ثم قال: ما فعل الرجل الذي قتلته؟ قال: يا أمير المؤمنين ما تعمدت قتله، لم نجد شيئًا يعبر فيه، وأردنا أن نعلم غور الماء، ففتحنا كذا وكذا، فقال عمر: لرجل مسلم أحب إليَّ من كل شيء جئت به، لولا أن تكون سنة لضرب عنقك، فأعط أهله ديته، واخرج فلا أراك.

قصة أبي موسى ورجل وكتاب عمر في ذلك:

أخرج البيقهي عن جرير أن رجلاً كان مع أبي موسى ﷺ فغنموا مغنمًا فأعطاه أبو موسى نصيبه ولم يُوفه، فأبى أن يأخذه إلا جميعه، فضربه أبو موسى عشرين سوطًا وحلق رأسه. فجمع شعره وذهب به إلى عمر ﷺ. فأخرج شعرًا من جيبه فضرب به صدر عمر. قال: ما لك؟ فذكر قصته. فكتب عمر إلى أبي موسى:

«سلام عليك، أما بعد؛ فإن فلان بن فلان أخبرني بكذا وكذا، وإني أقسم عليك إن كنت فعلت ما فعلت في ملأ من الناس إلا جلست له في ملأ فاقتص منك، وإن كنت فعلت ما فعلت في خلأ فاقعد له في خلأ فليقتص منك».

فلما دفع إليه الكتاب قعد للقصاص؛ فقال الرجل: قد عفوت عنه.

قصة فيروز الديلمي مع فتى من قريش:

كتب عمر بن الخطاب إلى فيروز الديلمي:[1]

---

(١) فيروز: كان من أبناء فارس الذين يحكمون اليمن ثم أسلم.

«أما بعد: فقد بلغني أنه قد شغلك أكل اللباب [١] بالعسل، فإذا أتاك كتـابي هذا فاقدم على بركة الله، فاغز في سبيل الله».

فقدم فيروز فاستأذن على عمر ﷺ فأذن له، فزاحمه فتى مـن قـريش، فرفـع فيروز يده فلطم أنف القرشي، فدخل القرشي على عمر مستدمي.

فقال له عمر: من فعل بك؟ قال: فيروز، وهو علـى البـاب، فـأذن لفـيروز بالدخول فدخل: فقال: ما هذا يا فيروز؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنـا كنـا حـديثي عهد بملك، وإنك كتبت إليَّ ولم تكتب إليه، وأذنت لي بالدخول، ولم تـأذن لـه، فأراد أن يدخل في إذني قبلي، فكان مني ما قد أخبرك، قال عمر ﷺ: القصاص. قال فيروز: لا بدَّ؟ قال: لا بدَّ، فجثى فيروز على ركبتيـه، وقـام الفتـى ليقـتص منه. فقال له عمر ﷺ: على رسلك أيها الفتى أخبرك بشيء سمعته مـن رسـول الله ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ ذات غداة، وهو يقول: «**قتـل الليلـة الأسـود العنسي الكذاب**[٢]**، قتله العبد الصالح فيروز الديلمي!**» أفـتراك مقتصًـا منـه بعـد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟! قال الفتى: قد عفوت عنه بعد إذ أخبرتني عن رسول الله ﷺ بهذا، فقال فيروز لعمر: أفترى هذا مخرجي مما صنعت إقراري له وعفوه غير مسـتكره؟ قـال: نعـم. قـال فـيروز: فأشـهدك أن سـيفي، وفرسـي، وثلاثين ألفًا من مالي هبة له، قال: عفوت مأجورًا يا أخا قريش، وأخذت مالاً.

قصة جارية وعدل عمر ﷺ:

أخرج الطبراني في «الأوسط»، وابن عساكر والبيهقي عن ابن عباس قال: جاءت جارية إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقالت: إن سيدي اتهمني فأقعدني على النار حتى احترق فرجي، فقال لها عمر: هل رأي ذلك عليك؟ قالت: لا. قال:

---

(١) اللباب: المحض الخالص الصريح، والمراد هنا الخبز الأبيض لأنه لباب القمح.

(٢) كان قد ادعى النبوة في اليمن في آخر حياة النبي ﷺ.

فهل اعترفت له بشيء؟ قالت: لا، فقال عمر: عليَّ به، فلما رأى عمر الرجل قال: أتعذب بعذاب الله؟ قال: يا أمير المؤمنين اتهمتها في نفسها، قال: أرأيت ذلك عليها؟ قال: لا، قال: فاعترفت لك به؟ قال: لا، قال: والذي نفسي بيده لو لم أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يُقاد[1] مملوك من مالكه، ولا ولد من والده**» لأقدتها منك، وضربه مائة سوط، وقال للجارية: اذهبي فأنت حرة لوجه الله، وأنت مولاة الله ورسوله؛ أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حرق بالنار أو مثل به فهو حر، وهو مولى الله ورسوله**».

الصبر وتحمل الشدائد:

عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه يقول عبد الله: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت – حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه وأتبعه عمر وأتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش وهم في أنديتهم (مجالسهم) حول الكعبة- ألا إن ابن الخطاب قد صبأ، قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكن قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وساروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم، قال: وطلح (أي: أعيا) فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاث مائة رجل لقد تركناهم لكم أو تركتموها لنا.

قال: فبينما هو على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حله حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم قال: ما شأنكم فقالوا: صبأ عمر، قال: فمه! رجل

(١) أي يؤخذ به.

اختار لنفسه أمرًا، فماذا تريدون أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبكم هكذا؟ خلوا عن الرجل.

قال: فوالله كأنما كانوا ثوبًا كشط (كشف) عنه.

قال: فقلت لأبي – بعد أن هاجر إلى المدينة – يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك –أي: بني– العاص بن وائل السهمي.

إن الفاروق صاحب الحق متحمل الشدائد من أول يوم في إسلامه.

– وعن عمر بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ﷺ قال: كان عمر يصاب بالمصيبة فيقول: أصبت بزيد بن الخطاب فصبرت وأبصر عمر قاتل أخيه زيد فقال له: ويحك لقد قتلت لى أخًا ما هبت الصبا (أي: الريح) إلا ذكرته.

الشورى:

وضع عمر دستور الشورى في الدولة الإسلامية والشورى التي وضع دستورها هي شورى الرأي الأصيل يستعين بكل أصيل من الآراء ولم يكن عمر يبرم أمرًا دون مشورة المسلمين ومن أهم القرارات التي صدرت نتيجة الشورى وأصبحت فيما بعد تقليدًا وهو هل يذهب الخليفة إلى قتال العدو على رأس الجيش أم يبقى في عاصمة الحكم وكان هذا الأمر ملحًا لتحرج موقف جيوش المسلمين بالعراق فقد استرد الفرس أنفاسهم بعد هزائمهم أمام المسلمين وبعد ذهاب خالد بن الوليد بقوة من الجيش لنجده المسلمين في الشام وبدأ «يزدجرد» يجمع الجيش والحشود فأسرع المثنى بن حارثة قائد الجيش يستنجد بعمر فكتب عمر إلى عماله أمر استغاثه يقول: «لا تدعوا أحدًا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إليَّ والعجل العجل» فلما اجتمع له من الجند بضعة آلاف خرج بهم حتى نزل على ماء يدعى صرارًا فعسكر به ولا يدري

الناس أيسير بنفسه على رأس الجيش إلى العراق أم يقيم بالمدينة ويؤمر على الجيش رجلاً غيره.

قال له عثمان: ما الذي تريد؟ فنادى عمر: الصلاة جامعة فاجتمع إليه الناس فلما أخبرهم الخبر قال العامة: سر وسربنا معك فدخل معهم في رأيهم وكره أن يدعهم حتى يخرجهم منه في رفق فقال: استعدوا واعدوا؛ فإني سائر إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك ثم بعث إلى أهل الرأي فاجتمع إليه وجوه الصحابة وأعلام العرب فقال: أحضروني الرأي، فإني سائر فاجتمعوا جميعًا وأجمع رأيهم على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ويقيم ويرميهم بالجنود فإن كان الذي يشتهي من الفتح فهو الذي يريد ويريدون وإلا أعاد رجلاً وندب رجلاً آخر وفى ذلك ما يغيظ العدو ويكف المسلمون ويجيء نصر الله بإنجاز موعود الله وقام عبد الرحمن بن عوف وأيد هذا الرأي فنادى عمر: الصلاة جامعة وقام في الناس فقال: «إن الله ﷻ قد جمع على الإسلام أهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخوانًا والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصابه غيره وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا أمرهم شورى بينهم وبين ذوى الرأي منهم؛ فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعًا لهم ومن قام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعًا لهم يا أيها الناس إني كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً وقد أحضرت هذا الأمر من قدمت ومن خلفت».

- وكان كذلك يستشر الناس في اختيار الولاة وقواد الجيش وربما أعانهم على حسن المشورة فقد أراد عمر أن يختار أحد القواد لجيوش العراق فقال للناس: أشيروا عليَّ برجل أوَّله أمر هذه الحرب، وليكن عراقيًا، قالوا: أنت أفضل رأيًا، وأحسن مقدرة، وأبصر بجندك، وقد وفد عليك أهل العراق وجنده

فرأيتهم وخبرتهم قال: أما والله لأولين أمرهم رجلاً يكون أول الأسنة إذا لقيها غدًا، النعمان بن مقرن»، قال الناس: هو لها.

- وقال مرة: دلوني على رجل استعمله على أمر قد أهمني، قالوا: فلان، قال: لا حاجة لنا فيه، قالوا: فمن تريد؟ قال: أريد رجلاً إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كأنه رجل منهم، قالوا: ما نعرف في هذه الصفة إلا في الربيع بن زياد الحارثي، قال: صدقتم فولاه.

وامتدت الاستشارة إلى كل شيء فشملت تنظيم مرافق الدولة وكيفية الاستفادة من الأموال العامة، وإنشاء الدواوين، وكان يستشير الأحداث والصبيان والمرأة حتى قال يوسف بن الماجشون لبعض الصبيان: لا تستحقروا أنفسكم؛ فإن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا أعياه الأمر المعضل دعا الأحداث فاستشارهم لحدة عقولهم.

وكان ينصح من يطلب استشارته فيقول: «لا تقولوا الرأي الذي تظنون يوافق هواي، وقولوا: الرأي الذي تحسبونه يوافق الحق».

وحينما حرر المسلمون العراق من حكم الفرس ودخل أكثر أهلها في دين الله رأي عمر ألا يقسم أرضها الزراعية بين المهاجرين، وأن تظل كما هي بأيدي أصحابها ثم ترد الضرائب المأخوذة عليها إلى بيت المال فتقسم بين الناس جميعًا كل منهم ونصيبه المفروض، وكان يرى أن هذا التقسيم سيقعد المهاجرين عن الجهاد ويحولهم إلى مالكين للأرض والآخرون محرومون منها هم ومن سيلحق بهم من بعد فعارض نفر من الصحابة وعلا صوتهم فقال لهم في هدوء: إنما أقول رأي الذي رأيته ثم جمع فريقًا من الأنصار مشهود لهم بالخبرة وفتح باب المناقشة وقال لهم: «إني دعوتكم لتشاركوني أمانة ما حملت من أموركم؛ فإني واحد كأحدكم، وأنتم اليوم تقرون بالحق خالفني من خالفني، ووافقني من

وافقني، ولست أريد أن تتبعوا هواي، فمعكم من الله كتاب ينطق بالحق فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريده فما أريد به إلا الحق».

الجرأة في الحق:

يقول الرسول ﷺ: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**».

وقال أيضًا ﷺ: «**عمر بن الخطاب معي حيث أحب وأنا معه حيث يحب والحق بعدي مع عمر بن الخطاب حيث كان**».

يقول ابن عباس: كان عمر يعطينا من الغنائم سهم ذي القربى من الخمس نحو مما كان يرى أن لنا فرغبنا عن ذلك، وقلنا: حق ذي القربى خمس الخمس.

فقال عمر: إنما جعل الله الخمس لأصناف سماهم فأسعدهم بها أكثرهم عددًا وأشدهم فاقة فأخذ ذلك منهم أناس وتركه أناس.

- وقد راجع علي والعباس وناس معهم عمر بن الخطاب في نصيب الرسول ﷺ فقال لهم: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون أن رسول الله قال: **لا نورث ما تركناه صدقة**.

قالوا: نعم ثم أقبل عمر على العباس وعلي فقال: أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمان أن رسول الله قال: **لا نورث ما تركناه صدقة**.

قال: نعم. فقال عمر: إن الله ﷻ كان خصَّ رسول الله بخاصة لم يخص بها أحدًا غيره.

قال: ﴿**مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ**﴾ [الحشر:٧].

قال: فقسم رسول الله بينكم أموال بني النضير فوالله ما أستأثر عليكم ولا أخذها دونكم حتى بقى هذا المال فكان رسول الله يأخذ منه نفقة سنة ثم يجعل ما بقى أسوة المال (أي: يضمه إلى بيت المال للمسلمين) ثم قال: أنشدكم بالله

الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم ثم نشد عباسًا وعليًا بمثل بما نشد به القوم أتعلمان ذلك؟

قال: نعم.

قال: فلما توفى رسول الله قال أبو بكر: «أنا ولي رسول الله ﷺ» فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله: «**ما نورث ما تركناه صدقة**» فرأيتماه كاذبًا أثمًا غادرًا خائنًا والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى أبو بكر فوليتها وأنا ولى رسول الله وولى أبي بكر فرأيتماني كاذبًا أثمًا غادرًا خائنًا والله يعلم أني لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتي أنت وهذا وأمركما واحد فقلتما: ادفعها إلينا فقلت: إن شئتم دفعتها إليكم على أن عليكما عهد الله أن تعملا فيها بالذى كان يعمل رسول الله فأخذتماها بذلك.

قالا: نعم.

قال: ثم جئتماني لأقضي بينكم لا والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فرداها إليَّ.

هكذا الحق في عم الرسول وابن أخيه لم يدفع النصيب من خمس الغنائم لذى قربى الرسول وإنما للمحتاجين منهم فقط ولسد حاجتهم فإن كانوا غير محتاجين صرف كله أو بعضه في باقى وجوه الصرف المقررة وكذلك في أمر ميراث رسول الله ﷺ.

المـــرح:

عمر القائد على الرغم مما هو معروف عنه من شدة في التعامل وزهد في الحياة كان يمرح وتعجبه الفكاهة ويطرب لها، ومما يروى في ذلك:

- فرغ الرسول ﷺ من بيعة الرجال بعد فتح مكة وأخذ في بيعة النساء فاجتمع إليه نساء من قريش فيهن هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لما كان من صنيعها بحمزة عم الرسول يوم أحد وهي تخاف أن يأخذها الرسول بصنيعها بحمزة ﷺ فلما دنون منه ليبايعنه قال ﷺ: تبايعنى على ألا تشركن بالله شيئًا.

قالت هند: والله إنك لتأخذ علينا أمرًا ما تأخذه على الرجال وسنوتيكه.

قال: ولا تسرقن قالت: والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة (الشيء القليل) والهنة وما أدري أكان ذلك حلالاً لى أم لا؟

قال أبو سفيان وكان شاهدًا: أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل.

فقال رسول الله: وإنك لهند بنت عتبة.

قالت: أنا هند بنت عتبة فاعف عما سلف، عفا الله عنك. فمضى رسول الله في أخذ البيعة وعاد يقول: ولا تزنين.

قالت: يارسول الله هل تزني الحرة؟

قال: ولا تقتلن أولادكن.

قالت: قد ربيناهم صغارًا وقتلتهم يوم بدر كبارًا فأنت وهو أعلم فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرب (أي: بالغ في الضحك) وكان قليل الإغراب في الضحك.

- دخل على خادمه أسلم وابنه عاصم وهما يغنيان فوقف يستمع ويستعيد وشجعهما إصغاؤه واستعادته فسألاه: أينا أحسن صنعة.

قال: مثلكما كمثل حماري العبادي.

سئل: أيهما شر؟

قال: هذا ثم هذا!

- فرض عمر لعمرو بن معدى كرب في الفيء ألفين؛ فقال له: يا أمير المؤمنين! ألف هاهنا (وأومأ إلى شق بطنه الأيمن)، وألف هاهنا (وأومأ إلى وسط بطنه الأيسر) فما يكون هاهنا (وأومأ إلى وسط بطنه) فضحك عمر من كلامه وزاده خمسمائة.

- حينما كان الحطيئة الشاعر العربي يهجو الناس، ففاجأه عمر بمزاح قاسٍ عليه حتى يكف عن هذا الأمر حيث دعا بكرسي وجلس عليه ودعا بالحطيئة من محبسه وأجلسه بين يديه ودعا بمثقب (أي: سكينة عظيمة) وشفرة يوهمه أنه سيقطع لسانه فضج الحطيئة، وتشفع له الحاضرون، ولم يطلق حتى أخذ عليه عهدًا لا يهجون أحدًا، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم فما هجا أحدًا بعدها وعمر بقيد الحياة.

- نظر عمر إلى أعرابي يصلي صلاة خفيفة؛ فلما قضاها، قال: اللهم زوجني بالحور العين؛ فقال عمر: أسأت النقد، وأعظمت الخطبة.

هكذا كان عمرًا مازحًا، وهو قائدًا أعلى لكل المسلمين.

القدوة الحسنة:

كان عمر قدوة في كل شيء من أفعاله حتى قيل لعثمان بن عفان: ألا تكون مثل عمر؟ قال: لا أستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم ومن أمثلة عمر كقدوة وما حققته هذه القدوة من نتائج ما يلي:

أولاً: القدوة في حياة عمر الخاصة:

١- **ونقصد بذلك**، أسلوبه في الحياة، من حيث المأكل، والملبس، والمركب... إلخ. وفى هذا المجال تفيض كتب التاريخ بأمور قد يعدها البعض

اليوم من قبيل المبالغة. ولكن من تمعن في حياة عمر، يجد أنها أمر طبيعي، وأن عمر قد وضع لنفسه خطًا معينًا لا يتجاوزه، وهو أن يحيا حياة عامة المسلمين، بل ودون ذلك في كثير من الحالات. وحجته في ذلك قاطعة لا سبيل إلى الرد عليها، عبر عنها بنفسه عام الرمادة، حين أخذ نفسه بأن يحيا كما يحيا رعاياه في ذلك العام الجدب. قال: «كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يصبني ما أصابهم؟!» ويقينًا أن هذه الحقيقة التي عبر عنها عمر ببساطة، هي مفتاح الحكم الصالح في كل عصر وزمان. فيوم يحس الحاكم بإحساس شعبه، فسوف يستقيم الحكم، وينصلح حال الرعية. ويوم ينفصل الحاكم عن شعبه، وتكون له حياته الخاصة المرفهة، فحينئذ ينفتح باب الفساد، ويتحقق قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:١٦]. وهذا يؤكد مرة أخرى أن تقشف عمر لم يكن مجرد عبادة- وفقًا للظاهر من قوله كما سنرى بعد قليل- ولكنه كان تعليمًا للرعية من ناحية، ووسيلة للإحساس بمشاكلها من ناحية أخرى.

٢- **طعام عمر:** تجمع كتب السير، على أن طعام عمر – منذ ولى الخلافة – كان أبعد ما يكون عن الطعام الشهى، الذي يغري الآكلين. ولهذا فليس بغريب أن زائريه لم يكونوا يرحبون بالأكل من طعامه، على عكس المألوف من موائد الحكام. ومما يروى في هذا الخصوص، أن حفص بن أبي العاص، كان يحضر طعام عمر، ولا يشاركه فيه. فقال له عمر ذات يوم: ما يمنعك من طعامنا؟! فرد ابن أبي العاص: إن طعامك جشب غليظ، وإنى راجع إلى طعام لين، قد صنع لى، فأصيب منه. فرد عمر مغضبًا «أتراني أعجز أن آمر بصغار المعزى فيلقى عنها شعرها، وأمر بلباب البر ثم آمر به فيخبر خبرًا رقاقًا، وأمر بصاع من زبيب فيقذف في سعن (قربة) حتى إذا صار مثل عين الحجل صب عليه الماء، فيصبح كأنه دم الغزال، فآكل هذا وأشرب هذا؟!» فقال ابن أبي العاص: إني لأراك عالمًا

بطيب العيش. فقال عمر: والذي نفسي بيده، لولا أن تنتقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم. لكنى أستبقي طيباتي، لأني سمعت الله تعالى يقول عن أقوام: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

ومن المشهورة أيضًا أنا أبا موسى الأشعري قدم على عمر في وفد البصرة، وقال: كنا ندخل على عمر كل يوم، وله خبز ثلاث، فربما وافقناها مأدومة بزيت، وربما وافقناها بسمن، وربما واقفناها باللبن، وربما واقفناها بالقدائد (أي: اللحوم المجففة) اليابسة، قد دقت ثم أغلى بها، وربما وافقنا اللحم الغريض (الطري) وهو قليل.

وقال لهم عمر يومًا: «أيها القوم! إني والله لقد أرى تعذيركم وكراهيتكم طعامى. وإني والله لو شئت لكنت أطيبكم طعامًا، وأرفهكم عيشًا! أما والله لو شئت لدعوت بصلاء (شواء) وصناب (خردل) وصلائق (خبز رقاق) وكراكر وأسنمة وأفلاذ (من أطايب لحم البعير)، ولكني سمعت الله جل ثناؤه عير قومًا بأمر فعلوه فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠].

وكثيرًا ما كان يقول: «لنحن أعلم بطيب الطعام من كثير من آكليه، ولكنا ندعه ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها».
والذى نعلمه من حياة عمر الأولى في صدر شبابه، وقبل إسلامه، يؤيد ما يقول: فلقد كان صاحب خمر، يشرب بالكبير؛ وكان صاحب نساء، ومن توافرت فيه هاتان الصفتان، فحري به أن يعرف أطيب الطعام.

ولقد التزم عمر في الطعام مبدأ أخذ به نفسه وأسرته، أنه لا يجمع بين إدامين، ومما يروى في هذا الصدد: أنه دخل على بنته حفصة -زوج الرسول- فقدمت إليه مرقًا باردًا، وصبت عليه زيتًا، فقال: إدمان في إناء واحد؟ ألا آكله حتى ألقى الله ﷻ.

وأحضر له لحم سمين ولبن، فأبى أن يأكلهما، وقال: كل واحد منهما إدم.

وذهب يتناول الطعام عند ابنه عبد الله، وبعد لقيمات قال: إني لأجد طعم دسم غير دسم اللحم، فقال عبد الله، يا أمير المؤمنين، إني خرجت إلى السوق أطلب السمين لأشتريه. فوجدته غاليًا، فاشتريت بدرهم من المهزول، وجعلت عليه بدرهم سمنًا. فقال عمر: ما اجتمعا عند رسول الله ﷺ، إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر. فقال عبد الله، يا أمير المؤمنين، ولن يجتمعا عندي أبدًا إلا فعلت ذلك!

وإذا كان مسلك عمر السابق يمكن تفسيره بتأسيه برسول الله وبصاحبه أبي بكر، فإن المبدأ التالي الذي أخذ به يؤكد المعنى الذي أبرزناه، وهو مضمون القدوة، ونعني به أنه حرم نفسه كل طعام لا يسع المسلمين: ومما يروى في ذلك:

لما قدم عتبة بن فرقد أذربيجان، أكل الخبيص، وهو نوع من الحلوى تصنع من التمر والسمن أو ما يشبهه. فلما وجده حلوا صنع منه سفطين عظيمين وأرسلهما إلى الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة. فلما تذوقة عمر، سأل الرسول: أكل المسلمين يشبعون من هذا في رحالهم؟! قال الرسول لا. فقال عمر: أما لا، فأرددهما! وكتب إلى عتبة «أما بعد؛ فإنه ليس من كدك، ولا كد أمك، أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك!!..

وحضر عتبة بن فرقد طعاما لعمر، فإذا هو طعام خشن لا يستطيع أن يستسيغه، فقال يا أمير المؤمنين، هل لك في طعام يقال له: الحوارى (يصنع من لباب الدقيق) فقال عمر: ويلك، ويسع المسلمين كلهم؟! قال: لا والله. قال: ويلك يا عتبة، أفأردت أن آكل طيباتي في حياتي الدنيا واستمتع بها!!.

وقدم الشام فصنع له طعام لم ير قبله مثله، فقال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير!! قال خالد بن الوليد:

لهم الجنة. فأغرورقت عينا عمر، وقال، لئن كان حضنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة، فلقد باينونا بونا بعيدًا.

ولهذا كان عمر لا يرفض طعاما يقدم إليه: فقد كان يأكل التمر بحشفه (بما فيه من تمر ردىء)، وكثيرًا ما كان التمر والماء يمثل وجبة كاملة عنده، يمسح بعدها على بطنه ثم يقول: «ويح لمن أدخله بطنه النار» وكان ينصح المسلمين بالابتعاد عن الإكثار من الطعام حيث يقول: «إياكم والبطنة، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد، مورثة للسقم» وينصح بالإقلال من اللحم.

فقد دخل على ابنه عاصم، وهو يأكل لحمًا؛ فقال: ما هذا!! قال: قرمنا إليه! قال: ويحك، قرمت إلى شيء فأكلته، كفى بالمرء شرها أن يأكل كل ما يشتهي! ولهذا لم يقبل عمر بن الخطاب من عمرو بن معدي كرب أن يصف قوما بالبخل، لأنهم أطعموه وهو ضيف بعض اللبن، وبقية من تمر، وقليلاً من السمن، وقال له: «إن في ذلك لشبعا!».

وربما اشتهى عمر طعامًا، ثم حرم نفسه منه لسبب أو لآخر، كما في القصة التالية: اشتهى عمر ذات يوم سمكا طريا. فأخذ يرفأ (مولاه) ناقة فسافر ليلتين مقبلا وليلتين مدبرًا حتى أحضر السمك. وعند وصوله إلى المدينة طفق يغسل الراحلة من العرق فنظرها عمر فقال: عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر. والله لا يذوق عمر ذلك!

٣- **لباس عمر:** لم يكن لباس عمر بأحسن حالاً من طعامه، فلعله أول رئيس دولة في التاريخ يلبس المرقعات، ويحتجب عن الناس؛ لأن قميصه يرفع أو يغسل! والمتوافر في ذلك أكثر من أن يحصى، ومن أشهره:

- قال علي بن أبي طالب -كرَّم الله وجهه: رأيت لعمر بن الخطاب إزارًا فيه إحدى وعشرون رقعة من أدم (أي: جلد) ورقعة من ثيابنا!.

- وقال أنس: رأيت في قميص عمر أربع رقاع بين كتفيه.

- وقال أبو عثمان النهدي: رأيت عمر يرمي الجمرة وعليه إزار مرقوع بقطعة جراب.

- وأبطأ عمر بن الخطاب جمعة في الصلاة فخرج، فلما صعد المنبر، اعتذر للناس، فقال: إنما حبسني قميصي هذا، لم يكن لي قميص غيره!.

- ومر عمر بن الخطاب بدهقان إحدى القرى، فألقى إليه قميصه فقال: اغسل هذا. قال الدهقان: فعمدت إلى قطريتين فقطعت من كل واحدة منهما قميصًا، ثم أتيته فقلت:اليس هذا فإنه أجمل وألين: قال عمر: أمن مالك؟ قال: بلى، قال: هل خالطه شيء من الذمة؟ قال: لا إلا الخياطة. قال: اغرب، هلم إلى قميصي، فلبسه وأنه لم يجف!

- وعن عبد الله بن عباس قال: خرجت أريد عمر بن الخطاب، فلقيته راكبًا مارًا وقد ارتسنه بحبل أسود، وفى رجليه نعلان مخصوفتان، وعليه إزار وقميص صغير، وقد انكشف منه رجلاه إلى ركبتيه، فمشيت إلى جواره، وجعلت أجذب الإزار وأسويه عليه، كلما سترت جانبًا انكشف جانب، فيضحك ويقول: إنه لا يطيعك، حتى جئنا العالية فصلينا، ثم قدم بعض القوم إلينا طعامًا من خبز ولحم. فإذا عمر صائم، فجعل يقدم إلى طيب اللحم ويقول: كل لي ولك! ثم دخلنا حائطًا فألقى إلى ردائه، وقال: أكفنيه، وألقى قميصه بين يديه وجعله يغسله وأنا أغسل رداءه، ثم جففناه العصر ومشينا!

وسواء تعلق الأمر بالطعام أو اللباس، فإن عمر يعلم يقينًا أن الإسلام لا يتطلب هذه القسوة. لا على النفس أو على الغير، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢]، ولكنها القدوة من ناحية، والزهد والتقشف من ناحية أخرى.

ولهذا فإن عمر نفسه لم يفرض على الولاة أسلوبه في الحياة وكل ما طلبهم به القصد والاعتدال، فلقد وفد إليه عامله من اليمن وعليه حلة فاخرة، فقال له: أهكذا بعثناك؟! فأمر بالحلة فنزعت، وألبس جبة صوت، ثم سأل عن ولايته، فلم يذكر إلا خير، فرده على عمله، ثم وفد إليه بعد ذلك، فإذا بالعامل أشعث مغير، عليه أطلاس. فقال عمر: لا، ولا كل هذا! إن عاملنا ليس بالشعث ولا العافي، كلوا واشربوا وادهنوا، إنكم ستعلمون الذي أكره من أمركم.

وكتب إليه أبو عبيدة أنه لا يريد الإقامة بأنطاكية لطيب هوائها، ووفرة خيراتها مخافة أن يخلد الجند إلى الراحة، فلا ينتفع بهم بعدها في قتال، فأنكر عليه عمر ذلك وأجابه: «إن الله ﷻ لم يحرم الطيبات على المتقين الذين يعملون الصالحات؛ فقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ [المؤمنون:٥١].

وكان يجب عليك أن تريح المسلمين من تعبهم، وتدعهم يرغدون في مطعمهم ويريحون الأبدان النصبة في قتال من كفر بالله.

وحدث حذيفة بن اليمان أنه أقبل على الناس وبين أيديهم القصاع، فدعاه عمر إلى الطعام وعنده خبز غليظ وزيت. فقال حذيفة: أمنعتني أن آكل الخبز واللحم، ودعوتني على هذا؟! قال عمر: إنما دعوتك على طعامي، أما ذاك فطعام المسلمين!!.

بل إن عمال عمر رفضوا أن يعاملوا معاملة عمر لنفسه! ولعل هذا آية العجب فقد قدم أبو موسى الأشعري في وفد البصرة على عمر؛ فقال أبو موسى: لو كلمتم أمير المؤمنين يفرض لنا من بيت المال أرزاقنا. فلما كلموه. قال لهم عمر: يا معشر الأمراء! أما ترضون لأنفسكم ما أرضاه لنفسي! قالوا: يا أمير المؤمنين إن المدينة أرض العيش بها شديد، ولا نرى طعامك يغشى ولا

يؤكل. وإنا بأرض ذات ريف. وأن أميرنا يغشى وإن طعامه يؤكل. فنكت في الأرض ساعة ثم رفع رأسه فقال: نعم، فإني قد فرضت لكم كل يوم من بيت المال ثم رفع رأسه فقال: نعم، فإني قد فرضت لكم كل يوم من بيت المال شاتين وجريبين (مكيال) فإذا كان بالغداة فضع إحدى الشاتين على أحد الجريبين فكل أنت وأصحابك، ثم ادع بشرابك، فاشرب ثم اسق الذي على يمينك ثم الذي يليه، ثم قم لحاجتك. فإذا كان بالعشي، فضع الشاة الغابرة على الجريب الغابر، فكل أنت وأصحابك، ثم ادع بشرابك فاشرب، ألا وأشبعوا الناس في بيوتهم. وأطعموا عيالهم، فإن تحفينكم للناس لا يحسن أخلاقهم، ولا يشبع جائعهم!، وواضح تمامًا أن هذا النوع من الطعام، يختلف عما أخذ عمر به نفسه، وهو الخبز والزيت في معظم الحالات.

إن أخشى ما كان يخشاه عمر – وقد أثبتت الأحداث فراسته فيما بعد – أن تخرج النعمة الوافدة، العربي عن طبعه الأصيل، فينسى في غمار اللذة، الهدف الكبير، والرسالة السماوية الخالدة التي حمل بها هذا الشعب. ومن هنا كان نفور عمر من انكباب ولاته على الترف الدنيوي، لأنهم بدورهم قدوة المسلمين كل من ناحيته. نجد هذا المعنى واضحًا في القصة التالية التي رواها الأحنف بن قيس حيث يقول: أخرجنا عمر في سرية إلى العراق وبلاد فارس، أصبنا من بياض فارس وخراسان، فحملنا معنا واكتسينا. فلما قدمنا على عمر، أعرض عنا بوجهه وجعل لا يكلمنا. فاشتد ذلك علينا فشكونا ذلك إلى ولده عبد الله فقال: لقد رأي عليكم لباسًا لم يلبسه رسول الله ﷺ ولا الخليفة من بعده. فأتينا منازلنا، فنزعنا ماكان علينا وأتيناه في البزة (الهيئة) التي يعهدها منا، فقام فسلم علينا، على رجل رجل، واعتنق رجلا رجلا حتى كأنه لم يرنا، فقدمنا إليه الغنائم فقسمها بيننا بالسوية، فعرض في الغنائم شيء من أنواع الخبيص، فذاقه، فوجده طيب الطعم والريح. فقال: يا معشر المهاجرين والأنصار، ليقتلن منكم

الابن أباه، والأخ أخاه على هذا الطعام! ثم أمر به فحمل إلى أولاد من قتل من المسلمين، ولم يأخذ لنفسه شيئًا!.

ومثلها أيضًا أن عمر استحضر عامله زياد بن عبد الله، فجاء وعليه ثياب من كتان، وخفان ساذجان (من نوع فاخر) وكان في يد الخليفة مخصرة على رأسها حديد، فغمزها في خفي زياد حتى آذى رجليه. فلما كان الغد رجع إليه زياد في خفين غليظين، وعليه ثوبان من قطن. فلما رآه عمر هش له، وقال: هكذا يا زياد، هكذا يا زياد!

لقد أدرك عمر أن الله حين حمل العرب رسالة الإسلام، وفرض عليهم الجهاد، قد حولهم إلى جنود، والجندي لا يصلح له الترف، بل إن الترف يفسده، ويعين عليه عدوه. ولقد صدق عمر، ففى عهده اندفعت الجيوش الإسلامية كالإعصار الكاسح، لم يقف في طريقها شيء إلا دمرته. حتى إذا أخلد المسلمون إلى الترف، وقلدوا غيرهم من الأمم، لم تقم لهم قائمة وهزموا في مشارق الأرض ومغاربها.

٤- مركب عمر: كان عمر ﷺ يركب المألوف من الدواب عند العرب، وأشهرها الخيل والجمال؛ وهو لم يتخذ شيئًا مما يختص به الحكام أو رؤساء الدول من وسائل الركوب المميزة. بل إنه لم يجد حرجًا أن يركب مع غلام حماره في يوم حار، فقد خرج الخليفة في يوم قائظ، واضعًا رداءه على رأسه، فمر به غلام على حمار. فقال له: احملني معك، وأراد الغلام أن يترك الحمار للخليفة إكبارًا له، ولكنه أبى وركب خلف الغلام، ودخلا المدينة والناس ينظرون.

ولقد سببت هذه البساطة حرجًا لولاته بالشام، حين ذهب إليها في شئون الدولة، فقد قدم الجابية (موضع بالشام) على جمل أورق، وهو حاسر الرأس، تلوح صلعته للشمس، ليس عليه قلنسوة أو عمامة، رجلاه بين شعبتي رحله بلا ركاب، وطاؤه كساء أبجباني (نسبة إلى منبج) ذو صوف هو ركابه إذا ركب،

ووسادته إذا نزل؛ عليه قميص من كرابيس (أي: قطن) مخطط، قد تخرق جنبه. فقال: ادع لى رأس القربة؛ فلما جاء، طلب منه أن يغسلوا قميصه ويخيطوه، وأن يعيروه قميصًا أو ثوبًا حتى يجف. فقيل لعمر: أنت ملك العرب! وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، وجيء له ببرذون، فطرح عليه قطيفته بلا سرج ولا رحل، وركبه فقال: احبسوا احبسوا! ما كنت أظن أن الناس يركبون الشياطين قبل هذا وركب جمله ومضى.

وفى رواية أخرى أن الناس لما استقبلوه وهو على بعيره قالوا: يا أمير المؤمنين، لو ركبت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال: لا أراكم هاهنا، إذا الأمر من هاهنا (وأشار بيده إلى السماء) خلوا سبيل جملي.

٥- القدوة في آل عمر: وكما جعل عمر من نفسه قدوة، فإنه جعل آلة قدوة أيضًا؛ لأن الناس كما ينظرون إليه ينظرون إلى آله.

فكان أحصف وأقوى من أن تغيب عنه هذه الحقيقة، ولهذا فقد كان إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله، ثم قال لهم: «إني قد نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا! وإني والله لا أوتي برجل منكم وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العذاب لمكانه مني؛ فمن شاء منكم فليتقدم، ومن شاء فليتأخر!!»

ثانيًا: القدوة في حياة عمر العامة:

١- ونعني بها سلوكه كخليفة، ورئيس دولة، قد استودع السلطة العامة، وصار حفيظًا على أموال المسلمين، وهنا أيضًا نجد أن عمر قد جعل من نفسه، ومن آله، قدوة حية على مدى العصور.

٢- وأول ما يعرض في هذا المجال راتب عمر من بيت المال كرئيس دولة.

كان لعمر رأي في هذا الأمر إبان خلافة أبي بكر ذلك أن الخليفة الورع لم

يخطر بباله حين خلف رسول الله، أنه سوف يؤجر على عمله، وظنها حسبة لوجه الله تعالى. ولكن مطالب الحياة -له ولأسرته- اضطرته إلى ممارسة التجارة، فانشغل بذلك عن أمور المسلمين. فُطلب إليه عمر التفرغ، على أن يؤجر على عمله من بيت مال المسلمين.

فلما آل الأمر إلى عمر، جمع الناس يستشيرهم في مرتبه، وقال لهم: إني كنت امرأً تاجرًا، وقد شغلتموني بأمركم هذا، فما ترون أنه يصلح لي من هذا المال؟! فقال عثمان ﷺ: كل وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد، وأكثر القوم، وعلي ساكت، فقال له عمر: وما تقول أنت في ذلك؟ قال: ما يصلحك ويصلح عيالك بالمعروف، ليس لك من هذا الأمر غيره، فقال القوم: القول ما قال علي بن أبي طالب.

وفى موضع آخر فصل عمر ما يستحله من بيت المال بقوله: «استحل منه حلتين: حلة للشتاء وحلة للصيف، وما يسعني لحجي وعمرتي، وقوت أهل بيتي، وسهمي مع المسلمين كسهم رجل منهم، ليس بأرفعهم، ولا بأوضعهم ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم.

وكان أيضًا يقول: «إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولى اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإن أيسرت قضيت».

٣- على أن المسلمين كانوا إلى القدوة في آل عمر أحوج منهم إلى القدوة في عمر ذاته، وربما قسى على أبنائه قسوة تجافي العدالة آخذًا بالأحوط وتطهيرًا لمال أبنائه من أن يخالطه مال حرام.

فقد حدث أن اشترى عبد الله بن عمر إبلاً هزيلة، وساقها إلى الحمى، فلما سمنت ذهب بها إلى السوق لبيعها، فلما رآها عمر، قال لابنه يوضح له موضع الريبة في كسبه: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين! يا عبد

الله ابن عمر! خذ رأسمالك، واجعل الربح في بيت مال المسلمين!.

وشبيه بالحالة السابقة ما روي من أن عبد الله وعبيد الله ابني عمر، خرجا في جيش العراق، فلما قفلا مرًّا على أبي موسى الأشعري، وهو أمير البصرة، فرحب بهما. وأراد أن يسدي إليهما معروفًا، فقال لهما: هاهنا مال من مال الله، أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين وأسلفكماه، فتبتاعان به من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين، ويكون لكما الربح، ففعلا، وكتب إلى عمر ليأخذ منهما المال، فلما قدما على عمر، قال: أكل الجيش أسفل كما أسفلكما؟! فقالا: لا، فقال عمر: أديا المال وربحه. أما عبد الله —وكان أشبه الناس بأبيه ورعًا وتقوى، ومن ثم كان أحب آله إليه— فسكت. وأما عبيد الله، فقد أثر مناقشة أبيه وفقًا لقواعد المنطق، فقال: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين، لو هلك المال أو نقص لضمناه.

ولا شكً أن تلك حجة قوية ما كان عمر القاضي ليغفل عن دلالتها، ولهذا قبل الخليفة أن يجعل المال قراضًا (شركة) فأخذ رأس المال، ونصف ربحه، وترك لهما النصف مقابل ما تعرضا له من مخاطر، وما بذلاه من جهد.

وبينما كان عمر يمشي في سكة من سكك المدينة، إذا هو بصبية تطيش هزالا، تقوم مرة، وتقع أخرى، قال عمر: يا حوبتها، يا بؤسها، من يعرف هذه منكم؟! قال عبدالله: أما تعرفها يا أمير المؤمنين؟! قال: لا، قال: هذه إحدى بناتك، قال: وأي بناتي هذه؟! قال: هذه فلانة بنت عبد الله بن عمر!!! قال: ويحك، وما صبرها إلى ما أرى؟ قال: منعك ما عندك.

قال عمر: ومنعي ما عندي، منعك أن تطلب لبناتك ما يطلب القوم لبناتهم، إنك والله ما لك عندي غير سهمك في المسلمين وسعك أو أعجزك! هذا كتاب الله بيني وبينكم!!

وكان عامل بيت المال ينظفه يومًا، فوجد فيه درهمًا، فدفعه إلى ابن لعمر، فاستدعاه الخليفة حين بلغه الأمر، ونهره وقال له: أوجدت على في نفسك سببًا؟! أردت أن تخاصمني أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة!!.

وكان عمر يعرف ضعف النفس البشرية، ومحاولة الناس التقرب إلى الحاكم عن طريق مجاملة آله وذويه، وكان الخليفة يرى في ذلك كسبًا حرامًا، بل ومعصية يجب أن يحصِّن أبناءه ضدها، وليس أبلغ في الدلالة على ذلك من القصة التالية، التي كان بطلها عبد الله بن عمر، صورة أبيه في الورع والتقوى والزهد، قال عبد الله: استأذنت عمر في الجهاد، فقال: أي بني أخاف عليك الزنا!!! فقال عبد الله: أو على مثلي تتخوف ذلك؟ قال عمر: تلقون العدو، فيمنحكم الله أكتافهم، فتقتلون المقاتلة، وتسبون الذرية، وتجمعون المتاع، فتقام جارية في المغنم، فينادي عليها فتسوم بها، فينكل الناس عنك، ويقولون: ابن أمير المؤمنين، ولله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيها حق، فتقع عليها، فإذا أنت زان!!!.

وبهذا المنطق كان يرى أن كسب أولاده من التجارة ليس كل نتيجة لمهارتهم فيه بل يرجع إلى مجاملة الناس لهم في البيع أو الشراء، ومن ثم فهو كسب حرام.

وما فعله مع أبنائه فعله مع أزواجه فقد قدم بريد ملك الروم على عمر فاستقرضت إحدى زوجاته دينارًا واشترت به عطرًا وجعلته في قوارير وبعثت به مع البريد إلى زوج ملك الروم فقامت هذه بتفريغ القوارير مما فيها وملأتها جواهر وأرسلت بها إلى زوج عمر فلما بلغ عمرًا أخذ الجواهر فباعها ودفع إلى امرأته دينارًا وجعل ما بقى من ذلك في بيت مال المسلمين.

ولعل ما حققته قدوة عمر من نتائج كانت طبيعية لذلك القائد القدوة فقد اتضحت في:

- أمانة الجند عند جمع الغنائم.
- أمانة الولاة في رعاية المحكومين.
- تنفيذ الولاة أوامر عمر حرفيًا، وذلك ليس هيبة منه، ولكن أولاً لقدوة ضربها بنفسه وآل بيته.

اللين:

اللين عند عمر كانت لضعيف المسلمين وأخذ الحق له من قويهم وحدث أن اجتمع على وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد – ﷺم – وكان أجرأهم على عمر عبد الرحمن بن عوف قالوا: يا عبد الرحمن لو كلمت أمير المؤمنين للناس؛ فإنه يأتي الرجل طالب الحاجة فتمنعه هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع، ولم يقض حاجته فدخل عليه فكلمه فقال: يا أمير المؤمنين لنْ للناس؛ فإنه يقدم القادم فتمنعه هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع ولم يكلمك، قال: يا عبد الرحمن أنشدك الله أعلي وعثمان وطلحة والزبير وسعد أمروك بهذا؟ قال: اللهم نعم، قال: يا عبد الرحمن والله لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله في الشدة فأين المخرج؟ فقام عبد الرحمن يبكي يجر رواءه –بيده يقول: أف لهم بعدك.

- وعن الشعبي قال: قال عمر ﷺ: والله لقد لان قلبي في الله حتى لهو ألين من الزبد (أي: الزبدة) واشتد قلبي في الله حتى لهو أشد من الحجر.

- وعن ابن عساكر عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: لما ولى عمر بن الخطاب ﷺ قال له رجل: لقد كان بغض الناس أن يحيد هذا الأمر عنك، قال عمر: وما ذاك؟

قال: يزعمون أنك فظ، قال عمر: الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رحمًا وملأ قلوبهم لي رعبًا.

تحديد الهدف:

الخطاب الأول، خطة العمل المقرر تنفيذها واتباعها طوال الحكم إلى أن يشاء الله.

يقول عمر بن الخطاب عندما تولى الخلافة: «بلغني أن الناس هابوا شدتي وخافوا غلظتي، وقالوا: قد كان عمر يشتد ورسول الله بين أظهرنا ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه فكيف، وقد صارت الأمور إليه؟ ألا من قال هذا فقد صدق؛ فإني كنت مع رسول الله عونه وخادمه وكان ﷺ من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة وكان كما قال الله تعالى: «بالمؤمنين رءوف رحيم» []؛ فكنت بين يديه سيفًا مسلولاً حتى يغمدني أو يدعني فأمضى فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله، وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيرًا وأنا به أسعد.

ثم ولى أمر المسلمين أبو بكر فكان من لا تنكرون دعته وكرمه ولينه فكنت خادمه وعونه أخلط شدتي بلينه فأكون سيفًا مسلولاً حتى يغمدني فأمضي فلم أزل معه كذلك حتى قبضة الله ﷻ، وهو عني راضٍ والحمد لله ذلك كثيرًا وأنا به أسعد.

ثم إني قد وليت أموركم أيها الناس؛ فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا أو يعتدي عليه حتى أضع خده على الأرض حتى يذعن للحق، وإني بعد شدتي تلك أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف ولكم على أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها: لكم عليَّ ألا أجتبي شيئًا من خراجكم، وما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليَّ إذا وقع في يدي إلا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليَّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسد ثغوركم، ولكم

عليَّ إلا ألقيكم في المهالك، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم فاتقوا الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني وأعينوني على نفسي بالأمر المعروف، والنهي عن المنكر، وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم».

هكذا:

- القائد جنديًا طالما هناك قائدًا أعلى منه عليه أن يناقش ويسدي النصح وفى النهاية يسمع ويطيع.
- للشدة موضعها وللرحمة كذلك:

فالشدة على الظالمين الطامعين في غير حقوقهم فإن رجعوا عن ذلك فهو من القائد وله وهو خادمهم عند ذلك طالموا أذعنوا للحق.

- كل شيء بحساب لا ظلم في أخذ الحقوق بل على الجميع العدل وإعطاء كل ذي حق حقه.
- المسئولية ليست أمام البشر وإنما أمام الله الذي لا تخفى عليه خافية.
- المسئولية مسئولية مباشرة عن كل رجل في الأمة وامرأة وطفل يحمل القائد على كتفيه ولا يوزعها على الآخرين الذين هم بمسئولياتهم مشغولون.
- على الجميع أن يعين القائد بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإسداء النصيحة الخالصة حتى يسعد الجميع وينعم بالأمن والأمانة.

العرض الواضح:

حينما تولى عمر الخلافة وخطب خطبته الأولى وحدد بها أهدافه أعلن فيها سياسته العامة ومنها سياسته المالية، وقال: «أيها الناس! إنه لم يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية، وإني لا أجد هذا المال (يقصد المال العام) يصلحه إلا خلال ثلاث أن يؤخذ بالحق ويعطى في الحق ويمنع من الباطل».

ثم استطرد يقول: إنما أنا ومالكم كولي اليتيم إن استغنيت استعففت، وأن افتقرت أكلت بالمعروف، ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا أو يعتدي عليه حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق ولكم أيها الناس خصال أذكرها فخذوني بها، لكم عليَّ إلا أجتبي شيئًا من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليك إلا من وجهه، ولكم عليَّ إذا وقع في يدي إلا يخرج مني إلا بحقه، ولكم عليَّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله، وأسد ثغوركم.

هكذا من هذه النقاط تتضح السياسة المالية لعمر حيث الأسس التالية:

أولاً: تأخذ الدولة المال العام بالحق فلا يجبي شيء من الخراج أو مما أفاء الله على الناس إلا من وجهه أي: تراعي الدولة الحق فيما تفرضه من فرائض مختلفة فتراعي العدل في هذه الفرائض فتأخذ من كل فرد ما يتناسب مع مقدرته وتحدد الوعاء الخاضع لما تقرض فلا تزيد نصيب بيت المال بالجور على الفرد ولا العكس.

وأن تراعي الدولة الحق كذلك في تحصيل استحقاقها، وأن تضع مواعيد معينة ملائمة في تحصيل الزكاة والخراج.

ثانيًا: تعطي الدولة المال العام في الحق، ولا يخرج إلا بحقه، وتزيد الدولة الأعطيات، وتسد الثغور، أي: يكون الغرض النفقة العامة مشروعًا فلا ينفق المال العام في باطل، وأن توجه الأموال والموارد العامة في أوجه الإنفاق التي حدَّدها الله ﷻ.

وأن يكون إعطاء المال بالقدر الذي يحقق الغرض المشروع بدون إسراف أو تقتير وأن تعود المنفعة على الرعية فلا ينفرد بها فئة دون أخرى.

ثالثًا: تمنع الدولة المال العام من الباطل ولا يأخذ الحاكم منه إلا كما يأخذ ولي

اليتيم أن استغنى استعفف، وإن افتقر أكل بالمعروف.

أي منع المال من سوء الإدارة الذي يتسم به القائمون على المال العام مما يؤدي إلى فساد قرارات المال العام كلها أو بعضها فتنحرف عن الحق مع التدقيق الدائم في اختيار القائمين على المال والتأكد من توافر صفات لازمة فيهم تمنعهم من إتيان الباطل وهذه الصفات هي:

- أن المال كمال اليتيم أي: لا بدَّ من اتباع مبدأ الإعفاف.
- إن هذا المال الإنسان مستخلف عليه.
- إن المال العام مستقل عن أموال الحاكم والولاة وعليه ليس لهم أن يحصلوا عليه فهو مال الشعب.

تلك كانت سياسة عمر المالية الأساسية عرض واضح مفصل موجز لا ظلل فيه ولا تقصير.

التخطيط والتنظيم والإشراف والتوجيه:

- لما كان التخطيط يرتبط بفلسفة المجتمع فإنه يعمل على تحقيق أهداف هذا المجتمع والمجتمع الإسلامي يرتبط بكتاب الله وسنة رسوله وبناء عليه يعمل التخطيط الإسلامى في ظل فلسفة الدين الإسلامى ويحقق أهدافه ومن أبرز النماذج على التخطيط لدى عمر بن الخطاب التخطيط المالي خاصة فرض الخراج على أرض الغنائم فقد جمع عنها البيانات اللازمة فلما رأى اتساع مساحتها قرر عدم توزيعها، وساند ذلك بالمشورة وكذلك تناقش عمر مع الصحابة في ماهية الأسس التي يمكن أن يقوم عليها التوزيع بعد أن تبين له كبر حجم الغنائم التي وردت لبيت المال فوضع أسسًا قامت عليها خطة توزيع الأعطيات تخالف سياسة أبي بكر التي قامت على المساواة في التوزيع وكذلك تخطيط عمر بن الخطاب للمعارك الحربية التي كانت نتائجها نصرًا وغنائم

وكانت خيرًا وبركة على بيت المال فضلاً عن تخطيط الجانب الحربي للفتوحات كان يخطط الجانب المالي كتخيير أهل الكتاب بين الإسلام ودفع الجزية وجذب الفلاحين نحو البقاء في الأرض ودفع الخراج وتخطيط الأماكن اللازمة للجند ومصادر تمويلها حتى أنه خطط كيفية بناء مدينتي الكوفة والبصرة بحيث يتلائم وطبيعة العربي في شبه الجزيرة.

وكان من سمات عمر عند التخطيط ما يلي:

- **جمع البيانات:** فكان يرجع إلى القرآن والسنة فإذا وجد بهما ما يرشده أخذ به، ومثال ذلك عند تطبيق الجزية على المجوس تأكد من أن الرسول قد طبقها عليهم.

- **المفاضلة بين البدائل المختلفة:** كان يفاضل بين البدائل المختلفة ويختار أصلحها لخير الإسلام والمسلمين، ومثال ذلك فرض الجزية على بني تغلب فقد رفضوا الجزية وطالبوا بتطبيق الزكاة عليهم وكانوا أولي بأس في الحرب فكان أمام عمر بن الخطاب بديلان إما ألا يستجيب إلى طلبهم فيلحقون بالأعداء ويكونون حربًا على الإسلام والمسلمين أو يستجيب لطلبهم ويضعف الأعداء وقد طبق الرأي الثاني إيثارًا للمصلحة العامة.

- **الأخذ بالمشورة:** وقد أخذ بها في فرض الخراج والأعطيات وفى تحديد راتب له.

- **مرونة التخطيط:** كان ﷺ يعدل خططه إذا طرأت على المجتمع ظروف تدعو لذلك فقد أجل تحصيل الأموال العامة في عام الرمادة إلى عام تالي وطبق سعر منخفض لعشور التجارة على بعض السلع التي كان المجتمع الإسلامى في حاجة إليها بسب قلة المعروض منها.

- بعد وضع الخطط أتى التنظيم فإذا ما قام عمر بتنظيم الأموال والمالية

للمسلمين تطلب تنفيذ الخطة المالية إنشاء وحدات تنظيمية تدار بمعرفة مشرفين ويعاونهم عاملون من مستويات مختلفة يقومون بأداء الأعمال المنوطة بهم في ظل اختصاصات واضحة وتعليمات معلنة، ويخضع ذلك كله لنظام الرقابة من عمر فقام عمر بـ:

- إنشاء وحدات تنظيمية للمالية العامة حث اتسعت دائرة النشاط المالي في عهده واحتاجت الدولة إلى مقار لمزاولة أنشطة المالية العامة الإسلامية فأنشأ عمر ديوانين لهذا الغرض وهما ديوان العطاء الذي يختص بالنفقات العامة للدولة وديوان الخراج ويختص بالإيرادات العامة للدولة وأقام كذلك دار الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه الضيف أو المنقطع يعينه به وديوان الإنشاء لحفظ الوثائق الرسمية.

- إشراف عمرو وتوجيه للرعية كان نابعًا من مبدأ إشراف القيادة في الإدارة الإسلامية استنادًا لحديث الرسول: «**لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم**» كما يقرر الإسلام التدرج في الدرجات، ومن ذلك كان إشراف عمر فكان الإشراف المالي على عهد الرسول يعاونه فيه كتبه لأموال الصدقات والمغانم وفى عهد أبو بكر الصديق عهد به إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تولى عمر الخلافة فأشرف بنفسه على بيت المال وأعلن ذلك على الناس ووزَّع باقي الوظائف التنفيذية على الآخرين بعد اختيارهم بدقة واستحدث عدة وظائف يشرف عليها بنفسه منها:

- وظيفة عامل الخراج ← وهي وظيفة توجد في كل ولاية أو بلد ويقوم بجمع الخراج.

- وظيفة العاشر ← وهي وظيفة تقوم على أخذ عشور التجارة بعدما فرضت العشور في عهده.

- وظيفة المصدق ← وهي وظيفة جامع الزكاة الذي يفد على الناس فيراجع ما يملكونه ويتحقق من صحة بياناتهم عند جمع الزكاة.
- وظيفة العامل على أرض الحمى ← قدر عمر في كل بلد وولاية خيولاً من أفضل أموال المسلمين لتكون عدة تحسبًا لأي طارئ قد يطرأ.
- وظيفة صاحب الأقباض ← وهو الذي كان يصاحب الجيوش الإسلامية ويقبض المغانم ويسجلها.

كما أصدر عمر ما يوضح به سياسته وزاد على ذلك بإصدار التعليمات والفتاوى والفصل بين المنازعات وتقديم النصح عندما يمنح العطاء من بيت المال بل ويناقش آراء المنتفعين بأمول بيت المال إذا ما رأوا أن ما حصلوا عليه من أموال قليلة.

ومن توجيهات عمر للناس نحو استثمار الأعطيات وعدم صرفها كلها على الاستهلاك أمانًا من الفقر في مستقبل الأيام ما قاله خالد بن عرفطة الغذري لعمر:

«يا أمير المؤمنين تركت الناس يسألون الله أن يزيد في عمرك من أعمارهم ما وطئ أحد القادسية إلا وعطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة وما من مولود يولد إلا الحق وجريبين في كل شهر ذكرًا كان أم أنثى وما يبلغ لنا ذكرا إلا الحق على خمسمائة أو ستمائة فإذا خرج هذا لأهل بيت منهم من يأكل الطعام ومنهم من لا يأكل فما ظنك به؟ إنه لينفق فيما ينبغي وفيما لا ينبغي

فقال عمر: الله المستعان إنما هو حقهم أعطوه وأنا أسعد بأدائه إليهم منهم بأخذه، فلا تحمدني عليه؛فإنه لو كان من مال الخطاب ما أعطيتموه، ولكني قد علمت أن فيه فضلاً، ولا ينبغي أن أحبسه عنهم فلو أنه إذا خرج عطاء أحد

هؤلاء ابتاع منه غنمًا فجعله بسوادهم فإذا خرج عطاؤه الثانية ابتاع الرأس والرأسين فجعله فيها فإني -ويحك خالد بن غرفطة- أخاف عليكم أن يأتيكم بعدى ولاة لا يعد العطاء في زمنهم مالاً، فإن بقي أحد منهم أو أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه فيتكئون عليه؛ فإن نصيحتي لك، وأنت عندي جالس كنصيحتي لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين، وذلك لما طوقني الله من أمرهم قال رسول الله: «**من مات غاشًا لرعيته لم ير رائحة الجنة**».

اختيار الرجال الأكفاء:

كل قائد يحتاج إلى معاونين له حتى يقوموا معًا بصالح البلاد والعباد وتحددت طبيعة هؤلاء المعاونين في عهد عمر بن الخطاب فحدد شروطه في اختيار من يعاونوه فقال:

- «لو علمت أن أحدًا أقوى مني على هذا الأمر لكان ضرب العنق أحب إليّ من هذه الولاية».
- إن الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم بعد صاحبي فلا والله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني ولا يتغيب عني فألو فيه عن أهل الصدق والأمانة ولئن أحسنوا لأحسنن إليهم، ولئن أساءوا لأنكلن بهم».
- «ما كان بحضرتنا باشرناه بأنفسناه، وما غاب عنا ولينا فيه أهل القوة والأمانة؛ فمن يحسن نزده، ومن يسيئ نعاقبه».

ومعنى هذه القواعد واضح جدًّا من النواحي الإدارية حيث:

- على القائد أن يباشر الأمور العامة ما اتسعت لها قدراته وألا يوكل ذلك إلى أحد مهما كانت ثقته به، وذلك في حدود قاعدة التخصص وتوزيع السلطات.
- على القائد أن يختار أقدر المسلمين على القيام بالمهام العامة وأن يراقبهم

ويحاسبهم على أعمالهم إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

كيف كان يختار عمر بن الخطاب؟

كان عمر يتطلب في المرشح للولاية شروطًا مثلى ففضلاً عن العلم والورع كان يشترط القوة في الرجل فيقول: «إني لأتحرج أن أستعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه»، والدليل على ذلك أنه ﷺ كان قد ولى شرحبيل بن حسنة على الشام وأضاف عمله إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال الوالى المعزول يسأل الخليفة: أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟

فقال الخليفة: لا إنك لكما أحب، ولكن أريد رجلاً أقوى من رجل، قال شرحبيل: فأعذرني في الناس لا تدركني هجنة.

فقام عمر فقال: أيها الناس إني والله ما عزلت شرحبيل عن شخصه، ولكني أردت رجلاً أقوى من رجل.

- الهيبة مع التواضع فكان يقول: «أريد رجلاً إذا كان في القوم، وليس أميرهم كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم» فعلى الرغم من شدة تواضع عمر بن الخطاب إلا أن كان حريصًا على هيبة السلطان وعدم إجتراء الرعية على الحاكم وطبق هذا المبدأ على نفسه وعلى ولاته فحينما أتى مال له فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إلى الخليفة فعلاه عمر بالدرة وقال: «أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك».

- الرحمة بالناس وقصد الوالي المختار للولاية سبق ذكرها عندما، قال لعمر: «أن لي عشر أولاد مثله ما دنا أحد منهم مني».

- إلا يطلب الولاية مرشح لها فعندما أراد أن يستعمل رجلاً فبدر الرجل

يطلب العمل فقال له عمر: كنا أردناك لذلك، ولكن من طلب هذا العمل لم يعن عليه.

- لايتم اختيار الرجل وتكليفه إلا بعد استشارة والآخرين وهم أولي النهى والاجتهاد فقد استبقي عمر كبار الصحابة من أمثال علي وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف و.. ليعينوه ويقدموا النصح في الشئون العامة وذلك لصدق عقيدتهم وبعدهم عن زخرف الدنيا ومطامعها.

تحديد أسلوب للرجال: بعد الاختيار كان عمر يحدد أسلوب العمل والقواعد التي يسير عليها الرجل المختار حتى تكون بمثابة اتفاق لمحاسبته عليها بعد ذلك وكانت هذه القواعد خاصة وعامة.

فكانت الشروط الخاصة: إذا استعمل عمر رجلاً كتب له خطابًا وأشهد عليه رهطًا من المهاجرين والأنصار بألا يظلم أحدًا في جسده ولا في ماله ولا يستغل منصبه لفائدة أومصلحة له أو لمن يلوذ به وكان يحدد للعامل سلطاته فيقول له:

«إني لم استعملك على دماء المسلمين ولا على أعراضهم ولكن استعملتك لتقيم فيهم الصلاة وتقسم بينهم فياهم وتحكم فيهم بالعدل».

وكان يشترط عليهم أربعة أمور: ألا يركب الوالي برذونًا، ولا يلبس ثوبًا رقيقًا، ولا يأكل نقيًا، ولا يغلق بابه دون حوائج الناس».

وكانت الشروط العامة:

في الاجتماع السنوى للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء في كافة الأقطار للدولة من أقصاها إلى أقصاها في موسم الحج كان يقول عمر بن الخطاب:

- ألا وأني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم، فأدروا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تحمدوهم

فتفتنوهم، ولا تغلقوا الأبواب دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم ولا تأثروا عليهم فتظلموهم ولا تجهلوا عليهم وقاتلوا بهم الكفار فإذا رأيتم بهم كلالة فكفوا عن ذلك فإن ذلك أبلغ في جهاد عدوكم».

أيها الناس:

إني أشهدكم على أمراء الأمصار، إني والله لم أبعثهم إلا ليفقهوا الناس في دينهم ويقسموا عليهم فياهم ويحكموا بينهم فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إليَّ.

ويقول عمر أيضًا:

أيها الناس إني والله ما أبعث إليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلي فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه؛ فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين! أرأيت إن كان رجل من المسلمين واليًا على رعيته فأرب بعضهم إنك تقص منه؟ فقال عمر أي والذي نفسي بيده لأقصنه منه، وقد رأيت رسول الله يقص من نفسه ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكووهم، ولا تنزلوا بهم الغياض فتضيعوهم».

وكتب عمر إلى أمراء الأمصار: إن لكم معشر الولاة حقًّا على الرعية ولهم مثل ذلك فإنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعم نفعًا من حلم إمام ورفقه وإنه ليس جهل أبغض إلى الله ولا أعم ضررًا من جهل إمام وخرفه وإنه من يطلب العافية فيمن هو بين ظهرانية ينزل الله عليه العاقبة من فوقه.

وكتب إلى أبي موسى الأشعري: أن سو بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا ييأس ضعيف من عدلك، ولا يطمع شريف في ضيفك.

وإلى سعد بن أبي وقاص حاكم العراق: «عد مرضى المسلمين، واشهد جنائزهم، وافتح بابك، وباشر أمرهم بنفسك؛ فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً، وقد بلغني أن فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك

ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بواد خصيب فلم يكن لها إلا السمن وأن حتفها في السمن، واعلم أن للعامل مردًا إلى الله فإذا زاغ زاغت رعيته وإن أشقى الناس من شقيت به والسلام».

الرقابة على العاملين ومحاسبتهم:

قال عمر يومًا لمن حوله: أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أكنت قضيت ما عليَّ؟! قالوا: نعم، قال: لا حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته أم لا؟».

هذا هو منهج عمر في رقابة عامليه ومرءوسيه.

فكان عمر يضرب المثل بنفسه أولاً في الرقابة على نفسه رقابة ذاتية نابعة من رقابته لله ﷻ فحدد لنفسه ما يأخذه من مال الله؛ فقال: «أنا أخبركم بما استحل منه يحل لي حلتان حلة في الشتاء وحلة في القيظ وما أحج وأعتمر من الظهر وقوتى وقوت أهلي كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبني ما يصبهم».

وكان عمر يقوم بإحصاء أموال الولاة قبل ولايتهم ليجعلها أساسًا عند محاسبتهم فيما بعد إذا علم أنه قد خالطها زيادة غير شرعية قد نتجت بسبب وظيفته وفى أثناء تقلده لها فيردها إلى بيت المال.

وكان يأمر الولاة بدخول المدينة -عاصمة الإسلام- نهارًا إذا ما أتوه بالأموال ولا يدخولها ليلاً حتى لا يحتجزوا من الأموال شيئًا.

وكان يتأكد بنفسه من عدالة الخراج على الأرض فقد سأل عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان عن خراج أهل السواد وعدالته وهل حملا الأرض ما لا تطيق فأجاباه إجابة اطمأن منها إلى عدالة فرض الخراج.

وكان ﷺ يأخذ بنظام التفتيش المالي فكان يسأل في موسم الحج كل أهل بلد عن سيرة واليهم حتى يطمئن إلى حسن إدارته لأموال المسلمين ومنها الأموال العامة ومن أبرز الأمثلة على محاسبة العاملين ما قام به من:

محاسبة أبي هريـرة:

لما قدم أبو هريرة من البحرين وكان هو الصحابي الجليل.

قال له عمر: يا عدو الله وعدو كتابه أسرقت مال الله؟

قال أبو هريرة: لست بعدو الله، ولا عدو كتابه، ولكني عدو من عاداهما، ولم أسرق مال الله.

فقال له عمر: فمن أين اجتمعت لك عشرة الآف درهم؟

قال له أبو هريرة: خيلي تناسلت، وعطائي تلاحق، وسهامي تلاحقت، ولكن عمر قبضها منه، وأودعها بيت المال.

ثم قال لأبي هريرة: ألا تعمل؟ قال أبو هريرة: لا.

قال عمر: قد عمل من هو خير منك «يوسف».

قال أبو هريرة: إن يوسف نبي ابن نبي، وأنا ابن أميمية، وأخشى ثلاثًا واثنين، قال عمر: فهلا قلت خمسًا؟

قال أبو هريرة: أخشى أن أقول بغير علم، وأحكم بغير حلم، وأخشى أن يضرب ظهري، ويشتم عرضي، وينتزع مالي.

محاسبة عمرو بن العاص:

أرسل عمر لعمرو بن العاص كتابه فيه: «بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد وعهدي بك قبل ذلك أن لا مال لك، فاكتب إليَّ من أين أصل هذا المال، ولا تكتمه؟».

فكتب إليه عمرو بن العاص:

«إني بأرض السعر فيه رخيص، وإني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله، وفى رزق أمير المؤمنين سعة، والله لو رأيت خيانتك حلالاً ما خنتك» فاقصد أيها الرجل لنا أحسابًا هي خير من العمل لك إن رجعنا إليها عشنا بها»

فيم يعجب هذا الرد عمر بن الخطاب فأرسل إليه مفتشه محمد بن سلمة لكي يراجع ماله كله، ويقتسمه معه، فشاطره المال بأجمعه حتى بقيت نعلاه فأخذ إحداهما وترك الأخرى.

كما كان عمر يمنع ولاته من التجارة أثناء الولاية حفاظًا على المال العام فقد صادر أموال الحارث بن وهب، وقال له: ما قلاص وأعبد بعتها بمائة ودينار؟

قال: خرجت بنفقة لى فاتجرت فيها.

قال: إنا والله ما بعثناك للتجارة أدها.

قال: أما والله لا أعمل لك بعدها.

ثم صعد عمر المنبر فقال: يا معشر الأمراء إن هذا المال لو رأيناه أنه يحل لنا لأحللناه لكم فأما إذا لم يحل لنا وظلفنا (كففنا) أنفسنا عنه وأنفسكم؛ فإني وجدت لكم مثلاً إلا عطشان ورد اللجة، ولم ينظر الماء فلما روى غرفة».

هكذا كان عمر في رقابة عامليه حتى كان يرصد لهم الرقباء والعيون من حولهم ليبلغوه ما ظهر وما خفى من أمرهم حتى كان الوالي من كبار الولاة وصغارهم يخشى من أقرب الناس إليه أن يرفع نبأة إلى الخليفة، وكان يندب لهم وكيلاً خاصًا بجمع شكايات الشاكين منهم، ويتولى التحقيق والمراجعة فيها.

هكذا كان عمر حتى وفاته.

فلله در ابن الخطاب أي امرئ كان.

كان إداريًّا عبقريًّا لا يخدع حتى تنبأ له الرسول ﷺ بعبقريته في إدارة الدولة وتنبأ كذلك بازدهار الأحوال في عهده؛ فقد قال الرسول:

«بينما أنا نائم رأيتني على قليب[(١)] عليها دلو؛ فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع [(٢)] بها ذنوبًا [(٣)] أو ذنوبين وفى نزعة ضعف والله يغفر له ضعفه ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا[(٤)]، فلم أر عبقريًّا يفري فرية حتى روى الناس وضربوا بعطن»[(٥)(٦)].

* * *

(١) قليب : بئر مقلوب ترابها.

(٢) فنزع : أي أخذ من البئر.

(٣) الذنوب: الدلو الممتلئة.

(٤) أي تحولت الدلو وصارت دلوًا عظيمة.

(٥) العطن: ما يعد للشرب حول البئر من مبارك للأبل.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

المراجـــــع

أولاً: القرآن الكريم

ثانيًا: تفاسير القرآن الكريم:

- إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي؛ تفسير القرآن العظيم، القاهرة، دار إحياء الكتب الجامعية، بدون تاريخ.
- سيد قطب: في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق،القاهرة، الطبعة ٢٥، ١٩٩٦-١٤١٧هـ.

ثالثًا: كتب التراث:

- ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تصحيح ومراجعة أ. نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣.
- ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ.
- الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- أبو الحسن الماوردي: كتاب أدب الدنيا والدين، تحقيق/ محمد فتحى أبو بكر، دار الريان للتراث،القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨.
- أبو زكريا بن شرف النووي: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، شرح وتحقيق/ عبد الرءوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٦.
- صدر الدين الحنفي: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.
- صحيح مسلم.
- صحيح البخاري.
- زين الدين بن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة

الأولى، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧.

- محمد يوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة، تحقيق / نايف عباس، محمد علي دولة، النور الإسلامية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ.
- مقدمة ابن خلدون: دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨١.

ثالثًا: كتب معاصرة:

- أبو الأعلى المودودي: الحكومة الإسلامية، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٧٧.
- د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم، خلق القرآن – المبادئ والمعوقات، (الناشر: المؤلف)، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.
- د. أحمد العسال: مفاهيم أساسية في فقه الدعوة والتجديد، تحقيق/ قطب عبد الحميد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٧.
- أبو بكر الجزائري: منهاج المسلم، (الناشر: المؤلف)، الطبعة الثامنة، ١٩٨٦.
- د. أحمد إبراهيم أبو سن: الإدارة في الإسلام، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣.
- د. السيد محمد نوح: توجيهات نبوية على الطريق، الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.
- د. حمدي أمين عبد الهادي: الفكر الإداري الإسلامي والمقارن، دار الفكر العربى، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠.
- د.حسين مؤنس: دستور أمة الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.
- خالد محمد خالد: رجال حول الرسول ﷺ دار المقطم للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
- خالد محمد خالد: خلفاء الرسول ﷺ دار المقطم للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.
- د. رءوف شلبي: الدعوة الإسلامية: التجربة – الأخطاء – الحل، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، ١٩٨٨.
- زياد أبو غنيمة: مواقف بطولة من صنع الإسلام، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٠.
- د. سليمان الطماوي: عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة– دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 1976.

- د. شوقى ضيف: عالمية الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠.
- سعيد حوى: المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين، (الناشر: المؤلف)، الطبعة الثانية، ١٩٧٩.
- سيد قطب: دراسات إسلامية، دار الشروق، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠.
- سيد قطب: خصائص التصور الإسلامى ومقوماته، ١٩٨١.
- صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، ١٩٨٧.
- عمر التلمساني: شهيد المحراب عمر بن الخطاب، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بدون تاريخ.
- د. عبد الرحمن رأفت الباشا: صور من حياة الصحابة، دار الأدب الإسلامى، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
- عبد الله ناصح علوان: صفات الداعية النفسية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، ١٩٩٠.
- عبد الرحمن عبد الغفور: أبواب مهجورة من السنة، (الناشر: المؤلف)، بدون تاريخ.
- د. عبد الشافي محمد أبو الفضل: القيادة الإدارية في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامى الطبعة الأولى، ١٩٩٦.
- عبد السميع سالم الهراوي: لغة الإدارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.
- عباس محمود العقاد: عبقرية عمر، نهضة مصر للطباعة ، ٢٠٠٠.
- عباس محمود العقاد: عبقرية الصديق، نهضة مصر للطباعة ، ٢٠٠٠.
- عباس محمود العقاد: عبقرية عثمان بن عفان، نهضة مصر للطباعة ، ٢٠٠١.
- عباس محمود العقاد: عبقرية الإمام، نهضة مصر للطباعة، ٢٠٠١.
- عباس محمود العقاد: الإسلام دعوة عالمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.
- د. علي محمد جريشة: الدعوة والداعية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٨٥.
- د. عبد الله بن أحمد قادري: الكفاءة الإدارية في السياسية الشرعية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٦.

- فتحي قابيل: التوجيه الإسلامي في التدريب الإداري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.
- فتحي يكن: أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي، مؤسسة الرسالة، سوريا، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.
- فتحي يكن: الشباب والتغيير، مؤسسة الرسالة، سوريا، الطبعة العاشرة، ١٩٨٧.
- فتحي يكن: الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، مؤسسة الرسالة، سوريا، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠.
- فتحي يكن: نحو حركة إسلامية عالمية واحدة، مؤسسة الرسالة، سوريا، الطبعة الخامسة، ١٩٨٧.
- قطب إبراهيم محمد: السياسة المالية لأبي بكر الصديق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.
- قطب إبراهيم محمد: السياسة المالية لعمر بن الخطاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.
- قطب إبراهيم محمد: السياسة المالية لعثمان بن عفان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢.
- د. محمد سعيد البوطي: فقه السيرة، دار الفكر، الطبعة السابعة، ١٩٧٨.
- محمد الغزالي: عقيدة المسلم، دار الدعوة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠.
- محمد نعيم ياسين: الإيمان ونواقضه، (الناشر: المؤلف)، بدون تاريخ.
- قطب إبراهيم محمد: الإيمان: أركانه – حقيقته- نواقضه، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
- منير محمد الغضبان: المنهج التربوي للسيرة النبوية- التربية الجهادية، دار الوفاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٢.
- د. محمد منصور: تربية النفس، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- محمد عبد الله الخطيب: مفاهيم تربوية، دار المنار الحديثة، الطبعة الأولى، ١٩٩١.
- محمد عبد الله الخطيب: في التربية –نحو جيل مسلم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٨٦.

- د. مصطفى السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر، (الناشر: المؤلف)، ١٩٧٢.
- محمد أحمد الراشد: العوائق، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ.
- مصطفى مشهور: مقومات رجل العقيدة على طريق الدعوة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٢.
- محمد صالح المنجد: وسائل الثبات على دين الله، (الناشر المؤلف)، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ
- د. محمد السيد الوكيل: الترويح في المجتمع الإسلامي، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٤.
- د. مجدى الهلالي: واجبات الشباب المسلم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٣.
- نديم الجسر: القرآن والسنة في التربية الإسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٧.

* * *